

هَنِيئًا لِلَّهِ السَّعَادَةُ

تَأَلَّفَ
عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَوَاطِرُ

الطبعة الأولى
١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[illegible]

هنيئاً لك السعادة

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الخويطر

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م



عبدالعزیز بن عبداللہ الخویطر ، ۱۴۳۱ھ

فہرستہ مکتبۃ الملک فہد الوطنیۃ أثناء النشر

الخویطر ، عبدالعزیز بن عبداللہ

ہنیتا لك السعادة - عبدالعزیز بن عبداللہ الخویطر۔ - الرياض ،

۱۴۳۱ھ

۵۹۲ ص ؛ ۱۶ × ۲۲.۵ سم

ردمک : ۶-۶۱۱۳-۰۰-۶۰۳-۹۷۸

۱- الخویطر، عبدالعزیز بن عبداللہ بن علی ۱۳۴۴ھ - ۱. العنوان

دیوی ۸۱۸,۰۳۹۵۳۱ ۱۴۳۱/۸۸۱۹

رقم الإيداع : ۱۴۳۱/۸۸۱۹

ردمک : ۶-۶۱۱۳-۰۰-۶۰۳-۹۷۸

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بين يدي الكتاب

(أ)

قرأت كتاب : « عشت سعيداً من الدراجة إلى الطائرة » للواء طيار عبدالله السعدون فوجدتني مغموراً بالإعجاب بهذا الكتاب وبكاتبه، ووجدت أنه لا يخفف عني هذا الغمر إلا أن أزيد عليه بحمل مثله، وما هذا إلا أن أكتب عنه، وأنوّه به، نيابة عني وعن كل معجب يقرؤه ويعجب به، لعلّي أرد بعض الجميل لرب هذا السفر الثمين، الذي تفخر به رفوف المكتبة السعودية .

هذا جانب، والجانب الآخر أنه يأتي سائراً على قضيب فكر طالما دعوت إليه، وهو كتابة المثقف عن حياته، وكشف جانب من

جوانب المجتمع، ويكون ما يكتب وثيقة تاريخية يطرب لها المؤرخ، لأنه يجد فيها بغيته .

وما أقدم عليه المؤلف فضل من الله، والله - سبحانه - يهب فضله وتوفيقه لمن يشاء، وقد أعطى الله المؤلف من النجاح في عمله، والسعادة في حياته ما نرجو أن يكون دليل رضى من الله . وأول دلائل التوفيق برّه بوالدته، ومن هم في منزلتها عنده، وحبّه للناس، والسعي في صالحهم، وقد طفق عمله بالنية الحسنة، والقصد السليم، والجهد المبذول، وفي ذهنه شكر فضل الله عليه، ثم رد بعض أفضال بلاده عليه، يخرجّه في صورة عمله الخير في كل جانب

من جوانبه . وما جاء هذا الفضل من الله إلا
من أصل زاك، وسليقة مهياة لعمل الخير،
وطبيعة نبيلة تنضح بما ينفع الناس .

لم أكتف بقراءة الكتاب مرة ولا مرتين،
بل كانت آخر مرة هي التي تتبعت فيها
أبواب الكتاب، ودونت بعض النقاط لتكون
وسيلتي للكتابة عنه، عندما قررت أن يكون
ما أكتبه كتابا لا مقالة، بعد أن رأيت
الحصيلة التي طلعت بها منه . وفي ذهني
قراءة أخرى أضع بها فهارس أعود إليها أثناء
كتابتي عن الكتاب، والفهارس مهمة لأي
كتاب صغر أو كبر، فهي الخارطة التي تهدي
إلى ما يقبع تحتها، وفهرس المواضيع والأعلام
توفر على المراجع وقتا وجهدا .

(ب)

قليل من الكُتَّاب ، عندما يَقدم على الكتابة ، يعرف كيف يبدأ ، والغالب من الكُتَّاب يختار كيف يبدأ ، وأنا اليوم من الفريق المختار .

مسكت القلم ، وفكرت أن أدخل على الموضوع رأساً ، وأهنئ اللواء عبدالله على هذه المذكرات المضيئة « عشت سعيداً من الدراجة إلى الطائرة » ، ولكن الغيرة جاءت من فكرة ثانية ، ووسوست لي أن لا أبدأ بهذا ، وأن أبدأ بها ، ومؤداها « عشت يا عبدالله سعيداً وعشنا معك » ، وأنا لم أر مثل غيرة الأفكار ، بعضها من بعض ، لأن فكرة ثالثة أطلت برأسها ، وقالت : أنا أولى ، لأنني

أقدم منهما ، لأنك طالما دعوت المثقفين
القادرين أن يكتبوا مذكراتهم أن يكتبوا ،
للفوائد الجمة ، التي تطرحهم بوابلها ، وهي
الفوائد التي استقصاها اللواء عبدالله في
مذكراته ، وقد بدأت بنفسك ، وحمدت هذا
العمل ، لأنك مؤمن أن المذكرات الذاتية هي
مصدر موثوق من مصادر التاريخ ، إذا وفى
الكاتب بشروطه ، بأن كان ما يكتبه شفافاً ،
وقال فيه ما له وما عليه ، وكتب ووثق ما رآه
وما سمعه .

وهذه النتيجة التي وصلت إليها جاءت
نتيجة استقرار لكتب التاريخ ، التي منها من
لا يزيد فيه عن أن يتكلم عن الحروب
والقادة والحكام ، وما إلى ذلك ، وتبقى هذه

الحقائق صوراً معلقة في الهواء، تنقصها
اللحمة، التي تصل بين أجزائها. فالحاكم
يوصف فعله الظاهر، ولكن العوامل الأخرى
التي حكمت أفعاله تبقى مجهولة، ولا
يُعرف الداعي لسوء تصرفه وظلمه، إن كان
ظالماً، أو نظرتة السوداء للحياة، إذ قد يكون
مأتى هذه الرواسب من الماضي عقده، أو
عيوباً جسدية في الحاضر حكمته .

والجندي الذي دخل المعركة، وقال عنه
المؤرخ أنه انتصر أو انخدل، لا يعرف عنه
شيء، ولا عن أسرته، ولا عن المحيط الذي
عاش فيه، ولا المهنة التي جاء منها، ولا
سنّه، ولا يعرف هل نفقته على نفسه،
ويطلب العوض عما أنفقه من الغنيمة، أو أن

من أخرجه للميدان تكفل له بذلك ؟ ماذا كانت دابته ؟ هذه أمور مهمة ليحكم المؤرخ الحق على التاريخ وسيره . كل هذه وأكثر منها تكشف في المذكرات الشخصية ، وتأتي واضحة جلية .

بعد هذا الاستطراء أدركت الفكرة الثالثة أنها لم تدل بدلوها في كيف نبدأ ، وهذه الحيدة منها تدل على ذكاء .

وفي النهاية أجد أنني بدأت ، ولم أدر أنني بدأت ، وهذا يوصلني إلى طريق مستقيم ، ولا يعترضني فيه باب ، « ولا سوق سد » .
أبدأ بإعجابي الشديد المتناهي بعنوان الكتاب ، والعنوان مهم ، ألم يقولوا :
الكتاب يُقرأ من عنوانه ؟

بجانب دقة منطوق العنوان ، واختصاره ،
وحسن تعبيره ، دلالته على مرمى الكتاب ،
ففيه رائحة زكية هي حمد الله وشكره على
نعمه المتوالية على المؤلف .

وبهذا يتأكد نبل المؤلف الذي لم يُضمّن
العنوان شيئاً من معاناته ، حتى الدراجة
كانت نعمة في صغر سن المؤلف وفي بيئته ،
والظروف الاجتماعية ، فقد كان يمشي
بالدراجة وكأنه طاووس .

وفي العنوان صورة القفزة الرائعة من
الدراجة ذات العجلتين ، السائرة على الأرض
بقوة ساعدي راكبها وقدميه ، إلى الطائرة ،
الجاثمة في أرض أعدت لها ، الطائرة عاشقة
الأجواء ، مداعبة السحب ، الراقصة مع

العواصف والأنواء، الحلقة في فضاء الله،
الأفق يستقبلها ويودعها، تعلو كما تشاء
وتنحدر كما تريد، مثل صقر ملك الأفق، أو
نسر «شاخ» في مملكته .

والتوفيق عندما يفتح الله بابه يفتحه
واسعاً، يدخل معه كرمه الذي لا يحد،
يدخل معه الخير، مطر سحابه على أرض
واسعة، يهنأ به القاصي والداني .

جاء العنوان بخط كبير، وجاء واضحاً، لا
تخطاه العين، جاء بخط مألوف، وجاءت
تحت صورة الصحراء التي طالما رأى «صقرنا
»دعوسها» من الفضاء، لعلها أخذت من
رمال الربع الخالي الذي تمتعت عين صقرنا
منها محلقة في أجوائها .

بعد العنوان يأتي حجم الكتاب ، فقد جاء
مناسبا طولا وعرضا ، وحجم الحرف مقبولا ،
ووضع المؤلف بتوفيق من الله صُوى على
الطريق ، وهو ينتقل من موضوع إلى موضوع ،
دون إطالة مملة ، أو اختصار مخل .

جاذبية كتاب : « عشت سعيداً » جاءت
من الاختصار المفيد ، وروح التفاؤل التي
يقبل عليها الذوق السليم ، والطبيعة
البهجة ؛ فالعيش السعيد هو أمنية كل إنسان
سَوِيٍّ . كل من رأى العنوان لابد أن يجول
في ذهنه أن من المفيد معرفة أسباب السعادة
عند المؤلف ، ليأخذ بأسبابها ، ويعض عليها
بالنواجذ . سيجد القارئ أن المؤلف وضع
الأسباب أمام القارئ على طبق من بلّور .

(ج)

سيكون منهجي ، في عرض أقوالي ، هو أن
أسير بانتظام ، مع أبواب الكتاب باباً باباً ،
وستكون عناويني هي عناوين الكتاب
الداخلية .

الإهداء

الرجل الطبيعي ، البار المنصف المستقيم ،
ليس أعز عليه من والدته ، خاصة إذا كان
يتيما ، فقد أباه قبل أن يعرفه ، أو يتمتع
بقربه وحنانه ورعايته ، يقع الحمل كله كاملا
على الأم ، وأم مثل أم اللواء عبدالله تستحق
أن تهدي ، على الأقل ، ثمرة جهده وفكره ،
لأنها هي التي وفقها الله ، فأبنت لحمه ،
وأصلبت عظمه ، وقوت ظهره ، متلقية
حوادث الزمن ، وفواجع الدهر بصدرها
تحميه ، وتقيه الشرور والكوارث والفواجع
والصعوبات . لقد وضعت زرعها في أرض
خصبة ، لقد أعطاه الله على قدر نيتها ،

و بمقدار ما تعبت ، نبتة صالحة ، فجاء ابنها
صالحا موفقا ؛ فلا أقل من أن يضع أمام جميع
القراء اللّحمة التي بينه وبينها ، ويبين
فضلها في وضعه على الطريق الموصل ،
ليرسم لها في ذهن القارئ صورة مضيئة ، لا
يبخل أحد أمامها أن يقول : لقد أدت
الأمانة ، فنامي قريرة العين ، أسكنك الله
فسيح جناته .

ثم يثني في الإهداء بشريكة حياته ، التي
مشت بجانبه تعضده ، وتشد أزره ، وتحمل
عنه بعض ما يثقل كاهله ، في حدود
مقدرتها ، وبوحي من أصلها الزاكي ، وطيب
محتدها . ونساء المجندين المكافحين جنديات
مجهولات ، ومن بينهن أزواج العسكريين

والدبلوماسيين، الذين هم دائما على ثغر، اليوم
في جهة، وغدا في جهة أخرى، وقد لا يكون
بين هذه الأماكن السار أو المبهج، إلا بمقارنته
بما هو أسوأ .

والطيّارون والعسكريون، بالذات، لا
أتصور أن أحدهم يغادر البيت دون أن تقوم
زوجه باستحلاب الأدعية أن يعيده الله
إليها، وإلى أولادها، سالما؛ فالطيّار، ما بين
السما والارض، في طائرةٍ الخلل من
طبيعتها، والمفاجآت منها متوقعة، الطائرة
جرم معلق في الفضاء. أي خلل يركس بها
إلى الأرض، ثم ما تحت الأرض لقائدها .

أهدى المؤلف كتابه القيم هذا لهاتين
السيدتين، وهما تستحقان هذا الإهداء منه،

والتقدير منا، نحن الذين قرأنا عنهما ما قرأنا، يملؤنا فخراً بمواطناتنا. ولا شك أن كل زوج ذات تربية سليمة، تدرك أنها مشاركة لزوجها تمام المشاركة في سعادة أسرتها الصغيرة، وأسرتها الكبرى الوطن، وأنها شريكة في نجاحه في عمله، مثلما عملت هاتان المواطنتان الدرتان .

سأقف في حديثي عن الإهداء، عند هذا الحد، فقد بدأ يفتح في روعي باب واسع من العاطفة، سوف يطفى ما يأتي منه على حدود العقل، ولا ألوَم نفسي لأن هذا الإهداء شدني إلى والدتي وزوجي، وهما مسقط فخري ومحط اعتزازي، والدتي لأنني قطعة منها، لم يغب عني دفء حنانها، أو

حذب رعايتها ، وزوجي هي لي وأنا لها ، لم
تغب عن ذهني أبداً ، كل أمر جميل
يُحضرها أمامي . ليس هناك سعادة تماثل
السعادة التي يشعر بها المرء عندما يتسبب
في ابتسامة والده أو زوجه شريكة حياته .

عن الكتاب

عندما يرضى المرء عن أحد ، أو عن عمل ، يرى كل شيء فيه حسناً ، وهذا ما شعرت به وأنا أقرأ هذا الكتاب القيم ؛ فقد حمدت للمؤلف أن جعل الكتاب بهذا الحجم ، ولم يأت بالحرف صغيراً ، كما يفعل بعض الكتّاب ، وينسون أن من سيقراً كتابهم رجل طاعن في السن ، وأنا واحد من يهتمهم أمر الحرف وحجمه . وقد بدأت أقتصر ، عند قراءتي للصحف في هذه الأيام على قراءة عناوين المقالات ، لأن ما تحتها طبع بحرف صغير ، ليتهم يستعيرون للمقالات المهمة والمفيدة بعض مساحات الإعلان ، التي

يعطونها مساحات جزلة، فتأتي الحروف فيها وكأنها كتبت بفرشة دهان الجدران. ولعل حجة الصحف أننا ندفع لأصحاب المقالات، بينما أصحاب الإعلانات يدفعون لنا. وهذا أمر يؤسف، لقد نسي معه الهدف الأساس لإنشاء الصحف، وأنها لخدمة المواطن فكراً وخبراً، ونسوا أن المواطن يشتري الصحف، ولا تهدى إلا لمن يرجي منه خير للصحف أو لمؤسساتها، ولكنه المال حبه يعمي ويصم.

وجدت أنه، عند رغبة الكاتب أن يُطبع له كتاب، أن الأذواق تختلف، والمصالح ترجح، فالناشر يهمله ما يجلب المال، والموزع مثله، والكاتب أحياناً لا يتدخل في إخراج كتابه، وآخر علمه به عندما يسلم

الناشر مبيضة الكتاب ، فتجد طبعات عدد
من الكتب لمؤلف واحد لا توحى بشخصيته ،
ولا تأتي على صورة واحدة . هذا جعلني
أحرص ، عند طبع كتبي ، أن أحدد بدقة كل
شيء ، أحدد حجم الصفحة طولا وعرضا ،
وعدد الكلمات في السطر الواحد ، وعدد
الأسطر في الصفحة ، وأحدد بنط الحرف فلا
يقل عن عشرين . وأصر على أن لا يكون في
صفحة الغلاف زخرفة ، أو صور رمزية ،
تشغل عين الناظر ، فيحاول حل ألغازها ، مما
يلهي عن الالتفات إلى العنوان الأصل ،
واسم المؤلف ، وما قد يكون هناك من
بيانات ، وضعت على صفحة الغلاف
لأهميتها ، والصور المزعجة هي رسوم حديثة
عند التمعن فيها يجدها الناظر لا تمت بصلة

لموضوع الكتاب ، والحقيقة أن هذه الصور
« بارت » عند الرسام ، وكسد سوقها ،
فوجدتها فرصة أن يتخلص منها في أغلفة
الكتب ، أو في العناوين الداخلية .
ومما أصر عليه أن يكون عنوان كتابي
مكتوباً بخط الثلث ، وقد تسمح بعض
البيانات الأخرى ، مثل اسمي ، بالخط
النسخ ، أو بالديواني أو بالفارسي . وهي
الخطوط التي عرفناها ، لا تلك الخطوط
المبهمة ، وهي بنت الحاسب الآلي ، يأتي بها
كيف يشاء ، المهم أن تبدو متناسقة ، حتى إذا
كانت لا تقرأ إلا بصعوبة . وهي أساساً بدأت
بالإعلانات ، ولكنها زحفت تدريجاً إلى
الكتب .

مقدمة المؤلف (١)

المقدمة قطعة أدبية فائقة، تدل على تشرب
للأساليب الأدبية الراقية، وعلى ثقافة
عميقة، ونظرة واسعة، وإطلاع متمكن على
الأدب العربي، وأفكار الأمم الأخرى، فهو
عندما يهتم في الدخول إلى موضوع ما يدخل
بسلاسة، ويستدعي لتعزيده بعض ما
اخذنته ذاكرته الأدبية، من نصوص عربية
أو غير عربية .

أثر الأدب العربي، وتشربه به، يظهر في
كل جملة يخطها، والأدب الأجنبي يطل
برأسه عند الحاجة، استمع له يستنجد بمثل

(١) صفحة (٧)

صيني ، عندما احتاج إلى تعضيد فكرة أتى
بها في المقدمة ، والمثل يقول : لتعمر الأرض
عليك القيام بثلاثة أمور :

أن تزرع شجرة
وأن تكون أسرة
وأن تكتب كتابا .

هذا مثل صادق وبهي ، انطلق منه اللواء
عبدالله ، محققا ، مؤكداً أن الأمرين الأولين
يمكن تحقيقهما بسهولة ، ولكن الصعوبة
الحقة هي أن تكتب كتابا ، ومن هذا المدخل
الحاذق يمهد للهيئة التي تغشته وهو يقدم
على تأليف كتاب ، ويستمر في هذا النهج ،
ليضع في هذه المقدمة موقعه من هذا التأليف .
يأتي بعد ذلك بما يشد القارئ إليه ، من

تحليل دقيق متقن لأسباب النجاح ، وما يلي ذلك . ثم يعطي بعد ذلك صورة مضيئة للاستقامة ، وما تُوصل إليه من سعادة أسرة ، وصحة بدن ، ويرضي داخل النفس . ويرافق ما قال تواضع يزيد محبتك للكاتب ، فهو لا يُجهم الإنجاز ، ولا يضخم الصغير ، إنما يأتي بما عمل على استحياء ، دون أن يقلل من مظهر نعمة الله عليه وتوفيقه ، حتى يشجع غيره على الغرف من المعين الذي غرف منه .

أكّد المؤلف ، وهذا ما نشهد عليه ، أنه كتب سيرته الذاتية هذه لعل نفعها يعم ، وأن تفتح للشباب أبوابا واسعة يؤدي الولوج منها إلى ما يرضي ويحمد .

لقد أبدع الكاتب في إبراز ما هو موروث

من العادات والتقاليد ، وما عليه المجتمع
عندما كان صغيراً ، وأظهر ما بقي منه على
حاله ، وما تغير منه ، وإلى ماذا تغير ، وكيف
تغير . يُدون في هذه المقدمة حقائق ترسم
بوضوح ما مر به ، وما شاهده ، وسوف ننتظر
حتى نقرأ الكتاب ، فنحكم على ما وعد به
المؤلف في المقدمة . وأشهد أنه صادق فيما
قال ، وأنه من خير من يُقتدى به في هذا .
تُرى كم من أمثاله ممن عملوا وأنجزوا تركوا
بعدهم أثراً ، يفيد الشادي والمتطلع ،
والباحث عن منابت الخير ، ومنابع الفائدة !
أحزن كلما رأيت أستاذاً من أساتذة الجامعة
لم يترجم رسالته للدكتوراه إلى العربية ، أو
لم ينشرها إن كانت بها ، وعند النقاش لا

تقف الحجج التي يدونها على قدمين ثابتتين. أشعر أن كل حامل شهادة البكالوريوس عليه واجب أن يكتب بتجرد عن حياته منذ أن عرف نفسه، لو أن هذا نفذ لكان عندنا حصيلة مدهشة، وإذا تواضعت في طلبي هذا، وطلبت ذلك من حاملي شهادة الدكتوراه، فسيكون عندنا من مصادر التاريخ المقبولة الموثقة آلاف الرسائل والكتب. لا شيء يخدم التاريخ مثل المذكرات الشخصية الشفافة المتجردة من الهوى والتكلف، والتي يظهر فيها صاحب المذكرات ما له وما عليه. وقد وجدت، لحبي للتاريخ، أن من واجبي أن أرفع علم المطالبة بكتابة المذكرات الشخصية من قبل كل قادر

على ذلك . ولم يخب أملي في حسن
الاستجابة ، ولا ظني فيمن تحدث إليه ، وقد
استجاب لندائي بعض الأصدقاء ، فبادروا
بكتابة مذكرات ، هي اليوم ملء السمع
والبصر ، وفيها إضاءات أنارت جوانب مهمة
من تاريخنا الحديث . من هؤلاء الأستاذ
إبراهيم بن محمد الحسون ، والشيخ أحمد
ابن علي المبارك ، والأستاذ عبدالله بن حمد
القرعاوي - رحمهم الله جميعا - ، وقد
خلدت كتبهم هذه أسمائهم ، ودخلوا
التاريخ من أوسع أبوابه ، ولا أدري لماذا لم
يشجع نجاح هذه المذكرات من لم يكتبوا ،
وهم قادرون .

يفرح الباحث ، والمؤرخ الجاد ، أن يجد قصة

في مقال، رواها من وقعت منه أو له، وفيها صور ترسم شيئاً فريداً عن إحدى زوايا المجتمع، والمؤرخ الجاد لا يفوته الذهب يراه أينما كان، ولو كان منزوياً بين ثنايا ظنٍّ أنها يمكن أن تخفي بريقه .

أعود لمقدمة اللواء عبدالله، وأقول إن القارئ يشعر بعمق الفكر فيها، وصفاء الذهن، والنظرة الصائبة، عندما يتكلم عن أسباب النجاح، فعندما تقرأ ما كتبه عن ذلك لا تملك إلا أن تقول «صدقت وأحسنت» إنه السهل الممتنع .

ويتكلم المؤلف بجدارة وإتقان عن الصعوبات التي مرت به، أو بغيره، والطرق الناجحة للتغلب عليها، وهو يغرف من معين تجربة

ثراً ، وعندما تقرأ كتابه تعرف ما يرمي إليه ،
من حسن تعبيره ، وإشاراتهِ ، وتلميحاتهِ ،
ويأتي بالأمثلة التي يؤمن بأن بيانها موصل ،
ويتجلى ذلك في عرض الاحتيال الناجح في
التغلب على ما يود أن يتغلب عليه .
ويسهب المؤلف في الحديث عما يعالجه ،
فيأتي إليه من جوانب مختلفة ، إن لم يقنعك
الأول منها حاول أن يقنعك التالي ، فتجد
أنك منسجم معه فيما يقول ، ومشارك له في
رحلة الفكر هذه برضى وارتياح ، وهذا هو
المتوقع من الأقوال الصادقة الناضجة ، المبنية
على أسس سليمة ، لأنها تؤدي أولاً إلى
الأقتناع ثم إلى المتابعة والتبني .
والمؤلف واقعي ، وهذا ما أفاده في سيره في

عمله ، فعندما يشرح أسباب النجاح ،
والارتفاع من وضع إلى أعلى منه ، والخطو
من المعتاد إلى الخارق للعادة ، لا يغفل أن
يؤكد أن من طلب العلا عليه أن يأخذ الحزمة
كاملة ، لأن أخذ جزء لا يوصل إلى النهاية
بنجاح كامل ، ولا بسلامة واقتدار وتميز ،
فالأجزاء المتكاملة المتماسكة عوامل مؤكدة
للوصول إلى الهدف برضى وافتخار ، لأن
الخطوة الأولى توجب أن تتلوها الخطوة
الثانية ، والثانية بطبيعتها تأتي تالية ، فلا
تسبق غيرها ، ولا تدع غيرها يسبقها .
يسبق كل ذلك يقظة ونباهة وحذر وحزم
وتصميم ، وعدم انحناء لطارئ يبرز فجأة في
منتصف الطريق ، فيتسبب في ضياع ما

سبق، ويقف في طريق ما هو آت .
إن هذه المقدمة صيغت لتكون بهذا
الكمال، فهي خارطة طريق متقنة، وما
عليك إلا أن تتمعن فيها، لتعرف ما أنت
مُقدم عليه، وهي أول ما شدني لقراءة
الكتاب، والتطلع إلى ما نبأني به المقدمة،
فما قرأته فيها وجدته صادقاً فيما أشار إليه،
وما وعد به، ولعله أقرب أن يكون ظلم
نفسه في عدم إدراج ما يدل على كل الدرر
التي احتوتها أبواب الكتاب، الذي لم يكن
وصف حياة طفل يتيم نما وترعرع، وتسئم
ذرى المجد رأى رؤسائه أنه يستحقه، وإنما هو
قانون للحياة الجادة السعيدة الموصلة. إنه
محاضرات شرحت فكراً، ألبس ثوباً

فضفاضاً من التحرك العملي ، والتطبيق
الفعلي ، مما يزيد الأمر صدقاً ، والحق وضوحاً
والقول وقعاً وقبولاً .

ثم يُبين المؤلف في مقطع من مقاطع
المقدمة الهدف من كتابته لهذا الكتاب الذي
يصف سيره في حياته ، والهدف لا يخرج
عن أن يكون نبيلاً ، فهو يريد بكتابته أولاً
رضى الله عما يكتب ، معتمداً على صدقه
فيما يقول ، ويرجو على ذلك من الله الجزاء
الأوفى ، وهو ثانياً يرجو أن ينتفع مما به من
يقرؤه ، ويستفيد من تجاربه سارة كانت أو
ضارة . إن معشوقته الأولى في هذا الكتاب
هي الحقيقة ، لينتفع منها الناس .

ثم تأتي ثقافته الواسعة تأبى إلا أن تطل

برأسها من بين سطورهِ، فيستشهد منها عما
جربهِ، ويستقي من الفلاسفة حكمة أن
التجربة لا تعود مرتين، أي انتهز أيها القارئ
الفرصة ولا تضعها، يقول :

قال «الفيلسوف اليوناني» هراقليص :
« إنك لا تضع قدمك في النهر مرتين » (١)
هذه الجملة تريك سعة اطلاعه ، واستيعابه
لما يقرأ ، واحتفائه به ، ليسير في ضوئه ،
ويستشهد به عند الحاجة ، كما تم له ذلك
هنا .

القراءة العامة مهمة ، وانتفع بها أجيال ،
وهي تدل على توفيق الله للمرء ، والاحتفاظ
بالدرر التي يمر بها الإنسان في قراءاته ، نعمة

(١) «عشت سعيداً» ص (١١)

من الله ، ومَلَكة يَخْص بها الله شخصاً دون
آخر . والاستشهاد بالخزون دليل وعي ،
ووسيلة إقناع عرفها الأذكياء ، فاستفادوا
منها ، وداوموا عليها ، لما رأوا من فائدتها ،
وقوة تأثيرها . وفيها اختصار غير مخل ،
دون تطويل ممل . وهذا أمر لم يعد يقدره إلا
قليل من أبناء هذا الجيل .

وقبل أن تنتهي ، أيها القارئ الكريم ، من
التمتع بالاقتباس السابق يفاجئك المؤلف
باقتباس حكيم آخر ، لا تقل المتعة فيه عن
الاقتباس السابق ، وتؤمل أن لا يغيب عنك
تذكره عند الحاجة وهذا نصه :

لم يجاوز الحقيقة رئيس وزراء ألمانيا

وموحدها «بسمارك» عندما قال :
«الأغبياء فقط هم من يتعلمون من
تجاربهم، أما أنا فسأحاول جاهداً أن أتعلم
من تجارب الآخرين.» (١)

ألم يكن تأليف الكتب عن سير الماضين هو
لأجل الانتفاع بها من اللاحقين، يأخذون
منها الموجب، ويبعدون عن السالب، ولهذا
يختصرون الوقت، ويبعدون عن العناء،
وتكمل عندهم اللذة، وتعمق المتعة، وتتأكد
المنفعة .

لا بد من إبداء ملاحظة هنا على النصين
السابقين؛ إنهما عالميان، وليس من منطقتنا
العربية. وهذا يدل على رغبة المؤلف في

(١) «عشت سعيداً» ، ص : (١١)

الإِطلال على آداب القوم الآخرين . وتلاقح
الأفكار هو الذي يؤدي إلى توسعة المدارك ،
والبعد عن ضيق الأفق .

ولأن من أهدافه أن يكون هناك صدى
لأفكاره ، فإنه يعمد ، كما عمد في النصين
السابقين إلى الأمثال الجارية على ألسنة
مواطنيه ، وهي المقررة عقلا ، والمعترف بها
عادة ، ليقدمها للقارئ بغلاف جذاب ، فهو
هنا يؤكد إحدى الأفكار التي يدعو إليها ،
ولتواضعها لا يريد أن يستهان بها ، وسلاحه
في هذه الخطوة هو المثل العامي ، الذي
اقتبسه من بيئته الأولى ، بيئة الفلاح
والمزارع ، يقول :

« العصفور يهزع الرشا » (١)

وينتقل الكاتب من غصن نضير ، في وسائل الإقناع إلى غصن أنضر ، فيتلو حديثاً للرسول - صلى الله عليه وسلم - :

« تعودوا الخير فإن الخير عادة

والشر لجاجة » .

ويختتم الكاتب هذه المقدمة الممتعة المفيدة ، المبدعة في اتجاهها ، المتقنة في عرضها ، الوافية في تخطيطها ، بما درج عليه أغلب الكتاب من اعتراف بفضل من لهم عليهم فضل ، فيبدأ بالاعتراف بالفضل لوالدته ، التي أثبتت أنها امرأة عملاقة ، من أصل نضر ، ثم ثنى بشكر زوجها ، وزوج

(١) « عشت سعيداً » ، ص : (١١)

الدبلوماسي، ومن في السلك العسكري خاصة، إذا وفقها الله، واختارت أن تكون مضحية وصابرة وموحية ومشجعة، أتت منها السعادة، لأن هؤلاء الأزواج لا حيلة لهم في الحل والترحال، لأن طرف «الرسن» للعسكري والدبلوماسي في يد غيره، فلا بد للأوامر أن تنفذ، فاليوم أحدهم في منطقة في الشرق، وغداً في أخرى في الغرب، أو الشمال أو الجنوب، واليوم داخل الوطن، وغداً خارجه، والزوج المخلصة صابرة على فراق زوجها، والعناية بأبنائها، أو منتقلة معه إلى محيط جديد يحتاج إلى تأقلم، وسعي للبحث عن راحة الأبناء، وتوفير وسائل الدراسة النافعة لهم، مع ما قد يكون

هناك من معاناة في اللغة، وتقبل العادات .
وفي هذا معاناة لا حدود لها . في كل هذا
امتحان لعراقة أصلها، وحسن تربيتها،
وسلامة طبعها . والزوج الصالحة نعمة جلى،
فبيدها - بإذن الله - سعادة البيت، وجعله
جنة، تخفف مما قد يلاقيه الزوج في عمله .
ونرجو أن يكون هذا الوفاق بين الزوجين
في هذه السيرة، دليل رضى من الله عليهما،
وأن يبقى توفيق الله لهما، ومن يعولون، إنه
جواد كريم .

صراع من أجل البقاء (١)

هذا هو أول باب تبدأ به المذكرات عن حياة المؤلف ، وتجيء تحته صور يعرفها جيلنا جيداً ، تكاد تكون حياة أغلب الناس في تلك الحقبة ؛ يتم وعوز ، وكد وكدح ، وشقاء وعناء ، لمن بقي حياً بعد وباء الجدري والحصباء ، أو ما تركه وباء الجدري مشوهاً ، أقل ما في ذلك العمى ، أو بقي حياً بعد الأمراض المختلفة التي تأتي من عدم اتباع وسائل النظافة ، مثل الإسهال ، والتسمم ؛ أمراض تفتك بالناس لعدم وجود الوعي الصحي ، وضعف الأجسام ، وقلة المناعة ،

(١) «عشت سعيداً» ، ص : (١٣)

تجعل الأجسام عرضة لفتك الأمراض
المختلفة .

هذا مع موجات الأوبئة، التي تأتي فجأة
وكاسحة، لتزور كل بيت، لتخفف عنه
حملة الإنسان، بأخذ بعض سكانه أو
كلهم، وتخف البيوت، ويثقل ثرى المقابر .
وما أمر «سنة الصخرة» (١٣٣٧هـ) عنا
ببعيد، وهي انفلونزا كاسحة، مثل
«الآسيوية»، أو ما يسمى بالأسبانية، ويقول
الملك خالد - رحمه الله - أنها تأتي ومعها
حرارة شديدة، يكاد يغلي معها الدماغ،
وتبقى الحرارة ثلاثة أيام، فإن خفت نجا
المصاب، وإلا فمآله القبر . وقد راح في هذا
الوباء الأمير تركي الأول ابن عبدالعزيز،

ووالدة الملك خالد، وخلق لا يُحصى، وكان
الله أراد أن يخفف الوطأ على هذه الأرض،
بعد أن كانت الحروب - بإذن الله - هي التي
تخففه .

وبعض الناس يظنها كوليرا، وليست
كذلك، إذ أنه لا يصاحبها شيء من أعراض
الكوليرا، فلا إسهال ولا استفراغ، ولا
جفاف في الجسم، وإنما هي حرارة متناهية
إن كان لدى المريض مناعة، واستطاع من
حوله أن يبرد بكمادات الماء الحارة، فقد
ينجو بإذن الله .

مات خلق كثير، وجاء وقت لم يجدوا من
يحمل الموتى للمقابر، ولم يعد هناك قبور
وإنما هي أخاديد تحفر يوضع فيها الموتى

كأنهم « كراتين » خضار . لم يبق في بعض
البيوت إلا نساء ، فتضع الواحدة منهن
« غدفة » على باب البيت ، لتعلن بهذا بأن في
البيت ميت . فمنجل الموت يحصد بلا
توقف ، فلا صلاة جماعة ولا جمعة ، ولا
انتقال من بلد إلى بلد . لم يرحم الموت
عروساً ، ولا حاملاً ، ولا وفر صغيراً ولا
كبيراً ، ومن هولها صار يؤرخ بها ، يقال :
« سنة الصخرة » ، ومن لم يعرف وقت وفاته
قيل : قد يكون مات سنة الصخرة .

نسأل الله العافية .

ليغفر لي اللّواء عبد الله إن حملت
مذكراته شيئاً من التاريخ ، فإني أخشى أن
الفرصة إذا عنت ، لم نصطدها ، لن تسجل

أبدأ .

عاش طفلنا ، صاحب المذكرات ، ووصف لنا فيها يقظة والدته في إبعاده عن الأخطار التي تحوم حول أقرانه ، ومنها «نزول القلبان» ، وهذه - بإذن الله - كانت السبب في عجز والده ثم وفاته . حادثة كانت السبب في يتم الطفل ، وترمل والدته .

لقلب هذه الأم وجيف كلما هبت ريح ، تخشى أن تلم بابنها الوحيد وأخته ، كلاهما غاليان عندها ، هما عيناها ، هما رأس مالها في هذه الحياة ، حياتها وقف عليهما ، تود أن تجرحها سكين ، ولا «تبطهما» شوكة . وتعصف بها العواصف في سبيلهما ، وكأنها نسيم عليل .

فزعت الأم، وارتعبت، وهي ترى ابنها يتقدم نحو البئر، شأن أنداده في هذه السن، والطفل أبعد عن تقدير الأخطار، وهو مثل فرد في قطيع، يندفع حيث يندفعون، وأمامه لحظة لا يستطيع مقاومة لذتها، وهي النزول إلى الماء في البئر، والسباحة فيه، في هذا جاذبية لا تقاوم. ومع إدراك الأم لفائدة تعلم السباحة لابنها، إلا أنه يحجب عن بصيرتها هذه الفائدة تصور الأخطار المحيطة بالأمر، ومعرفتها عدد الأشخاص، الذين فقدوا حياتهم، وبلدة الغاط صغيرة، يعرف كل فرد فيها الآخر؛ وإذا كان أبوه، وهو الناضج لم ينج من فم البئر المفتوح، وكأنه وجد ليلتهم الناس، فما بالك بهذا الطفل الرقيق.

كيف نلومها إذا ركضت توقفه ، وطبلة قلبها
تدق يسمعها من على بعد أميال ، رحم الله
والدينا ، فكم عانوا ، ونحن مرتاحون ،
وانشغل بالهم ونحن في الغي سادرون ، وكم
نمنا وعيونهم ساهرة ، وكم أدفؤونا وهم
ينتفضون برداً ، وكم وكم وكم !

يأتي المؤلف بصور متعددة لحالة الفقر
والعوز والأمراض التي تنزل بالناس ، فتفتك
بهم ، وتحصد من تحصد ، ومن تركته جعلت
عليه «دمغة» التشويه البشعة ، وكأنها تقول :
لا تنسوا أنني مررت من هنا .

تسبب هذه المآسي للمجتمع عناء ، تؤثر
على رجاله ونسائه وأطفاله ، حاضرتهم
وباديتهم . وهي صور حية ناطقة ، يرسمها

المؤلف بألوان يشع منها الصدق ، ويحوطها
الإِتقان ، وتؤرخ بدقة لحقة مرت ، وقليل ممن
سوف يقرأ ما كتب عنها يصدق بسهولة أن
هذا كان يحدث ، لأن عينيه لم تر يا غير
الحاضر ، وبين الحقتين بون شاسع .

والمؤلف ، بهذا ، يزجي فضلا على تاريخ
بلادنا ، إذ يسجل أمورا لن تُهيا لغيره ، ممن
يكتب عن حياة خاصة أن يسجلها بهذا
الاكتمال ، رغم أهميتها . ولقد جاء المؤلف
بما جاء به بصورة متقنة من حياة آبائنا
وأمهاتنا ، وحياتنا في صغرنا .

ومثل أي إنسان سوي يفخر بوالده ، يريد
المؤلف أن يعرف عن والده كل معلومات
يمكن أن تعطيه صورة تكمل الصورة

الكاملة، التي يرجو أن يصل إليها، فهو،
بروح الباحث، أخذ يتتبع مساقط الآثار،
ليعرف عن والده ما يملأ نفسه بالرضى عن
الصور التي يطلبها. هداه الله إلى طريق
ناجح موصل، وهو سؤال كبار السن، ممن
كان قريبا من والده صلة رحم، أو صداقة،
وعند جهينة الخبر اليقين .

استقى المعلومات المؤلمة التي تصف سقوط
والده في البئر، وعجزه على أثر ذلك عن
العمل، ولزومه البيت، ثم مرضه ووفاته .
عباراته تقطر ألما، وتضيء صدقا، دقته في
الوصف تجعل القارئ كأنه يرى ما حدث،
ليس لوالده فقط، ولكن لآخرين أمثاله،
مروا بمثل ما مر به والده، وانتهى بهم الأمر

إلى مثل ما انتهى به .

أذكر ، وأنا صغير ، في مسقط رأسي
عزيزة ، أناساً أصابتهم حوادث تسببت لهم
بالإعاقة ، إعاقة ذات درجات ، فهذا سقط في
البئر ، ونجا بأعجوبة ، رغم أنه وقع فوق كتفه
حجر ، لو مال يميناً أو يساراً لقضى عليه ،
ولكن الكتف مال ميلانا جعله «أكتع» طوال
حياته ، وآخر سقط من النخلة ، وتراه يمشي
على عصاه ، يحذف رجله حذفاً عند السير .
وثالث وقع من فوق «سقالة» ، وهو يساعد
في البناء ، ولم يعد يستطيع المشي ، وهو
يمشي على عجزه ويديه .

يجد المؤلف في العم إبراهيم ، صديق
والده ، الراوية ، بغيته ، فيمطره بالأسئلة في

كل اتجاه، فيشفي غليله بأجوبته،
وبالمعلومات التي تأتي دون سؤال، وفرحته
بما جمعه جعله يسارع إلى أن يتحفنا به
بأسلوبه المؤثر الذي ألفناه، وفيه من قوة
السبك، وحسن الصياغة، وحسن المدخل
والمخرج ما يأتي بالتأثير المتكامل. لقد كفانا
مؤونة الحدس والتخمين، إذ جاءنا بالحقائق
الموثقة، عن طريق التواتر وغيره.

سمع المؤلف من الراوية إبراهيم ما أثلج
صدره، رغم غلاف الألم الذي أحاط بحياة
والده، بسبب الحادث الذي تعرض له، لأن
ما ذكره الراوية إبراهيم أمر يشرف سمعة
الوالد، ويجعل ابنه يتطلع، دون أن يدري،
أن عليه أن يكون بخلق والده، وحسن

سيره، وصواب نظرتة للحياة .

إن الراوية إبراهيم لصديق بحق، لأنه رسم صورة الأب بريشة الصديق، فلم يחדش صفحة وجه حياة صاحبه، بل أظهر فيه حسن الخلق والاستقامة، والتدين المتبصر المعتدل . وهو بهذا لا يصف رجلاً واحداً، وإنما يصف مجتمعاً كان كله بهذه الصفة .

وبقيت صورة والد المؤلف في ذهن الإبن مشعة، مؤثرة عليه، دون أن يدري، تحكم سيره، في حبه لأهله، وللناس، ولعمله، ولمن يعملون معه في مهنة هي للخشونة والحزم أقرب منها للين والتساهل، ومع هذا، ومما وصف به المؤلف سيره في عمله، كان هو ممن يحمى في خطوه، وهو أمر يؤكده

زملاؤه وإخوانه ، ومن عمل تحت رئاسته .
إن المؤلف يعرف والدته جيداً ، ولكنه لم
يكن يعرف عن والده إلا القليل ، حتى
والدته لم تكن تتكلم عن والده ، لعل ذلك
رأفة منها به عن أن يسمع عن معاناته -
رحمه الله - ولهذا خرج إلى محيط أوسع
من البيت ليعرف عن أبيه من المجتمع .

يختم هذا الباب بصور شعبية ، فيها حكم
ومواعظ ، أخذها مما اعتاد الناس أن يسمعه
في حياتهم اليومية ، تأتي هذه الحكم
والمواعظ في أردية قشبية ، وقصص جذابة ،
تتسلسل من جيل إلى جيل ، لقوة ما فيها من
مram نبيلة ، تحث على العمل ، وتحذر من
الزلل ، والتماهن والكسل ، والعبث المضيع

للجهد والمال والوقت ، والصلات الطيبة بين
الناس .

إن المؤلف ابن بيئته ، وفيّ لها ، يأخذ منها
الحكم ، ويعطيها الالتفاتة والاعتبار . صورة
جميلة تلك التي رسمها للنملة الدؤوب ،
وجدلها مع أم سالم ، الطير المغرد الجميل ،
النملة بكدها وكدحها ، ومواصلة الدأب ،
دون ملل ، في تأمين عيشها ، في هذا الفصل ،
وفي فصل الشتاء القادم . وأم سالم بغنائها
وطربها ، والغرف من إناء المتعة في الحاضر ،
دون التفكير في المستقبل ، وما يحتاجه من
استعداد ، وعدم استعدادها الآن لما يزعجها ،
ومبدؤها : لك اليوم الذي أنت فيه . وكل
ميسر لما خلق له .

وفي «حموة» النقاش، وتذكير النملة لأم
سالم بالشتاء، وما فيه من قسوة البرد،
والحاجة إلى الغذاء، كان رد أم سالم، الثملة
بمتعة الحاضر، وهي تتنقل من غصن مورق
إلى آخر مثمر، وكأنها تستوحي قول
العندليب، وهو قول مشهور :
(أطير فيها من فرط وجدي

من غصن ورد لغصن ورد
فسل نسيم الأسحار عني
كم هزَّ عطف الأغصان لحني)
«يومٍ من طربي يسواك يا معكوفة الذنب»

سارة

العمة سارة امرأة مدهشة ، قليل من النساء
يتمتعن بالصفات التي تمتع بها العمة سارة ،
وصفاتها النادرة تجعلنا نلقبها بلقب «أخت
الرجال ، أو شقيقتهم» ، ولو لم يدون اللواء
عبدالله مذكراته هذه ، ويعطيها قسطاً وافياً
عنها ، لطواها النسيان ، ولم تعرف تلك
الأنوار التي كانت تضيئ بها مجتمعتها . ومن
يخلد ، رجلاً كان أو أنثى ، هو من يكتب
عنه ، ومن تسجل حياته . أما إذا لم يكن هذا
فإنه يدخل زمنه ، ويبدع فيه ، ثم بهدوء
يدلف من هذا العالم إلى مصير كل حي ،
وكان الضجيج ، الذي أحدثه في مجتمعه ،

لم يحدث ، ولم تزاحم موجات أقواله
وصوته موجات الأثير ، في يوم من الأيام .
عاشت العمة سارة في زمن الكد والكدح ،
والمعاناة المعتادة في ذلك الزمن . كانت يدها
- رحمها الله - مع أيدي الرجال والنساء ،
تساعد بأبعد ما يمكن أن تصل إليه يدها ،
وبأعمق ما يمكن أن تغوص إليه .

هي رجل - رحمها الله - في بذل الجهد ،
وحمل الأعباء ، والكد والكدح والمعاناة ، بل
لعل بعض الرجال كان يتمنى أن يكون
ببراعتها وبإقدامها وبإرادتها وإنجازها .

العمة سارة خبيرة بالطرق التي تدخل منها
إلى عمق نفوس الناس . أنظر إلى ما عملته
مع الأجير الذي كان يعمل ليتزين بذلك

عند النساء، فتثبت النساء أعينهن عليه،
فخدعته، وأوقفت خيال امرأة، كان يظنها
حقيقة، فكان يبذل الجهد، مثل الحمار الذي
يجري وراء الجزرة، المعلقة بعود مُدَّ أمامه.
والتصرف مع النفس فن دقيق، لا يجيده إلا
النابهون .

كانت العمة سارة بأعمالها قدوة للنساء
الأخريات، وملهمة لهن، ومنهن من تغطها
على أعمالها، ومنهن من يحاولن أن
ينافسها ويسابقنها، ولكن هيهات . ورغم
تقدمها في السن فإنها كانت دائماً المبرزة.
لقد استطاع المؤلف بقدرة فائقة، وبراعة
نادرة، أن يرسم صورة مضيئة لهذه المرأة
المكافحة، الناجحة فيما تُقدم عليه . إنه بما

كتب عنها أعطى نموذجاً للمرأة العاملة
المخلصة، مما يجعلنا نفخر بالمرأة في بلادنا .
إن وقت العمّة سارة لم يكن كله لها،
ولشؤونها، وإنما كان أغلبه لخدمة الناس،
من أقارب وأرحام وجيران وغيرهم من هو
في حاجة إلى العون من انقطعت بهم
السبل . إن القارئ لسيرتها المختصرة هذه،
ليعجب كيف تجد وقتاً للراحة والنوم . إن
حياتها اليومية قصة ممتعة . لقد رسمها
المؤلف بدقة، فنقل القارئ إلى محيطها،
وكأنه ينظر إلى ما وصف .

تتبع حديثه وهو يصف تحركاتها اليومي،
وعش معها، ومع « حمريّة » عنزها المخطوطة،
وما تعمل لها العمّة سارة، وما تعمل

بإنتاجها ونتائجها . ومن هذا المنطلق يصل المؤلف من الصورة الخاصة إلى الصورة العامة للمجتمع ، والنساء العاملات فيه ، وهي صور تكمل صورة المجتمع بكامله . والمؤلف يحرص على مظهر التماسك فيما يلمسه قلمه ، فينتزع القارئ من موقعه ، ويجعله يعيش معه في معلوماته وصوره ، وشعوره وعواطفه ، لا يبخل بشيء يمكن أن يمد به يده إلى قارئه ، وهذه صفة الأمين فيما يُقدم ، المخلص لعمله ، المحترم لفكره .

والعمة سارة ، رغم سنّها ، ليست حاملة أو متوانية ، إنها شعلة نشاط ، حسب فصول السنة ، تجدها اليوم في بيتها في البلدة ، وفي فصل آخر تجدها في المزرعة ، تساعد في

مختلف أعمالها ومتطلباتها، «تخرف»
التمر وتجنّيه، وتجمع الخضار والفواكه،
وتحصّد القمح، وما إلى ذلك، من رعاية
للناس والدواب في المزرعة .

إن المزارع، في كل فصل من السنة، هو
شعلة نشاط، وإذا كان عماد العمل هم
الرجال، فالنساء مساندات للرجال في
العمل، كل طاقة فيهن مستغلة، وما يقمن
به لا يقل إجهاداً وتعباً عما يقوم به الرجال .
والمرأة عند العمل تنسى أنها امرأة، هي كتلة
حركة، يأتيها الطلق أحياناً وهي «تروس»
تصرف الماء بين الأحواض، أو «تدوس»
سنابل القمح مع الحيوان المختار، أو «تعشب»
الحشائش وتنظفها من الأحواض، أو تذهب

إلى البراري في أواخر الليل ، تجمع الأعشاب
أو الحطب من الرياض ، القريبة من البلدة .
تُرى منحنية حينا ، تجمع الربلة والبقرء
والبقير والقرقاس . ناسية نفسها ، تلد
جنيها أحيانا وليس معها أحد ، «تسرّ»
الرضيع الوليد ، و«تمهده» ، وتنهاي «وجبة»
العمل ، من تصريف المياه ، والتعشيب ، قبل
أن تأتي به تحمله إلى أهلها ، وهي مثل مريم ،
أتت به قومها تحمله ، بعد أن ولدته في معزل
عن الناس ، إن حياة أمهاتنا وجداتنا أبعد من
الخيال .

لقد ذكرت في مذكراتي ، «وسم على أديم
الزمن» ، أن والدتي - عليها رحمة الله
ورضوانه - ولدت أولى أخواتي ، حصة ، على

طرف المقبرة، وهي في طريقها من بيت والدي إلى بيت والديها، وكانت قد أحسّت ببوادر الطلق منذ الصباح، ولكنها لا تريد أن تترك برنامج عملها اليومي، وآخر ما فيه تقديم العشاء «مسيّان» لجدي، كبير السن. كان من نتيجة تأخرها أن جاءها الطلق قبل أن تصل إلى بيت أهلها، وكانت المقبرة في الطريق إليهم، فجلست في طرف من المقبرة، على أذان المغرب تماما، وكنت معها وأنا صغير، فقالت أركض لخالاتك، قل لهن أن أُمي أوجعتها رجلها، وجلست عند طرف المقبرة، وكانت إحدى خالاتي قد شرعت في الصلاة، فأدهشني أنها قطعت صلاتها، وأخذت هي وأختها سراج «التنك»،

وركضتا ، لدهشتي إلى حيث تجلس الوالدة ،
ولم أكن في سن تسمح لي بتفسير الأمور ،
ولم أعرف شيئاً إلا في صباح اليوم التالي
عندما رأيت أختي .

إن الطلق وقته ونهايته ، لا يخضع للعادات
والتقاليد ، ولا تعنيه مراعاتها . هذا الجنين
المقبل يجرب لأول مرة مدى سلطته على
والدته ، تمهيداً لإثبات مقدرته فيما بعد على
نشر سلطته على كل من حوله . كم من امرأة
ولدت في السيارة ، وهي في طريقها إلى
المستشفى .

كان أحد الإخوان في شتاء سنة من
السنوات مخيماً في طريق خريص ، على يمين
السائر إلى الظهران ، وكنا نزوره ، ويزوره

بعض الإخوان ، ومعهم أسرهم . وكنت
داخلا من خط الأسمنت إلى حيث الخيم ،
وكان خال أخي محمد قادماً من الخيم ،
مستعجلاً يريد خط الأسفلت ، وهو يؤشر
لنا : «إبعدوا الباخرة وصلت» ، وهو رجل
مرح - رحمه الله . ولم أفهم مقصده ،
وكانت معه زوجه في السيارة ، وقد عرفت
أنه جاءها الطلق وهي في الخيم .

يتخذ المؤلف من العمة سارة وسمرها ،
وقصها قصص الأجيال الماضية ، والأطفال
محلّين حولها مثلاً لنساء نجد وقت السمر ،
وما كن يقمن به في هذا المجال ، قصص فيها
اعتبار وعظة وتسلية ، تشد السامع ، يفضبه
بعضها ويطر به غيرها ، والأطفال لا يملون

سماع هذه القصص معادة مكررة عشرات
المرات ، ولا تتوقف القاصة ، إلا إذا غلبها
النوم ، أو غلبهم ، بعد التأؤب الذي يساعد
على جلب النوم ، وكلا الطرفين مجهد من
عمل النهار ، لا يحتاج إلى «هندول» يهزهز
فيه لينام . تكرار هذه القصص لا يهم ،
ويبدو أن المهم هو الاجتماع بالقاصة وسماع
صوتها ، ونغماتها عندما تجسد القصة
وأحداثها ، وقد تطعم هذا بأصوات بعض
الحيوانات والطيور ، حتى تأتي القصة حية ،
كأن المستمع يعيشها .

وقد لفت نظر المؤلف أمر يستحق الالتفات
حقا . وهو أن كل القصص ، إلا ما قل ، تأتي
الخيانة فيها من المرأة ، مع أن الخيانة لا تأتي

إلا من اثنين. وهذه ملاحظة نابهة ، وفي محلها. لعل أن يأتي باحث يدرس القصص الشعبي بعمق، ويصل إلى ما يكمن خلف هذا الاتجاه. لو كان الذي يقص هذه القصص، التي تروي خيانة النساء، رجل، لما استغربنا، ولوجدنا له العذر، ولكن القاص عادة امرأة، ولكنهن في تلك الأيام محملات بالعمل، ولم يطلبن المساواة بالرجال، في كل شيء يعملن كل ما يعمله الرجال، ولكنهن لا يقلن إننا عملناه. جاءت في ذهني فكرة، وأنا أكتب هذا المقطع، قد يكون أول من قص هذه القصص رجال، ثم انتقلت من مجتمع الرجال إلى مجتمع النساء والأطفال، على كل حال، ننظر إلى أن

يسر الله من يبحث ويستقصي ويأتي بما
يشع نوراً في هذه الزاوية الداكنة .

يعطي اللواء عبد الله في هذا المجال صوراً
صادقة لأوقات المساء، وسمر الناس،
ونومهم، وتهيئة وسائل الراحة لذلك،
خاصة وأنهم يأتون للنوم مرهقين يتطلعون
بلهف إلى الفراش، الذي قد لا يزيد عن رمل
برح، ليكون تساويه مساعداً على النوم
المريح، فلا إمكانات تسمح بفراش وثير، إلا
لقليل من الناس، أما أغلب الناس، خاصة في
الصيف فالنوم على الأرض هو المتوقع
لمحدودي الحال، والأرض أم رؤوم منها جئنا
وإليها نعود .

شغف الناس على النوم مثل شغفهم على

«سقامة» الأكل ، عند قرصة الجوع ، ألم
يصورها أحدهم بقوله الذائع :
« واويل الجصة وان جيته

وأكل عشر قبل اسمي »

لا يلام ، ألم يقل إن «الجوع كافر» ، فالأكل
بدون البدء «ببسم الله» مخالف للدين ،
وصاحبه آثم ، ولكن الجائع يذهل عن هذا
وأكثر منه ، رغم تذكير الصبي بأهمية ذكر
الله ، لأنه إن لم يقلها شاركه الشيطان في
أكله ، كل شيء مقبول إلا أن يشارك هذا
المسكين في أكل لا يكاد يطفى جوعه ، ثم
يزيدون في الحث على أن يأكل ما في الإناء ،
فإنه لا يبقى في البطن يوم القيامة إلا
«اللحاسة» !! ، ينفذ هذه الوصية قبل أن

تبلغه ، لأن قلة الأكل توجب ذلك ، ولعل من
قال هذا أحد الأغنياء .

ورغم شظف العيش الذي كانوا يعانون
منه ، فإن العمة سارة تغطهم عليه ، فهو في
عينها عيش ترف مقارنة بزمان تذكره عندما
كان الشخص يطير فرحا ، لأنه عثر على
عظم وجده في أحد الأماكن المهجورة ، وهو
أمر تذكره العمة ، بأسى ، عن عهد أجدادها ،
عندما كان الخوف ، مظلا على الجزيرة ، قبل
أن يوحد الملك عبدالعزيز المملكة ، وينشر
الأمن والاستقرار ، فيفلح المزارع أرضه ،
ويسابل التاجر دون خوف أو وجل ، فلا
قطاع طرق ، ولا جيوش يضطر الفلاح
والتاجر إلى ترك عملهما ، والمشاركة فيها ،

حماية لبلده، ودفعاً لشرور البادية
والحاضرة، من الطامعين، أو من دفعهم
القحط والجذب إلى الإتيان بما لا يقبله
المنطق ولا العقل، وقبل ذلك يرفضه الدين،
حتى أصبحت غارة شعبة من قبيلة على قبيلة
أخرى مجبرة لا مختارة، لأن «الجوع كافر» .
» ونغير على أخينا

إذا لم نجد إلا أخانا »

ويبدو أن العمة سارة اكتشفت في الصبي
عبدالله شيئاً جذبها إليه، تعطف عليه
بشكل واضح، وتبره ببعض ما يفرح
الصغار، وهو ممتن من هذا، رغم أنه اكتشف
أن بعض ما تعطيه إياه العمة من التين، الذي
تعهده العمة من ثمر الجنة، هو في الحقيقة

يابس صلب ، لم تستطع أسنانها الهرمة أن تقضمه ، وقد حاولت فلم تفلح ، ولكن أسنانها تركت أثراً وشى بما قامت به من محاولة ، وزاد الطين بله أنها كانت تخفيه تحت طيات ثيابها ، مما أعطاه رائحة قللت من بعض صفات فاكهة الجنة هذه ، وإذا كانت العمة ذكية ، فقد شاب ذكاؤها معها ، أما هو فقد بدأ ذكاؤه ، وأمامه طريق طويل للاستفادة منه ، لأشياء أعمق وأعمق .

ورسم المؤلف صوراً عن شجاعة النساء ، وهذا مؤكد ، أمام من يحاول أن يعتدي عليهن ، وهن منفردات في البر ، يسعين ، جاهدات ، في كسب عيشهن ، فيهاجم المنفردة ، ظنا منه أنها ضحية سهلة ، ولكنه

يعود خائباً ، لأن المرأة ومعها الحق ، أقوى من الرجل ومعها الباطل .

والحوادث في هذا المجال متعددة ، وقد فازت فيها المرأة بقصب السبق ، وتغلبت بجدارة ، على المعتدين . حدث هذا لنساء معروفات ، وقد ذكرت في أحد مؤلفاتي ، عن بعض النساء اللاتي ذهبن للبر ، كالمعتاد وقت الربيع والخصب ، لجني الكلاء ، إحداهن تحشه ، وتأتي به إلى البلدة فتبيعه ، أو تعلق به ما لديها من حيوان مدر للبن ، عنراً كان أو بقرة .

ذهبت امرأة معروفة من أسرة كريمة ، إلى البر ، تجني الكلاء ، قبل طلوع الشمس ، ولاحظت أن هناك رجالاً « يباريها » ،

ويسايرها في سيرها وهي تحش ، مختبئاً
ومنحنياً خلف «العشامير» ، الشجيرات
القصيرة الكثة ، وهي «تلخسه» بعينها ،
مثلاً كان هو يفعل تجاهها ، وكانت
أعصابها أقوى من الفولاذ ، فلما وصلا إلى
نهاية صف الشجيرات انقضت عليه ،
ووضعت مخلب الحشيش على رقبتة ،
وطرحته أرضاً ، وخاضت بحوض بطنه حتى
أغمي عليه أو كاد ، فوضعتة في وسط الكلاء
الذي جمعته ، وربطت أطراف «المشر» الذي
وضعت فيه حصيلة ما جمعته ، وحملته إلى
بيتها ، وصادف أن والدها ، أو لعله زوجها ،
كان خارجاً من البيت ، فقالت له إن في المشر
«ربيطة» ، إسرع بإخراجه قبل أن يتجمد من

البرد والرطوبة .

وفي هذه القصة ما فيها مما يري الجرأة
والشجاعة ورباطة الجأش ، وقوة الأعصاب ،
والثقة بالنفس ، وبهاء الإرادة .

العمة سارة مرت بشيء مثل هذا ؛ كانت
مع ثلاث من صاحباتها ، ذهبن للبر يحتطنن ،
وهي في البحث عن الخطب المتناثر انفردت
عنهن ، فهاجمها رجل أسود ضخم الجثة ،
فصرعته ، وألقته أرضا ، فهرب ، ثم عادت
إلى عملها ، ثم فكرت أن هذا النذل ربما قام
بمهاجمة إحدى صويحاتها ، فلحقت بهن ،
فوجدته فعلا في صراع مع إحداهن ،
فصرخت فيه ، وأقبلت عليه هاجمة عليه ،
فهرب . هذه المرأة الشجاعة ، تعجبت من هذا

الرجل الذي خاب في سعيه مرتين، وفي المرة الثانية وهو ينسحب التفت إليها، وهو مدبر، وقال : « حرمتيني، حرمك الله من الجنة » !!

تمتعت روعي بالباب الذي وقفه اللواء عبدالله على العمدة سارة - رحمها الله رحمة الأبرار - ، ووقفتُ معجباً بالصورة المعبرة الناطقة التي رسمها المؤلف، ولم تقتصر على تمثيل حياة فرد، بل مثلت حياة أجيال، لقد مثلت جيل حياة العمدة سارة، ثم جيل أمه، ثم جيله . وكان الجيل حينئذ لا يتغير هو ومجتمعه إلا بعد مئتي عام أو أكثر، أما الآن فهو يتغير كل عشر سنوات، أو أقل . حيث الزحف الخارجي مع الأرض والسماء،

ومع البضائع القادمة ، والسلع المستوردة ، لم
يترك للناس فرصة للثبات على مظهر
جديد .

رحم الله العمة سارة ، فقد أوحى لابن
أخيها بكل هذه الدرر البهيّة الزاهية ، ولولا
الحديث عن العمة سارة ما كنا تمتعنا هذه
المتعة ، متعها الله بجنات نعيمه . اليوم كلما
جاء اسم سارة « تلحظنا ذكرياتها » .

لا يأس مع الحياة (١)

اللواء طيار عبدالله بحسه الأدبي، وبوعيه الاجتماعي، رأى أن هناك ما يمكن الاستفادة منه من عمته سارة، المجربة، الصادقة، التي عركت الحياة، فسألها عن أمر هو الشغل شاغل في ذهن المجتمع، وهو زواجاتها المتكررة. وما تبعها من طلاق متعدد، وهل هناك خير من العمة سارة، التي مرت بسبع زيجات، يجيب على هذا السؤال؟! وكأن اللواء عبدالله يعرف ما في أذهاننا عن زيجات العمة وتكرارها، وما يكمن وراءها

(١) «عشت سعيداً»، ص : (٢٨)

من أسرار، ومن المعلوم .

وتجيب العمّة سارة إجابة وافية كافية شافية، وتشرح بصدق وأمانة، أسباب الزواج والطلاق في كل حالة، ولولا أن الزمن أرهقها، وفعل أخاديه في وجهها وجسمها ما لا مزيد عليه، لما بقيت مع آخر زوج .

ليس هناك خير من العمّة سارة مؤهل للإجابة على هذا التساؤل، وهي، وإن كانت صاحبة حال فريدة في هذا الأمر، إلا أن لكل زيجة أسبابها. ولكل طلاق ما يوجبه. ولكن المتابع لا يستطيع أن لا يلوم العمّة سارة، لأن لها طبعاً لم تستطع أن تغلب عليه، فغلبها، وأدى بها إلى الطلاق، من شخص هي تعرفه

جيداً، وهو من مجتمعها، وأصيل فيه وليس طارئاً. تقدم العمة سارة على الزواج باقتناع، ثم تبرز طبيعتها التي تهوى الاستقلال، فتُفسد الزواج بالطلاق.

قليل من الناس تواتيه الفرصة، في ذلك الزمن، ليجد طريقاً لكشف ظاهرة مقلقة في المجتمع. هناك من يكتفي بزواج طوال عمره، وهو من ينظر إليه أنه هو القاعدة الثابتة السليمة، لأنه أساساً لم يأخذ الزوج للمتعة، وإن كانت المتعة حاصلة، وإنما أخذها لأن الله سبحانه وتعالى، أراد لهذا الكون أن يعمر، أما تعدد الزواج، وانتقال الزوج كالنحلة من زهرة إلى زهرة، ففيه من المزعجات ما يجعل المرء يقف ويفكر قبل أن

يقدم عليه ، لأن بعض الناس ليس لديه القدرة المالية لأن يعيش أزواجه وأولاده المعيشة المريحة ، وإن كانت عنده القدرة ، فإن التربية تبقى مهمة ، مهما حاول والد الأولاد إتقانها ، حسب أصولها ، وهناك فرق بين الأخ الشقيق وغير الشقيق ، وإذا حكمهم وقت حياته ، فالاختلاف الأكبر وقت وفاته . وقد يكون من يتزوج ثانية ، مع وجود الزوج الأولى ، فإنه يدعى له بأن يعينه الله ، إلا إذا تزوج صغيرة ، وصار الفرق بين سنيهما كبيراً ، فالناس لا يجدون سبيلاً للدعاء له . ولا أود أن أدخل بعمق في هذا المجال ، حتى لا أبعد عن موضوع العمّة سارة كثيراً .

بقي نقطة واحدة، تلح عليّ، أن لا أتركها،
وهي أن الذين كتبوا عن فضائل تعدد
الأزواج، هم رجال، ولا تجد امرأة سوية تدعو
إلى ذلك، أو تقبله، وهي أعرف بزوجها،
ولو كتبت المرأة عن هذا لظهر الخفي، ولا
اعتدلت الكفة؛ وسيأتي هذا مستقبلاً بعد
أن تعلمت المرأة، ومن أوائل صرخاتها، التي
لم يعد بالإمكان تجاهلها، وقد آتت أكلها،
زواج الكبير بالصغيرة جداً، والحجة أن
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تزوج
عائشة وهي ابنة تسع، وقد تبين بالأدلة
القاطعة أنه لم يدخل بها إلا وهي أم ثمانية
عشرة سنة .

أبعدنا عن موضوع العمة سارة - رحمها

الله - لأننا توقعنا أن يكون ما جال بذهننا ،
وما استطردنا إليه ، هو ما جال في ذهن
اللواء عبدالله ، أعطانا طرف الحبل ، وتركنا
نتبعه إلى مدى قصير ، لأن الحبل طويل .

في زيجات العمّة سارة تبين طبيعة الرجال
المنفرة للنساء ، تعطينا العمّة سارة القصة ،
وتترك لنا التحليل ، والتحليل ممتع ، ولا نأتي
منه بمفتعل ، إنه أمامنا في المجتمع ، لا يغيب
عن الذهن ، يجدده ما نراه حولنا ، وما نقرؤه
في الكتب والصحف ، هو عندنا وعند
غيرنا . ضحكت عندما مرّ في حديثها أن
أحد الأزواج كان يكبرها بسبع سنوات ، ما
أضحكني هو ما أعرفه عن بعض الأزواج
الذين تزوجوا من هي في سن حفيدته .

رحم الله العمة سارة «حكوية»، متشرطة،
ما كل شيء يعجبها، ليت الرجال عند قيام
مشكلة، ينقلون أنفسهم من موقعهم إلى
موقع من أمامهم من النساء، أمهات كن أو
أزواجاً أو بنات، ليعرفوا شعور من أمامهم
قبل أن يحكموا، أو يتصرفوا، أو يقدموا
على عمل لو تأنوا فيه لوجدوا ما عملوه هو
عين الخطأ. وعين الخطأ هذه، نبه عليها
القرآن من قبل، وقال: «ولن تعدلوا»،
ولكن عيون الرجال لا ترى إلا ما تريد أن
تراه، ويعميها الضوء الساطع، نعم يستطيع
الرجل أن لا يحتاج إلى العدل إذا توفيت
زوجه، وتلمس الزوج زوجاً أخرى، أو كانت
الأولى معوقة إعاقة تامة، أو كانت في

غيبوبة . هنا يستطيع أقل الناس علما أن
يفتي بأن العدل سوف يكون متوافرا .
أراني أستطرد ، ولا أتنبه إلى ذلك إلا
عندما أجد أنني أبعدت ، ودخلت إلى عمق
الدو ، فأخشى العطش وأعود . تُرى هل أنا
الذي يسير القلم ، أو أن القلم طفح به
الكيل ، ونفذ صبره وهو ينتظر مني أن أوفي
أمر الزواج حقه ، فتمرد ، واستعمل حقه ،
فاقتاد الأصابع إلى ما يريد ، ولم يخطر بباله
أن أصحاب التعداد من أصدقائي سوف
يجفونني ، خصوصا أولئك الواقعون في
مشاكل التعداد ، وأصبح لا يُسري عنهم إلا
أن يوقعوا آخرين ، ويعيدوا قصة «أبي
الحصين» الثعلب ، الذي قطعت المصيدة ذيله

ونجنا ، فلأجل أن لا يُعرف أنه هو الذي دخل
المزرعة ، ليأكل من دجاجها ، أخذ يدور على
الشعالب يحذرهم من رجال السلطان الذين
يبحثون عن الشعالب ذات الذيل ، ليقتلوها ،
ويأخذوا أكبادها دواءً لوباء بدأت تظهر
علاماته . فقطعت الشعالب أذيالها ، وقضت
على عضو فيها جعله الله ليؤدي دوراً في
حياة الشعب .

أعتذر لأحبائي من أصحاب التعداد ، وهم
في سويداء قلبي ، وأقول لا تلوموني ، ولكن
لوموا القلم ، ولو استقبلت ما استدبرت من
أمري ، لأغضبت القلم ، رغم حاجتي إلى
رضاه . إن كان القلم جريئاً أكثر مما يجب ،
فأنا أمام أحبائي جبان جداً ، ولكنني جريء

على التقهقر والاعتذار. الحقيقة ما القلم إلا مشجب أعلق عليه ما أجن أن أقرّ به، والحمد لله أني شيخ هرم، فلا أحد يتهمني بالتقرب إلى النساء بما أدليت به هنا .

أما أمر تعليق الأخطاء على أناس آخرين، مثلما علقت ما قلت على مشجب سن القلم المتمرد، فلست بدعا في هذا، ولن أضرب مثلا بأفراد، بل بدول. هناك دولة كلما حدث فيها خلل قالت : لقد لعب أصبع المملكة العربية السعودية، فابحثوا عن السعودية في أسباب هذا الخلل. طلق رجل من رجال هذه الدولة زوجه فقيل لماذا طلق زوجه، أجاب الآخرون : ابحثوا عن السعودية فهي بلاشك وراء هذا الطلاق.

والسعودية لا تدري عنهم، وتقول كما قالت
البعوضة للنخلة، عندما أرادت أن تطير،
قالت للنخلة تمسكي، فإنني سوف أطيّر،
فقالت النخلة: لم أدر أنك وقعت حتى
أتمسك عندما تطيرين .

في هذا الباب كما في الأبواب الأخرى،
يأتي المؤلف بالحقائق الحساسة، في ثوب عفة
نقي، يفيد ولا يصم الأذن، ولا يرمي بقذى
في العين، ولا يلحق أذى بالنفس، ولا خدشا
في الروح، يُلْمِز المؤلف، ولا يصرح،
ونفهمه جيداً كما أراد لنا أن نفهمه، وهذه
صفة الكاتب الخير العفيف، الذي لا يندس
السّم في العسل، ويفتعل الأقوال عن
الجنس، أو الهجوم على الأقوياء، ليدرج ما

يكتب في أوساطٍ تبحث في «مقالب
القمامة». انظر كيف عالج طلاق العمّة
سارة من زوجها، لقد عالج جوانب حساسة،
وكأنه يسير على شوكة، قدرنا له قدرته
على البسط والشرح، دون أن تزل قدمه، أو
يجنح أو يجرح .

وأنت في قمة نشوة القراءة، والتمتع بما
سطر أمامك، ولحسن العرض، وتماسك
الأفكار، تطل عليك لحظة من ثقافة اللواء
عبدالله العامة الواسعة، منبئة بأن شمعة
ستضاء أمامك، وتجده اقتبس لك من الأدب
العالمي ذرة، يهديها لك وأنت قاعد على
كرسي وثير، أو مضطجع في السرير، وقد
جاء، نيابة عنك، آفاق الثقافة العالمية،

ليعطيك ثمرة غزوته الطويلة على طبق من بلور، فيقول لك، مدللا على فكرة تطرق لها، هذا مما يعضدني: قال «مارتن لوثر كنج»، داعية حقوق السود:

« لا يستطيع أحد الركوب على ظهرك إلا إذا كنت منحنيا »

هذا قول صادق التقطه إنسان ناب، التقطه اللواء عبدالله، فخرنه في ذاكرة واعية، ومخيلة مضيئة، والتمسه عندما احتاج إليه، ليمثل به حال عمته سارة مع زوج لا يستحق جوهره مثل هذه، ولعل سوء معاملته لها جعلها تتحول إلى حصان جامح فيما بعد، فالعقد النفسية تتأصل، وتعمق من مثل هذا السلوك من الأزواج، غير الرحماء .

تمتع أيها القارئ بهذا الباب ، فهو حقا
ممتع ، قبل أن تنتقل إلى أبواب ربما تقفزها ،
لما فيها من تخصص في الدراسة والعمل . أما
هذا الباب ففيه جوانب مشعة ، وفيه جوانب
مظلمة ، ومهما وصفت ما فيه لا أصل إلى ما
سوف يخرج به القارئ من قراءة الأصل ، لأن
كل حرف من حروفه مختار ، وكل جملة
موزونة ، وكل معنى وضع بإتقان ؛ جمل
متماسكة ، وأفكار يحدو بعضها بعضا ، مثل
هذه يظلمها حقها الاختصار ، لا بد من
قراءتها كما خطها يراع الكاتب ، ورسمتها
ريشته البارة .

كل قصة من قصص زيجات العمة سارة

السبع سوف يجد بعض القراء كما وجدت .
إنه لا يكفيها قراءة واحدة، إن فيها نفعاً
كبيراً للقارئ أيا كان ؛ تصلح للكبير
والكبيرة، وللشباب والشابة . إنها تفتح
نوافذ، أتقن فتحها مؤلف موفق، حسن
نيته، ونبل قصده، وصفاء هدفه، أدى به إلى
أن يأتي بالقول مضيئاً معبراً نافعاً جاذباً .

أجد صعوبة في أن انتقل من هذا الباب
المتع، ولكن لا بد لي من ذلك . وقبل أن
أنتقل منه أود أن أشير إلى شمعة أخرى فيه
مضيئة، تكشف سعة اطلاع المؤلف،
وانتقائه للدرر التي تمر به، تأتي في صنعة
حكم قالها حكماء، تبصروا في الحوادث

التي تمر بهم ، وخرجوا منها بتجارب لم تعد ملكهم وحدهم ، ولكنها ملك العالم أجمع . وهؤلاء الحكماء أناس قبلهم قراؤهم في العالم أجمع ، لميزات فريدة فيهم ؛ ولهذا فلا عجب أن يأتي منهم ما يتلقف ، ويحرص على أخذه ، ويُعرض عليه بالنواجذ ، «ونيلسون مانديلا» واحد من هذه الإشاعات ، التي أنارت الطريق إلى سهول فسيحة من الكسب والإنجاز ، اجتذبت سيرته مؤلفنا ، وجاء الوقت الذي يجد فيه فائدة ما خزّنه من سيرته . وليفيدنا به في هذا الباب ، الذي كان ينوء بحمله مثل دابة تحمل أكياساً من الملح ، فدخلت النهر ، وتخلصت من الملح

الذي أذابته المياه. يقول «مانديلا» :
«إن أعظم ما في الحياة ليس السقوط بتاتا ،
بل الوقوف بعد كل سقوط» .
إن مؤلفنا تخلص من عبء الذي كان على
كتفيه ، إذ أذابه قول «مانديلا» .
هذا الحديث جرّ العمة سارة إلى صور
أخرى من المعاناة ، ومقابلة الشدائد ،
وصعوبات الحياة ، التي قابلتها من الحياة
ومن أبيها ، ومن بقية الأسرة ، إذ أن المجتمع
واحد ، وصغير ، والمعاناة في جنباته متماثلة .
إن أسئلة اللواء الطيار ، ابن أخيها ، تشير
أشجانها ، فهذه المرأة القوية الشجاعة ، التي
طالما شحت بدموعها أن يشاركها فيها أحد ،

وحببتها في مكان أمين، غلبتها في آخر المطاف، وانهلت مثل المطر، عندما تذكرت ابنتها الوحيدة وأولادها الغالين، وتصورتهم وهم يغادرون هذه الحياة. لقد جاءت هذه الدمعة سيلا مدارا، لأنه حتى هذه اللحظة كانت الدموع في حرز أمين، وقد وجدت الآن السبيل إلى الخروج إلى سهل الحرية الواسع، فتدفقت تخفف عن هذا الصدر الصبور أحمالا طفق بها الكيل .

مجتمع القرية (١)

يبدو أن المؤلف ، مثلنا ، لم يستطع أن يترك الحديث عن عمته سارة ، رغم أنه انتقل إلى موضوع آخر ، ولا يلام فالعمة سارة منجم أعطى ويعطي الكثير ؛ لهذا اتخذها مدخلا للحديث عن والدته العظيمة ، التي كانت تشبه عمته سارة في الحزم واتخاذ القرار الصائب .

ندخل مع اللواء طيار عبدالله ، روضة غناء ، عن سيرة عاطرة لسيدة ملأت إناء الفخر في المجتمع ، باستهزائها بالفقر ، وتحديها إياه ، ونجاحها في التغلب عليه ،

(١) «عشت سعيداً» ، ص : (٤٦)

وإِقائه تحت قدميها صريعا، لإيمانها أن
التواكل والكسل هما خدنا الفقر، والبيئة
التي يزدهر فيها نصره. فعاهدت الله أن لا
يجد التواكل والكسل سبيلا إليها، وأن
تشمّر عن ساعد الجد، وأن تتلمس أسباب
الفلاح، بالكدح والنصب والتعب والجهاد
والاجتهاد، وأن لا تطأطئ رأسها
للصعوبات، وإذا انتصبت أمامها شدة دارت
حولها، وختلتها من الخلف، ووقفت - بعون
الله - على جثتها منتصرة، رافعة سلاحها
الذي أنهت به خصومها من الصعوبات
والشدائد والعقبات والمثبطات والمشكلات .
كانت لديها عزيمة لا تضعف، وإرادة لا
تلين، وصبر لا يتزعزع، ودأب لا يكل، وأناة

في غير تراخ، وإقدام من غير مجازفة أو
تهور. كانت حساباتها - رحمها الله -
دقيقة، وسيرها موزوناً، وكانت نظرتها
بعيدة، قبل أن تخطو تقدر لقدمها موقعها،
حتى لا تنزل، ويسقط الجسد .

إن من يتابع خطتها التي انتقلت بها
لزوجها من آلام الفقر التي عاناها، ووقوفها
منتصرة في أعلى الجبل، رافعة علم الفلاح،
ومثبتة له، لا يسعه، وهو يشاهد هذا
النجاح، إلا أن يقول: « عفية يا أم عبد الله »،
أراحك الله في جنات النعيم، تحت ظلال
وارفة وأنهار جارية، فقد أحسنت السير،
وأتقنت العمل، والله لا يضيع أجر من
أحسن عملاً، بل يضاعف له الثواب

والأجر ، يضاعفها وهو أكرم الأكرمين .
عندما يقرأ أبناء اليوم عن شطف العيش
الذي كانت هذه الأسرة تحت وطأته ، لا
يصدقون ما يقرؤون ، ولكن عليهم أن
يصدقوا ، لأن ما قيل هو عين الحقيقة ليقروا
عن تركة والد عبدالله ، وما كان يمكن أن
يأتي منها ليسد ديونه ، وتصوروا البيت وما
فيه من إدقاع ، يتيم وأمه وأخته ، ليس لهم
عائل ، ولا مصدر رزق ، فقد مات الوالد
المديون ، وتركهم ليقابلوا الدين ، تركهم من
غير أن يكون عندهم ما يقتاتون به ، تركهم
وليس عندهم إلا « جوع وفقر وغلدة » .
تبصّر كيف تشحذ الحاجة نبل الهمم ،
وكيف يدافع الجوع والعوز ، والحر والقر ،

وكيف يغوص المحتاج، ذو الهمة، إلى أعماق
النفس، لبحث بين طياتها ما يجعله ينفذ
عن نفسه غبار كل ما يمكن أن يثبط من
عزمه، أو يقلل من اندفاعه، في تلمس
الطرق إلى سلم الغنى، ومطالع المجد،
ودرجات السؤدد .

الفقر والحاجة والعوز نار تتأجج تحت
مرجل العزم والتصميم، حتى يغلي الرجل،
فيجد البخار طريقه للتنفس . فينضج
الوجبة . ليس هناك طريق مجد إلا وفيه
نتوءات، يعثر من يسير عليه إلى هدفه
النبيل، ولكنه بلمحة البرق ينهض، وينفذ
الغبار عن ثيابه، ويستمر في المسير، ولكل
جواد كبوة، ولكل سيف نبوة، ولكن العزم

الصادق يفل الحديد ؛ وما أحلى النجاح بعد
الكفاح ، وما أحلى النهوض بعد العثار ، إذا
جاء نتيجة اجتهاد ، وحسن قصد ، وسلامة
نية . ما على المكافح بعد هذا إلا أن يقول :
« صحّ مني العزم والدهر أبى »

مهر والدّة اللواء طيار عبدالله ، عندما
تزوجت ، كان خمسين ريالاً ، وعلى هذا
فقس ، واعلم أن هذا المهر لم يدفع ، بل بقي
ديناً على الزوج ، مات ولم يسدده ، أقرأ في
الكتاب كيف سدد هذا المهر بعد وفاته .
واقراً ما دار من حديث مؤلم ، ولكنه طريف ،
بين الأم ووكيل الورثة ، واقراً المفاوضات
الرائعة ، التي دارت ، والتي يعجز عنها أعتى
سياسي هذا العصر ، إقرأ كيف ربحت الأم ،

وربح معها الورثة، هذه الخمسين ريالاً .
لو كانت هذه المرأة في غير بلادنا لأقيم
لها نصب .

كان هناك مزارع، اسمها أكبر منها،
أنشئت وكأنها لإزجاء الوقت، وملئه بالكد
والكدح، وكأنها كذلك انشئت لتشغلهم
عن اجترار الهموم، وتعطيهم بصيصاً من
الأمل، وتبعد عنهم اللوم. أما مردودها فلا
يكفي معيشة يومهم، بعد أن يؤدوا لصاحب
الدين حقه، نقداً أو نوعاً .

حاولت أم عبدالله أن تستفيد من المزرعة،
ولكن الحظ لم يكن ينظر إليها، وكان
مشغولاً بغيرها، ولا وقت عنده ليسعف
جميع المحتاجين، والحظ له قواعد سير

وأنظمة، أحيانا يأتي بتأن وبطء، وأحيانا يأتي ومعه جلجلة أجراس، وضجيج وضوضاء، وأحيانا كما جاء يذهب، والحظ أحيانا يحملّ غيره أكبر مما يتحملّ لهم .

عش قليلا مع أم عبدالله وبهجتها، وفرحتها الطاغية بالمائدة، التي مدت أمامها، فأقسمت أن لا ترفعها حتى يشبع ابنها وابنتها، هذه المائدة التي تئن بحمل ما فوقها، جاءت نتيجة مفاوضة ضافية بينها وبين أخيها والفلاح الذي يعمل عنده، وعجز الفلاح أن يقدم ما وصل إليه في المفاوضات، ولم يف بوعده بإعطاء ثلاثة ريالات في الشهر، لعجزه، وضعف حاله، فدخلوا في مفاوضات أخرى، مفاوضات أمم

متحدة عنيفة، خيرهم الفلاح بين الانتظار
إلى آخر الشهر، ليعطيهم المبلغ، أو يدفع
لهم مقابل ذلك تمراً، ولكن القرار ليس في
يدها ويد أخيها، وإنما هو في يد شريكهما
الثالث، الفقر، إن بقوا إلى آخر الشهر ماتوا
جوعاً، لهذا اختارت أم عبدالله التمر،
مسامير الركب، ولكنها اشترطت شرطاً
مهما قاسيا، وهو أن يقسم ثلاثة أقسام، كل
قسم يدفع بعد عشرة أيام، والسلة الأولى
تبدأ من اليوم، ورضخ الفلاح لهذا الشرط،
وعادت أم عبدالله للبيت ومعها سلة التمر،
التي من المفروض أن تكفي الأسرة عشرة
أيام. هذه هي المائدة التي أشرت إليها
وضعتها بين يدي طفليها، وأقسمت ألا

تقيمها من أمامهما إلا بعد أن يشبعا .
إن كنت ذا شعور إنساني رقيق ، وغلبتك
الدموع ، فدعها تنهمر ، فقد سبقتك إلى هذا
ولعل المؤلف قد سبقنا ، وهو يكتب هذا ،
على كل حال الدمع «ببلاش» ، ولكنه ساحر
في إزاحة أحمال من الألم والحزن .

برق أمل في الأفق فسارعت نجمة حديثنا
في الاستفادة منه ، هناك امرأة مثل أم عبدالله
محتاجة ، حالها تشبه حالها ، رأت أم عبدالله
أن تستعين بها في أعمال المزرعة ، ولكن
الحظ السيء كان لها بالمرصاد ، فسدّ هذه
«الفرجة» ، وحجب الضوء ، فهذه المرأة لم
تعمل إلا لمدة شهر ، إذ كان زوجها غائبا
غيابا كان ميؤوساً من عودته منه ، ولكن

سوء حظ أم عبدالله جاء به فجأة، وبعد يأس
من زوجه وأهلها، فعاد إليها العنت، ولكنها
اتجهت إلى امرأة أخرى، زوجها في الهند،
وقبل أن تتم فرحتها أخذ المرأة أهلها،
وتكفلوا بإعاشتها، تمشي أم عبدالله وظلها
كان سوء الحظ .

في هذا الوصف يرسم المؤلف صورة بارزة
من الصور التي كانت تتكرر في ذلك الزمن،
وهي هجرة أهل نجد إلى خارج الجزيرة طلبا
للرزق، ولولا حال أم عبدالله لما رأينا هذه
الصور، وهي قليل من كثير، ولعمق هذا
الأمر، وتكرره حفر جواد في الذهن،
فجاءت به أمثالهم، فقالوا :

الهند هندك إلى قلّ ما عندك

والشام شامك إذا الدهر ضامك
والعراق عراقك إلى الزمان عاقك
وقد أحسن المؤلف صنعا إذ رسم هذه
الصور بهذه الفرشة المتقنة .

كان هذا الجانب بارزا في ذلك الزمن ، ولم
ينقطع إلا بعد أن اكتشف البترول ، الذي
أوقف مثل هذه الهجرات ، وبدأ يغير
مجراها ، صارت الهجرة من تلك البلدان إلى
بلادنا حيث وفرة الرزق الذي طرأ .

كانت قبل هذا صور تتكرر للمعاناة التي
تعرض لها النساء عندما يغيب أزواجهن ،
وما تتعرض له المرأة من إهانات وإهمال من
أناس من أسرتها ، أمضهم الفقر مثلها . وما
قصة «مشكل ومشيكل» ، التي أوردتها في

كتابي «أي بني»^(١)، إلا صورة من تلك
الصور .

يبلغ الشاب مبلغ الرجال، ولا ثروة
لأسرته، يكد ويكدح ثم يجد أنه مهما عمل
لا يستطيع أن يؤمن عيشه ومن يعول،
فيسافر إلى الهند أو العراق أو الشام،
مُطارداً من جيوش الفقر والإدقاع، والقحط
والجذب، وهو يظن أن الثروة، التي راح
يطلبها، في انتظاره، مادة ذراعيها لتجذبه
إلى صدرها، فتحتضنه، فيغيب سنوات
وسنوات، والمرأة في بلدتها تكافح وتنافح،
ومعها طفلها الذي سافر والده وهي حامل

(١) «أي بني» جزء (١) ص : (٦٤)

به، وقد تجد تسلية من أهلها، الذين قد لا يكون لديهم إلا كما يقول الشاعر:

«فليسعد النطق إن لم تسعد الحال» .

إحدى القصص التي جاء بها المؤلف، ورسم صورتها ببراعة وإتقان هي قصة «حصّة»، التي سافر زوجها، فلم تجد تسلية من أهلها، بل جاؤا ضغثا على إبالة، لأنهم كانوا يكرهونه، رغم أنهم سبق أن وافقوا على زواجه منها، ولكن صدى صوت خافت جاء من بعيد يقول إنه يشرب الدخان .

ولتكمل الصورة في أسلوب عيش المجتمع، في جانب من جوانبه، في تلك الأيام، يتبين أن إحدى قريباتها ذات هدف خفي، ولهذا تسعى إلى وضع حطب على النار، وتحاول أن

تقنع أهل حصة بأن يطلبوا الطلاق، وهو سهل، لتوافر أسبابه ومبرراته، فالزوج طال سفره، وهو لا يصرف على زوجته، وإخوانها متحمسون لطلاقها، لهذا السبب، ولأنه يشرب الدخان، وهو مبرر كاف للطلاق .

لكن حصة، كما قلنا، تحب زوجها، وعلى استعداد تام لانتظاره مهما طال غيابه، وتكاثر ظباء خراش على حصة، وهي مصرة، وفجأة يأتيها الفرج بوصول زوجها، إقرأ بقية القصة بلفظ المؤلف، لا بلفظي، وستجد المتعة التي وجدتها .

ليس الفقر والعوز هو الذي يحد الناس على الهجرة فقط، هناك عوامل أخرى، فالزمن له مفاجآت، منها الإحراج

والفضيحة، إقرأ قصة «سنة الهرار»، التي رواها الأستاذ عبدالرحمن بن عبدالعزيز المانع في كتابه : «مقتطفات من القصص والنوادر والأمثال والأشعار النجدية»^(١)، وملخصها أن شخصاً أوصى صديقه بأن يذهب ويخطب بنت أحد الناس، وبدلاً من ذلك ذهب وخطبها لنفسه، ولما أعلنت الخطبة ذهب صديقه، وأبدى سروراً واغتباطاً أنها لم تذهب لغيره. وفي ليلة «الدخلة» دعاه صديقه هذا أن يمر عليه بعد صلاة العشاء ليشرّب عنده فنجان حليب، ووضع فيه «مسهلاً» قوياً، ثم أوصى

(١) ص : (٥٦)

«البياعة» «الرُّبعية»، «المقيّنة»، أن تقفل
عليهما باب الحجرة، وأن لا تفتحه إلا عند
أذان الفجر، وأكرمها على عملها هذا،
فنفذت المرأة الوصية، وقبل أن يقترب من
زوجته تحرك بطنه، ولما رأى أنه سوف يغلبه،
وضعه في أحد الأركان، ثم الركن الثاني
والثالث، وهكذا، وهو ينتظر أذان الفجر،
فلما فتح الباب هرب ركضاً، وسافر رأساً
للكويت، سترّاً للفضيحة، وبقي هناك سبعة
عشرة سنة، فلما عاد إلى قريته، بعد هذه
المدة الطويلة مرّ بإحدى الآبار التي تجلب منها
النساء عادة الماء، فسمع إحداهن تقول :
إن ابنة آل فلان ستزوج الليلة، ردت
الأخرى : إنها صغيرة، قالت الأولى : إنها

ليست صغيرة، فهي مولودة سنة «الهرار»،
وهذه لها سبعة عشر عاما. فعاد إلى
الكويت هرباً من مجتمع أخذ حادثته تاريخاً
يُورخ به، مثل سنة الصخرة، وسنة السبلة،
وسنة السطوة، وهكذا .

نعود إلى روض مؤلفنا :

وتغلب على اللواء عبدالله ثقافته الجانبية،
وتعلقه بالآداب، وشموس الحكمة، فيتذكر،
وهو يقص قصة تصميم حصة على ألا تخيب
ظن زوجها، وأن تبقى وفيّة له، حافظة لحقه،
مقدّرة لظرفه، ومدهدة في ضميرها حباً
شغوفاً، قاوم رياح الأسرة العاصفة، ورأفة
الله بها في اللحظة الأخيرة، فيقتنص المؤلف
سانحة من سوانح الفكر المضيء لتكون

إطاراً فنياً لما ذهب إليه، ويرويها لنا فيقول :
«إذا احتفظتُ في قلبي دائماً بغصن
أخضر، فإن طائراً ما لابد أن يقف عليه»^(١)
الخرافات في ذلك الزمن كثيرة، ومسيطرة
على بعض جوانب المجتمع، والمؤلف يعرج
عليها، ويعطي نماذج منها، لتكمل صورة
محيطه، فالراديو شيطان، وقد اعترض إمام
المسجد على جاره لحيازته له، ومثلما فعل
الملك عبدالعزيز عمده صاحب الراديو إلى
دعوة إمام المسجد، وأسمعه الراديو، واتفقا
على أن يقرأ عليه، فإن كان شيطانا فسوف،
بلاشك، يحترق، وقرأ الإمام فلم يحترق

(١) عشت سعيداً. ص: (٥٠)

الراديو ، وما زاد الإمام أن قال : « ويخلق ما لا تعلمون » .

هذه خرافات مقبولة في محيطنا في ذلك الزمن ، ولم تكن الوحيدة ، ولكنها تغذى بصور أخرى من خارج بلادنا ، يأتي بها مسافرون عادوا لبلادهم ، ويريدون أن يبهروا مواطنيهم بشيء يضيف عليهم أهمية ولمعة . فهذا رجل عاد من سفره إلى الشام ، يدعي أنه رأى صخرة بيت المقدس ، التي تنزل ، وهي معلقة بين السماء والأرض ، إلى الأرض كل سنة مقدار حبة الشعير ، وأنه وقف عندها ، ولمسها بعصاه وهو على بعيره ، وأنها قد اقتربت من الأرض كثيراً .

هذه القصة سمعتها وأنا صغير ، ولأنني

أكبر سنا من اللواء عبدالله، ومن نقل القصة الخرافية، فقد كانت الرواية التي سمعتها تختلف بعض الشيء عما رواه اللواء عبدالله، ولا عجب فالرواية المعتادة، تتغير من راوية إلى راوية، وكلما درجت زادت أو نقصت، أو تحرفت، فما بالك بالقصة الخرافية، التي للقاص أن «يربع» في ميدانها كيف يشاء، ولا رقيب ولا حسيب.

ما سمعته وأنا صغير أن الصخرة تعدت سطح الأرض، وأنه يحفر تحتها حتى لا تلامس الأرض، لأن ملامستها لها تقيم القيامة، وكان هذا القول يقلقني كثيراً، وهو شغل ذهني الشاغل، ومصدرهم كبير لي، وكنت أسائل نفسي: ماذا سيفعل

الموكلون بأمر الصخرة إذا وصل حفرهم
إلى الماء؟ ! هذا جعل يوم القيامة يخيلني ،
وهو في ذهني ، وأمامي دائما ، ويصيب
صفحة وجه طفولتي السعيدة بالكف ، فأنا
في رعب كلما تذكرت حصة بيت المقدس .
هذه الخرافات ، التي يسمعا الطفل بين آن
وآخر تشكل ذهنه ، ونظرته للحياة .

لقد أحسن المؤلف إذ أورد هذا الجانب ،
جانب الخرافات ، ففيها صورة صادقة عما
يدور في تلك الحقة ، ولم يخفف منها إلا
العلم ، والآن زاحمتها الإشاعة ، وأحيانا
تكون خرافة حديثة مخترعة ، وهي تسير في
المجتمع سير النار في الهشيم ، تنتقل من
لسان إلى لسان ، وتكبر ، مثل كرة الثلج ،

إلى أن يتدخل حجمها ، ويجعلها غير قابلة
«للدحرجة» ، وأحيانا تقف لأنه زاحمها
أخرى .

والإشاعة مظهر من مظاهر المجتمعات ،
وتستحق أن تدرس ، وأن ينشر ما يتوصل
إليه الباحثون والدارسون عنها ، ليرى الناس
حصاد ألسنتهم ، وما يأتي به من أضرار .

ولعل من آخر الإشاعات «الخرافية» ، التي
شاعت في بلادنا ، وراح ضحيتها أناس
كثيرون ، طمعوا في أن ينالوا خيراً مما
وراءها ، فركضوا مثل الخراف ، لا يلوون على
شيء . قيل إن ماكينة الخياطة «سنجر» ،
يحتوي حديدتها على مادة الزئبق الأزرق
الثمين ، النادر ، وأنه من العناصر المهمة

لصناعة بعض القنابل الفتاكة، فسارت
الإشاعة، كما هو المعتاد، واشترى الناس من
المكائن القديمة ما استطاعوا أن يعثروا عليه،
وصار التداول، في هذا المجال طفرة، إلى أن
انتهت قوة البطارية، وسكن الجهاز،
واستيقظ المغفلون .

هناك جانب من جوانب المجتمع الثابتة،
المعروفة من زمن بعيد، وتعد من العادات
المقبولة، ويمكن أن تسمى «مجالس الرجال،
أو منتديات الرجال»، وهي مقاعد من
الطين، تبنى بجانب بعض المساجد، يجلس
فيها المصلون بعد الصلاة، عصراً، أو بعد
المغرب، انتظاراً لصلاة العشاء، يجلس
الرجال يجترونها ما سمعوه من أخبار،

وينشرون ما سمعوه من إشاعات ، وتزدهر
النميمة أحيانا والغيبة ، في هذه النوادي .
والفراغ مفسدة .

والشيخ الخليفى ، عالم معروف ، وقاض
مقدر ، عاتب بعض من كانوا يجلسون ،
وقال : أننى لاحظت أنكم أحيانا تضحكون
عندما يمر بكم بعض الناس . فقالوا له : إنهم
يحاولون أن لا يبعدوا عن حدود الخلق
الحسن ، وإن ضحكهم أحيانا يتم رغما عنهم
من منظر بعض ما يمر بهم ، وما على فضيلته
إلا أن يجلس ويرى ، فجلس - رحمه الله -
لأنه يعد هذا درساً ، فمر رجل ، وكان ذلك
وقت شدة الحر ، وكان عليه «فروة» ، فابتسم
الشيخ - رحمه الله - فقالوا : يا شيخ لم

يأت الذي يستوجب الابتسامة ، فقام عنهم ،
رحم الله جميعهم بوسع رحمته .

والنساء كذلك لهن نواديهن في بيوتهن ،
ولأنهن كادحات فهن يجتمعن على عمل ،
يجتمعن ليساعدن بعضهن على طحن
الحبوب ، وتجهيزها ، مثلاً ، وما أكثر الأمور
التي يتعاونن عليها . وتبدأ الأحاديث غرماً
من قدر الملاحظات ، ينقصن فيها ما يجيش
في صدورهن ، وغالباً تتركز هذه الملاحظات
على علاقة رجل معين بزوجه ، فإن كانت
العلاقة حميمة ، غبطها بعضهن وحسدها
أخريات ، وإن كان هناك جفوة من الرجل
لزوجه ، فرح بعضهن ، ولامها أخريات بأنها
لم تروض زوجها من أول الأمر ، والرمح على

أول ركزة. وينطلقن من جانب في هذا الأمر
إلى جانب آخر، فهذا فيه كذا، وهذه فيها
كذا، ومن يتحدثن عنه غائب، ولهذا
أدخلناه في باب الغيبة والنميمة .

وهذه النصيحة التي تأتي من بعض النساء
لآخريات جئن يشكين من أزواجهن، قد
يأخذ بها بعضهن، وهي نصائح طائشة في
الهواء، وكثيرا ما كان الأخذ بها سببا في
خراب بيوت، وتشريد أسر، لأن عدم
تقليب الأمور على وجوها، واستشارة ذوي
العقول، تجعل ناقصة العقل تأخذ النصيحة
بكاملها «ببقشتها» دون أن تفتحها، وتدرس
ما بداخلها، فترى مساوئها .

والرجل يتعرض لمثل ذلك، وينصح من

زملائه المتبرعين بالمشورة، بأن يتبنى الشدة،
وُيري العين الحمراء، وإلا فإنه يفقد هيئته،
وتضعف شخصيته، وما يضع شخصيته،
في الحقيقة، إلا تبنيه لهذه النصيحة الفجة.
والمعروف أن الخروج عن الطبيعة التي خلق
الله الناس عليها مَضَلَّة. وكم فرقت بين زوج
وزوج، وكم شردت من أطفال .

انتظر أيها القارئ الكريم حتى تصل إلى
الموضوع الآتي في الكتاب تحت عنوان:
«المريخ والزهرة»^(١)

إنها هدية قيمة، وتحفة باهرة، يهديها
المؤلف لكل زوجين مقبلين على الزواج، أو

(١) «عشت سعيداً» ص: (٣٣٠)

حديثي الزواج، وإذا كانت أم «الخنساء،
بنت ملح» قد أوصت ابنتها ونصحتها^(١)
عندما زفت إلى زوجها «الحارث بن عوف
الكندي»، فأحسنت وأجادت، فهي نصيحة
من أم لابنتها، أما نصيحة اللواء عبدالله
فهي من رجل إلى الرجال والنساء، وهي أعم
من وصية أم الخنساء .

إن نصيحة اللواء عبدالله تستحق أن
تكتب بماء الذهب، ولا أكتمك الخبر، أيها
القارئ الكريم، أني قد صورت منها عدداً
غير قليل من النسخ، أهديتها لبعض

(١) «المختار من نواذر الأخبار» ل محمد بن أحمد المقرئ ص :
١٢٤ ، دار ابن حزم : سند باد للترجمة والنشر والتوزيع ، الطبعة
الأولى : ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

المتزوجين. أن كل زوجين هما في أشد الحاجة إلى هذه النصيحة، وقد أرسلتها كذلك لمن هم على وشك الزواج. وليس منهم إلا من شكرني، ودعا لي، وقد «جِرت» شيئاً من هذا الدعاء للواء عبدالله، الذي كد ذهنه، واستحضر تجاربه، وصاغها في هذه النصيحة الرائعة، أجزل الله له الأجر .

يستمر المؤلف في رسم الصور الصادقة لمجتمعه، ويبين جوانب مختلفة لهذا المجتمع، يكمل بعضها بعضاً. كل قصة تسد فجوة، وتكمل ناقصاً، وتوضح مبهماً؛ قصة «شعيل» مثلاً، قصة تشد، فيها ملامح قد تبدو في أول الأمر متناقضة في الظاهر، ولكنها عند العُمق فيها تظهر الدوافع

الخفية، وتصبح مفهومة مقدرة، فيها الهدوء
في أول الأمر، ومظاهر الحب عند الشباب
المراهق، وفيها التسليم بالواقع عندما يحول
حائل بين المحب والمُحَبِّ، ويصحو الخير،
وينام الشر، ويأتي من لم يوفقه الله، فيوقظ
النائم، ويوقد النار، ولكن نبتة الخير
الأصيلة في الأسرة، تدمل الجرح الدامي،
الذي أساله فرد آخر، صورة متكاملة .

هذه صورة متكاملة، متقاطعة الزوايا
والأجزاء؛ إذا وضع كل جزء منها في مكانه
تبين ما فيها من مظهر يخالف ما تحته من
مخبر . هناك مظهر جاهلية استفز ما أوصل
إلى القتل، وهنا مظهر إسلامي، فهم طبيعة
البشر، فقد رقيمة العفو والتسامح،

فرجحت كفة صلة الرحم، ولم يكن هذا
دون مردود مثمر ثمرأً يانعا .

إن قصة «شُعَيْل» وعمه والضيف، عديم
التوفيق، تستحق أن تعقل عندها «الذلول»،
وسيقف راكبها مرغما لأن فيها من
الجازبية، وقوة الشد، ما لا يسمح بغير
الوقوف عندها. هذه القصة لو التقطها
كاتبُ قصة طويلة لجاء منها رواية باهية .

في العمة سارة مغناطيسية قوية، تشد ابن
أخيها إليها، فلا يكاد يستطرد مبعداً عنها،
في الحديث والفكر، حتى يعود إليها
مسرعا، ناجحا في أن يحلب منها صافي
دُرِّ الأخبار، التي تضيف نافعا طريفاً، فيه
معلومات عن الآباء والأجداد والأسرة،

والأمور التي كانت تحكم مجتمعهم .
فَقَدْ والد عبدالله، وهو صغير، جعله
عندما شبَّ، يحرص على أن يعرف عن
أخبار والده الصغيرة والكبيرة، إن الابن
يهيئ، بأسئلته عن والده، موقعه هو من
الأسرة والحياة، يريد أن يعرف الجوانب
المنيرة في حياة والده، ليسعى ليكون مثله،
وأن لا يقصر بآعنه عنه .

لقد تدبر معاناة والده، إنها تعطيه حافزاً
أن لا يستكين لأي عائق، عارض أو غير
عارض . والعمة سارة، بذكائها الفطري،
تعرف ما يريد، وتحدث ما يرمي إليه، فتركز
في أحاديثها معه، على إيضاح ما يريد؛ فهو
يشبه أباه، ولهذا فرؤيته تذكرها به،

وتذكرها بالمواقف النبيلة التي وقفها معها ،
وتشرح ذلك بذكر الحوادث التي مرَّ بها
الشقيقان : الوالد والعمة ؛ ولتنير جوانب
صورة والده ، تمر بسرعة على مواقف زوجها
المهمل ، لتعطي الابن فرصة المقارنة بين أبيه
النبيل وزوجها الأناني ، عندما كانت حالتها
تقتضي عناية زوجها بها ، هذا لو كان يقظا ،
ولكن لا حياة لمن لم يجعل الله له حياة .

على القارئ أن يتابع القصة في منبعها ،
ليرى صورة لا يمكن لإنسان اليوم أن يتصور
أنها تقع ، ولكنها وقعت . وقد عللت العمة
سارة بجدارة ، سبب وقوعها ، وهي الخبيرة
بنفوس الناس في زمنها .

هذا الحديث يؤدي بها إلى المقارنة بين ذلك

الزمن والوقت الحاضر . وتأتي النتيجة
حتمية ، لا تخفى على المتبصر . وما تركته
العمة من تحليل أكمله المؤلف ، ولما أصاب
عاطفته من تأثير ألحق هذه الصورة بقصيدة
أكملت الصورة ، وحفظتها مصونة عن أن
تضيع ، أو يُعبث بها .

أهداف وإنجازات

هذا موضوع ليس طويلا ، ولكنه مشحون بالحقائق والصور، حتى الخرافات وجدت طريقها إليه. سطر قلم الكاتب البارع هذا الباب، فملأه بما يشدهُ القارئ. في هذا الباب عودة إلى والدته، وإلى حقبة مضت من بدء نموه، وما واکبها من شقاوة، وخوف، وإزعاج لمن حوله، زال الخوف بتأثير الخرافة، واللعب على زاوية من زوايا النفس. ولكن الشقاوة بقيت، لأنها لازمة من لوازم طبيعة الطفل في هذه السن، ولكن الحكماء يقولون: «إن العراةة في الصغر شجاعة في الكبر».

علينا أن نتذكر ذلك عندما نرى صقرنا
في المستقبل ينهض بجناحيه من فوق المدرج
ليحلق في فضاء الله الواسع ، لا يرد طرفه إلا
نهاية الأفق ، حينئذ يحق لنا أن نتذكر تلك
العرادة ، التي طالما أزعجت والدته ،
وأخرجتها مع بعض الناس .

في هذا الباب يخبرنا الكاتب أن والدته قد
أقدمت ، وهي العاقل ، على خطوة موفقة ،
كان لابد منها ، طال الزمن أو قصر . تزوجت
الأم ، لأن الزواج كان جزءاً من خطة المستقبل
الناجحة .

ولكن العمة سارة لم تكن راضية بهذا
الزواج ، رغم أنه كان خطوة موفقة ، ولكن
العمة سارة قد أنهك عقلها وتقديرها

الكبر ، وتركتْ عُقدَ الزيجات لديها ندوبا
تذكرها بما مرَّ بها في هذه الزيجات
المتعددة، ولهذا فهي معذورة، وسيبرهن
الزمن أن أم عبدالله على حق، وأن العمّة
سارة، رغم محبتها لهم أخطأت جادة
الصواب هذه المرة. أوكد أن المؤلف لم يقل
هذا، ولم يوقف راحلته ليحلل موقف العمّة،
وترك إثم هذا التحليل لي، ليكون إثمه عليّ
أنا، فأنا الذي أعلق هنا على رفض العمّة -
رحمها الله، ورحم جميع موتاهم، وأسعد
أحياءهم - إنه جواد كريم .

إن أم عبدالله - رحمها الله - مخطئة
بارعة، تخطط لأمر قريبة، ترفدها في
عيشها الحاضر، وتخطط لأمر بعيدة تفتح

لها ولمن تعول أبواب الراحة والسعادة . وقد
خطت لأربعة أهداف ، أولها زواجها ،
وثانيها تعليم ابنها ، وثالثها زواج ابنتها ،
ورابعها بناء بيت .

أخي القارئ ، لا ترفع حاجبك دهشة
لطموح هذه المرأة الوحيدة الفقيرة ، إن في
برديها عزمًا وإرادةً وإقدامًا وتضحيةً ،
وقبل هذا وذاك اتكال على الله - سبحانه
وتعالى .

لقد أدركت أم عبد الله أنه لا مستقبل
مضيئاً لها ولأبنائها إلا بهذا ؛ فاعتمادها
على أخيها له حدود ، وله زمن ، ودخول رجل
جديد إلى البيت يتبعه ولادة أو ولادات ،
والصبي يحتاج منها إلى جهاد إلى أن يبدأ

يهدأ، وفي الوقت الحاضر عليها أن تصبر
على إزعاجه الممض لها، وإحراجها مع
الجيران وأمثالهم. إنها تقاتل على أكثر من
جبهة .

سعت الأم الرؤوم للتغلب على عيوب
ابنها، والقضاء عليها، ومنها خوف^{١٢} تلبّسه
أقلقها، فضعفت أمام هذه الحال،
واستكانت للخرافة. ارجع أيها القارئ إلى
بقية القصة في مظهرها تكمل لك المتعة،
ولكن إعرف من الآن أن الخرافة كانت دواءً
ناجحاً، لأنه تركّز على الجانب النفسي،
وأمر النفس متشعبة، ولهذا صار لها علم
قائم بذاته، يدرس في الجامعات، وتمنح فيه
الدرجات الجامعية العلى .

تعالج الصبي عبدالله من الخوف نهائيا،
ولكن الشقاوة بقيت ملابسة له، تسير معه
مثل ظله. انظر قصة الحلاوة التي التقطها من
الشارع ظنا منه أنها «عجاجة» صابونة، برزت
معها لنا «سبورة» ارتسمت عليها لنا صورة
من صور شقاوته. لم يهدأ الأمر معها إلا
بلمسة يد حنون من رجل نبيل، عرف الحياة
وعركها، وعرف كيف يلج بتؤدة وهدوء
إلى الصدور، ليسمع ضرب طبله الرثة،
وهي تمتلئ غيضا ثم تفرغه. بلمسة حنان
من رجل امتلأت نفسه نورا زالت معه
الظلمة، وانبلج الصبح في الأفق، مألّا
ذراته، وأشرقت الشمس بنور ربها. إنه
درس عميق، فليتدبر القارئ ويعتبر.

وقد قلت في أول حديثي عن هذا الباب إنه قصير، ولكن فيه درراً، قيمتها العظيمة تظهر في التدبر فيها والتبصر. وقد أعادتنا هذه الدرر لحياة الأم التي أضاعت جوانبها نيتها الحسنة، وتخطيها السليم، وتربيتها لهؤلاء الأيتام أحسن تربية، وحملها معول العمل، وحرمان نفسها من الراحة، فراحتها في التعب. تفكر تفكيراً مبدعاً قبل أن تخطو، وتزن الأمور قبل أن تتقدم، فإذا أقدمت فإقدام الواصل بعون الله وتوفيقه .

هي لا تزال في أول الطريق، الذي تؤمل أن أن يوصلها بسلام إلى الهدف الذي رسمته، وذهنها دائماً في عمل، فهي تُدخل على

ما رسمته من خطط . وسارت عليه ، بعض
الإضافة أو التعديل ، إنها ليست جامدة ، إنها
شعلة نشاط في الفكر والعمل . وسرى إن
شاء الله ، فيما سيأتي مفاجآت ، نقول
تجاوزاً إنها مفاجآت وإلا فهي في الحقيقة
والواقع نتائج مضيئة لأعمال مجيدة ،
وخطط متقنة .

المعركة (١)

أجل ، إن هذا الباب القصير « بل لعله أقصر باب » يصف معركة ، فيها العجب العُجاب ، فيها قمة غضب الصبي ، وقمة غضب أمه . سارت القصة تتوالى حوادثها وتنتهي بما لم يتوقع ؛ لله فيما يقدر سر يخفى على عقول البشر ، رب ضارة نافعة ، إن نار غضب الطفل لم يُطفئها ماء ، وإنما أطفأتها نار أشد لهباً من تلك النار ، التي تربع على قمتها غضب الأم والإبن .

إن المتعة الكاملة أن تقرأ ، أيها القارئ

(١) « عشت سعيداً » ص : (٨٣)

الكريم، هذا الباب بكامله، لترى ما رسمته
ريشة الكاتب الفنان بجدارة، يعجز عن رسم
مثلها سن قلّمي .

وليس «العفور»، التيمم كالماء القراح،
فاطفي، أيها القارئ الكريم، عطشك لمعرفة
ما أُلحِتُ إليه، وشوقتك إلى تفاصيله، بقراءة
نصوص الأصل .

إن في هذا الباب مفاجأة، تدخلت في
الصورة، التي رُسمت للأمّ الصبور، والابن
المتلمس لأسباب العراق .

تُرى، هل المؤلف اختار عنوانه : «المعركة» .
من المعركة التي قامت بين الصبي وأمه، أو
من مهنته، وهو طيار، هيئ للمعارك . هذا
أمر يحتاج إلى تفكير يوصل منه إلى قرار،
هذا إذا أوصل التفكير إلى قرار .

دروس

ننتقل الآن من عنوان مفرع إلى عنوان
مبهم، فالدرس أي درس، إشعاع يزيل
ظلمة، مهما كانت طبيعته وطبيعتها .

دعونا ندور حول الشجرة لنرى الفاكهة
الناضجة، التي سوف تأتي من هذه الدروس .
بدأ الدرس الأول برسم صورة بهية لفضيلة
الأمانة، والطفل حينئذ صغير، ولكن هذا
الدرس تعمق في هذه النفس المتعطشة
للفضائل دون أن تعلم، لأن الفضائل ليست
غريبة عليها . واستطعم الصبي لذة الأمانة
وفائدتها، وبقي طعمها في فمه، وكون
جزءاً من غشاء فمه .

وتأكد عمق الأمانة عنده عندما عثر الصبي
على مبلغ أكبر، وجاء به إلى أهله، فجاءه
الشكر على هذه الخطوة المقدرة جزيلا، كان
الثوب خمسة عشر ريالاً، وقماشاً يختاره
كما يشاء، ليخاط له منه ثوب عند المرأة
الوحيدة التي تملك «مكنة» خياطة في
البلدة، ولُفَصِّلَ عليه تفصيلاً، يتناسب مع
جسمه، طولا وعرضا. يا للفرحة ! إنها أول
مرة يُفصل له فيها ثوب، فالمعتاد أن يشتري
الثوب جاهزا، أو يخاط بيد ليست صناعا.
ذكّرني هذا بموقف فيه شَبَّه بهذا، فعندما
عزمنا أن ننتقل من عنيزة، لنلحق بالوالد في
مكة المكرمة، كان الوقت ضيقا، ولابد من
الاستعانة بالمرأة الوحيدة التي عندها «مكنة

خياطة»، وقد وفدت حديثا من المدينة المنورة، فأنجزت الثياب في وقت قصير، لقد بهرتنا «نفذة المكيّنة»، فهي مستقيمة، دقيقة، منتظمة، جميلة، ولا تقارن «نفذة المكيّنة» بنفذة خياطة اليد، التي تأتي معوجة، والسطر فيها غير مستقيم، وعندما يطلب من التي تخط بيدها أن تجتهد في نوع الخياطة «تكفّ» طرفي المقطع، أي أطراف القماش، التي تأتي عادة مشرشرة نتيجة شق القماش، فالخياطة «تَكْفَت» طرفي القماش إلى الداخل، فيبدو أنيقا، ويرجى معه ألا ينفثق» الخياط .

نعود إلى الصبي عبدالله، فهو لم ينس حبه للطلبات، فيشترط ما دام بطلا مكرما

أن يطلب أن يكون في طرف الكُمّين
« كبك » ، لا مرسلا « سائبا » !! وله ما أراد ،
وله أن يتدلل ، « غالي وطلب رخيص » ،
فالأمانة غالية ، والأمين مبجل ، وفي سويداء
القلب والعين ، والأمين يوضع على الرأس في
كل مذهب ولغة .

يصطاد المؤلف صورة كثيراً ما عانى منها
مجتمعه ، وباء حصد ألوفاً من البشر ، وشوه
أجسام ألوفاً آخرين ، هو من الأمراض
الفتاكة ، التي تجدد في بيئتنا أسبابها ، وفي
هذا الشتاء كان نصيب والدته منها وافياً .
كان الشتاء قاسياً ، وليس لدى الأم ، ولا من
تعول ، ما يقف سداً منيعاً أمام قوة الطبيعة ،
وأعراض البرد والشتاء . ترك البرد الأم

طريحة الفراش ، تعاني الأسقام ، وحالتها مع مرور الوقت تسوء ، وليس عندها استعداد أن تعرض نفسها على طبيب المركز الصحي ، على تواضع كفاءته . والمرض يزيد ، ويُقربها من القبر ، الذي لعلها أوصت بحفره . كل خلية في جسمها تنبض بالألم عما سيؤول إليه أمر بنتها وابنها ، ولكن الله لا يخيب سائله ، فقد تداركها بلطفه ، وعافاها من مرضها ، ولكن المرض ترك وراءه تذكاراً ، وهو صمم أصاب سمعها ، ولكن هذا يهون ، ليذهب السمع ، فما يمكن أن تسمعه مما يسر قليل . لقد تبين أن مرضها كان هو الحمى الشوكية ، وهو مرض إذا عوفي منه الإنسان ، ارتفع وأخذ معه جزءاً

ثمينا من جسم الإنسان ، والسمع هو أقرب
ما تصل إليه الحمى الشوكية .

سكنت في إنجلترا مع أسرة إنجليزية ، سيدة
البيت ناظرة مدرسة ، فحدثني أنه في سنة
من السنوات ، أصيبت بالحمى الشوكية ، ثم
برئت منها ، ولكنها أخذت منها سمعها ،
وبقيت ثلاثة أشهر بدون سمع ، حتى كادت
تُجن ، تقول إن ابنها سقط خلفها من
الكرسي ، دون أن تنتبه له ، وأخذ يصيح ،
و«يجع» بأعلى صوته ، ولولا أن الجيران
سمعوه ل بقي كذلك إلى وقت لا يعلمه إلا
الله . يرنّ جرس الباب ، وهي قربه ، ولكنها
لا تسمع ، ينظر الطارق من نافذة غرفة
الجلوس فيراها جالسة ، تحوّل شيئاً بين

يديها، فيضرب بكفه على النافذة، وهي كالصنم لا تلتفت، تجلس هي وزوجها وولدها الكبير، وما قد يكون هناك من ضيوف وتراهم يتبادلون الأحاديث، ويضحكون من أمر مرّ في حديثهم وهي مثل «الأطرش في الزفة». أجل لقد كادت تُجنّ لولا أن تداركها الله بلطفه، وأعاد إليها سمعها.

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا .
سألت عدداً من الأكفّاء، فيما لو خيروا بين فقد السمع أو فقد البصر، فأجمعوا أنهم يختارون فقد البصر. وآخر كيف ثقة سألته عن هذا الأمر هو الأخ الأستاذ عبد الله الغانم، فأكد لي ما أجمع عليه الآخرون، وكان هو

المسؤول عن التعليم الخاص في وزارة المعارف، وقال لي : إن فاقد السمع معزول عن محيطه، وهذا وحده قد يؤدي إلى الجنون، أما الكفيف فمع من حوله، كأنه واحد منهم في المشاركة في الرأي والحديث . وقد بدأنا نحن كبار السن ندرك قيمة السمع .

لقد خرجت عن الجادة، التي بدأت السير فيها، ولكن حال أم عبدالله، وما مرت به لا يكتمل إلا بذكر ما ذكر .

الخرافة مرابطة في ذلك المجتمع، ومستعدة دائما أن تبرز رأسها عندما يأتي الناس أمرٌ فيه غموض، فمرض أم عبدالله لا بد أنه آت من عين امرأة، تعارف الناس عن أن عينها

لا تخطئ، ولهذا يتفادى الناس، الترحيب
بها في بيوتهم. نسوا أنه لا يوجد عادة في
بيت الفأر شيء. ويوغلون في الجهل،
فتخطئ تقديراتهم، ويبعدون عما يوصلهم
إلى ما يريحهم .

ربما تكون الضارة نافعة، إن مرض أم
عبدالله أيقظ في داخل ابنها شعوراً كان
خامداً، ونظرة صادقة كان أهملها، ولم
يُعملها، شعر الصبي عبدالله، في المدة التي
طرح المرض فيها أمه على الفراش، بالفقد،
والفقد الشديد، شعر بالوحدة والضياع،
فقد وسائل العطف والحنو، عرف قدر أمه،
عرف فائدة تلك الشجرة المظلة الوارفة،
افتقد النسيم العليل الذي كان يخترق

الحجب ليصل إليه ، منعشا في الصيف ،
دافئا في الشتاء . ولعل الله - سبحانه
وتعالى - أراد له أن يطهر روحه من أدران
العقوق ، الذي جعله في يوم من الأيام يصف
أمه «بنت الحرام» ، جامعا حصى في
«حجره» ، ليقتلها حاثا الناس أن يتركوه
ليكمل مهمته ! موجة غضب لم تكن
عميقة ، إذ اختفت أمام منظر ثعبان ! سبحان
مدير الكون .

جاء دور المرض على الصبي عبدالله ، فرأى
في أثناء مرضه ما جعله يستيقظ ، ويدرك
فائدة الأم ، التي لا يماثل عملها أحد في
الوجود عندما يكون الأمر يخص فلذات
كبدها ؛ إنها هنا تفادي بالغالي والرخيص ،

تقف منتصبـة في وجه النسمة المزعجة من
الهواء، وتتحمل لظى لهب النار من أجلهم .
وكالمعتاد تجد الأم في « العين » سببا لما حل
بإبنها، فتسعى إلى القضاء على العين،
وتُظلم العين، وهي المشجب الذي يعلق عليه
اللوم هو والحظ، عش أيها القارئ الكريم مع
تهمة العين، كما عشتُها أنا، ورأيتها
ولمستُها، ورأيت كيف تفعل بالناس، فكيف
يذهب الناس بخيالهم إلى ما يدعيه العاين
من المقدرة التي تجعله يخير أصحابه، إذا
أحبوا أن تصيب العين سيارة أحدهم، هل
يريدون الإصابة في « الكفر » الأمامي أو
الخلفي، وإذا سأل مشاغِبٌ، من الذين لا
يقتنعون بسهولة. لماذا لا يستفاد من العين

في الحروب ، فيجهز العاين بعينه على
العدو ، ويقضي عليهم ، وكفى الله المؤمنين
القتال ؛ الجواب مهياً معد ، والجواب يخرج
«المحجور» من ركنه بادعاء يقول فيه : «إن
العين لا تصيب العدو» . أرأيتم في حياتكم
سلاحاً يقتل الصديق أو يؤذيه . ويعجز عن
إيذاء العدو أو قتله ؟ !

العين حق ، ولكن لا يجوز أن نجعلها مشجبا
تُعلق عليه كل الشكاوي والتهم ، التي
أسبابها من غيرها . الحمد لله على كثرة
المستشفيات ، وهي لا تغيب إلا إذا اتجهنا إلى
مستشفيات العين ، والوصفة فيها معروفة ،
وهي وصفة لكل داء عين ؛ تغسل الطاقية ، أو
فنجان الشاي ، ويشربه المصاب . هل بلغكم

ما بلغني ، أنه في حفلات الزواج في
الفنادق ، وقصور الأفراح ، والاستراحات ،
يدفع مبالغ مجزية « للصبابات » ، ليوافين من
يخفن من العين ، « بمواص » غسيل الفناجين ،
فناجين من هب ودب ، إحدى السيدات
اللاتي وهبهن الله الجمال والغنى ، وتلبس
في حفلات الزواج مجوهرات ثمينة ، هي ممن
يخفن العين ، وهي زبون دائم « للصبابات » .
إن الخطر هو فيما تشربه من هذه المياه
الملوثة . ما دامت تؤمن بالعين إلى هذا الحد ،
لماذا لا تباعد عن الأصباغ التي تزيدها جمالا ،
وعليها أن لا تلبس المجوهرات .

وقبل أن تملأ أم عبد الله رثيها بالنفس
المريح ، فرحا بعافية ابنها تداهم الحصباء ،

الوباء الحاصد، البيت دون استئذان، وهو
وباء عادل، إذا زار البيت لا يخرج دون أن
يطعم كل من لم يطعمه من قبل، وإذا بدأ
بيت فإنه يبر كل بيت مجاور .

والحصباء وباء معروف، يزور بين عام
وآخر، ولا ينقطع، ولهذا لا مجال لاتهامه
مثل اتهام العين. للحصباء وقت لا بد أن
تقضيه قبل أن تودع بعد أن عملت ما
عملت، ولكن الناس في عجلة من أمرهم،
يريدونها أن ترحل قبل وقتها. ولهذا السبب
فانهم خيروا الصبي بين الذهاب إلى الطبيب
للعلاج، أو الكوي، وكلمة الطبيب ترعب
لأنه قد أحيط بهالة من التنفير، فيختار
الصبي الكوي، فيكوى الصبي على

«العبادة»، وأزال الله «عوقه»، لعل هذا بسبب انتهاء دورة الحصباء في جسمه، ويكسب الطب الشعبي، ويبقى تذكّار الكوي ندبة على «العبادة»، يعرف أنه من أبناء نجد، للعلامة الفارقة هذه، التي لم يسلم منها إلا أبناء هذا الجيل الجديد، فهم بلا علامة فارقة - والحمد لله !!

انتهينا من بعض صور «الدروس»، وهي صور، كما رأينا ناطقة، وبدونها لم يكن المجتمع ليظهر بالوضع الذي تكاتفت هذه الدروس على إظهاره جليا.

ماذا بعد الدروس ؟

في ربوع المدرسة (١)

بدأ النور يشرق ، وبدأت الظلمة تتبدد
وتختفي ، وسيتبع ذلك بالتدرج صور
جديدة ، ستكون غريبة على المجتمع ،
وستقاوم بكل جهد ، من قبل أناس هم أعداء
ما جدّ من جديد لم يتعودوا عليه ، ولكن
العقلاء منهم يقولون ، وبحق ، اصبروا فإن
«بدع اليوم سنن الغد» ، والزمن كفيل - بأذن
الله - بعلاج ما ظن أنه ليس بدواء ، لأن فيه
غموضاً ، لم تصل عقولهم إلى كنهه .
وكان ذلك الزمن زمن رفض كل تقنية . ألم

(١) «عشت سعيداً» ص : (٧٠)

يعتقد أمثال هؤلاء أن التليفون يسيره
شيطان، ثم دار الزمن دورة كاملة، فأصبح
أحفاد المعارضين خبراء فيه، وفيما هو أكثر
تعقيداً منه، والواحد من هؤلاء الصغار
يحمل جوالاً أو جوالين أو ثلاثة، يغيرها كل
عام طلباً لما هو منها أوفى .

أمُّ عاقل، بعيدة النظر، تمشي بنور الله،
وجدت أن في باب المدرسة الذي انفتح باب
خير لمن ولج منه إلى رياض العلم والفكر،
في هذه المدرسة سوف تربط شياطين ابنها،
وستشذب شقاوته، ويصرف نشاطه إلى ما
يفيد، ولكن الشياطين أحياناً لا تأس،
وترفس رفس المختضر، فإذا فعلت هذا
جاهدت الأم، لتستعيد ابتسامتها التي تنظر

بها إلى إشراقة المستقبل ، فيضعف الصبي أمام طارئ كاد يفقده الدراسة ، فتشمر الأم ساعدها ليكون نتيجة جهدها إيجاباً أمام جهد ابنها السلبي . وينتهي العام والعراك بينهما على قدم وساق ، ولكن البقاء للأصلح ، ومن جدّ وصل .

تذكروا هذا الموقف للأم ، عندما أعطها ربها على قدر نيتها ، وسعيها لصالح هذا اليتيم ، فلذة كبدها ، ابنها الوحيد ، بؤرة فخرها واعتزازها ، تذكروا هذا الموقف عندما «يشمخ» هذا الصبي غداً إلى عنان السماء طياراً متميزاً . إن دفعته الأولى له كانت من القوة بحيث لم يحتج إلى دفعة أخرى ، لقد اشتغلت المكينة ، ودار الماطور . وما عليها

اليوم إلا أن تنظر إلى مسقط فخرها ،
وتسمي عليه ، وتدعو له .

إن دفعتها الأولى كانت - بإذن الله - قوة
كمنت في دمه ، شحت بطاريته ، شحنا
أبديا ، لأنه بعد أمه تولى الأمانة بنفسه ، فقد
صدر حقها وورد حقه ، وقد أدى حق الأمانة
بصدق وإخلاص . ولهذا كان قادراً على
تحطيم أي عائق يقف أمامه ، أو إخفاق يلوح
له في الأفق . إن إرادة والدته ، وتصميمها
كامنة في ضميره . يرتفع ابننا إلى عنان
السماء طياراً متميزاً ، ثم مدرباً ثم قائداً ثم
إدارياً ، ثم مواطناً ، تصوره في أي مكان
وتصور النجاح . ملأ روحه بحب وطنه
وخدمته ناسياً نفسه ، إنه يرى أن كسبه

لوطنه، ووطنه كبير، فلم لا يكون الكسب
كبيراً؟ ألم يكن مُتعباً وهو صغير؟ فلا بد
أن يكون مريحاً نافعاً في الكبر، ليكفر عن
مشاغبات الصغر .

إن السنة الأولى أرادتها وزارة المعارف سنة
أولى، وأرادها الله لعبدالله تمهيدية، يحضر
يوماً ويغيب يوماً، ولكن هو مثل حفار
البئر، كل يوم ينزل في حفره قليلاً، حتى
وصل الماء .

في العام التالي تغير الأمر، وجد أن طعم
الدراسة جيد، يشجع على تناسي المسافة بين
المزرعة والمدرسة، والمركوب هو القدمين
الحافيتين، لأن ركوب الحمار ما هو إلا
للأغنياء، أما الدراجة فحلم هو أبعد من أن

يصل إليه خياله ، ولكن أمنيته تقول إن الدراجة على الأرض وأنت كذلك فلماذا لا يجتمعان ؟ سوف يجتمعان ولكن متى ؟
انتظروا وسوف ترون ، ونرى معكم . إن اللواء طيار قاصّ جيد ، متقن لخطوه ، ألم يطوّر غازية الجو فلم لا يطوّر غازية الأفكار ؟
الشتاء هو عدو الفقير الأول ، ويعطي مؤلفنا صورة مؤثرة لما عاناه في إحدى رحلاته إلى المدرسة ، ويكشف عن الجانب المظلم في هذه الرحلة . طفل حاف في يوم قارس . الطبيعة تريد حقها ، وعندما تأخذه تأخذه وافيا ، تُجمد قدمي الصبي ، فيقف عن المسير ، ثم يظهر « سيف الرحمة » قوس قزح إنساني ، يده الحنون تلمس الصبي في حالته

هذه، روح تفيض بالرحمة والشفقة. حمل الصبي على كتفيه، وأخذ يدلك قدميه حتى أوصله إلى المدرسة، لأن الصبي فضل الرواح إلى المدرسة خوفاً من غضب المدرس، سبحان الله العلي العظيم، بعد الهرب من المدرسة، ومطاردة الأم له، أصبح الصبي يحسب للمعلم حسابه. سبحان من يغير الأحوال من حال إلى حال. سبحانه .

ويدخل الصبي إلى المدرسة بقدميه الحافيتين المجهدتين، ولم يكتف الفلاح الطيب بما عمله، لأن عنده من الرأفة والحنان ما طفق به وعأؤه، لقد أرسل زوجته، لتعاتب أم الصبي على غفلتها عن ابنها، وتركه يذهب حافياً إلى المدرسة. هذه اللمسة

المباركة جاءت له بحذاء يقيه برودة الأرض ،
وشذرات الأحجار المنبثة على أديم الأرض .
هنا علينا أن نتذكر أن دراسة الابن هي
الأمنية الثالثة للأم في حياتها ، لهذا عندما
أخبرها عبدالله ، في آخر العام ، أنه نجح ،
تصورت أن محطة أمنيتها قريبة ، وسوف
تراه - بإذن الله - مدرساً ؛ فالأم تمنى ،
وتسعى لتحقيق ما تتمناه ، ورب الأرباب
كريم يعطي أكثر مما يتوقع الناس . إنه أكرم
الأكرمين .

يأتي المؤلف في هذا الباب على أمنية
والدته الرابعة ، وهي بناء بيت تسكن فيه ،
هي وابنها ، وابنتها وزوجها ، وهي أمنية فيها
طموح متناه ، فهي لا تملك أقل المقومات

لبناء بيت . ففكرت في أخذ رأي أخيها ،
الذي يعزها ويقدرها ولا ينسى معروفها ،
وهي تضي عليه ، وهما صغار جناح الرحمة
والمودة ، وتحرم نفسها من الغطاء لتبره به ،
ليقيه برد الشتاء . لقد جاءته الآن تستشير ،
وهي امرأة تؤمن بالاستشارة ، وما ضل من
استشار . راح الأخ يعتذر بعدم قدرته على
المساعدة ، ظنا منه أنها تريد ذلك منه ، وهي
إنما أرادت أن تستنير برأيه فيما عليها أن
تعمله ، من الأمور التي لا يعرفها إلا الرجال ،
لمتابعهم ما يتم في هذا المجال . فأعطاهما
عنده من رأي .

وكان هناك مشبطات ومشطين ، ولكنها
تملك من العزم والإرادة ما يفل الحديد ،

وكانت مصممة على متابعة المسير نحو
الهدف، ومن تابع فكرها في هذه المرحلة
عرف هذه السيدة، وما يدور في فكرها،
وعرف مدى تصميمها ومدى إقدامها،
وتضحيتها براحتها، ومدى اتكالها على
الله، وثقتها في أنه لن ينساها .

لقد بدأت الخطوة الأولى بمعرفة المبلغ الذي
تحتاجه لبناء البيت، لقد بدأت الخطوة
الأولى : الدراسة، وسيتلو هذه الخطوة
التخطيط، ثم البدء في ضوء المخطط . وكل
خطوة من هذه الخطوات فيها متعة للقارئ .
ولقد تناسب ضياء ما تقوم به هذه السيدة
المعجزة مع الضياء الذي يشع من عبارات
المؤلف، وهي عبارات أخذت على عاتقها أن

تؤثر على القارئ وتشده، ولا يملك تجاه ذلك كله إلا الإعجاب .

الوالدة تسير في خطوة أمنيته الرابعة والإبن يسير في تنفيذ خطواتها الثالثة، التي بدأت «تشمّر الدرج» نحو الهدف. ورغم تحسن سيره الدراسي، إلا أن أمراً عارضاً كاد أن يوقف سير دراسته، بسبب سوء تصرف بعض المدرسين الضحّلين، وعناد الصبي، ولكن الله لم يُعَدِّم المجتمع من أهل الخير، الذين يأسون الجرح، ويواسون الجريح. لقد بذل رجل خير جهداً أفاد، وأعاد المياه إلى مجاريها، ورجع الصبي إلى مدرسته. هناك صور، بين الانقطاع والعودة، سوف لا أتعرض لها، وسأتركها للقارئ ليعود إلى

تفاصيلها المتعة ، ورسومها المتقنة ، بريشة
المؤلف البارعة .

مثل هؤلاء الخيرين يذهبون ، دون أن ينالوا
ثوابهم من البشر ، على أعمالهم المجيدة ،
ولكننا لا ننساهم في الدعاء ، وهو بضاعتنا
الغالية ، فالمدبر ومندوب المدرسة قاموا بعمل
مجيد ، أنقذوا نفساً من الجهل والضياع ،
والجهل وحش كاسر في تلك المجتمعات ،
وغيرها ، لقد أكسب هؤلاء الخيرون الوطن
إبناً باراً نافعا .

رحمهم الله جميعاً ، وجزاهم على
جهودهم ما يجزي به عباده الصالحين .
ونرجو أن يكون ما فعلوه صالحاً لأولادهم

في الدنيا، وبراً منهم بهم؛ والطيب لا
ينقطع بل يتسلسل .
ثم تتوالى الأبواب، وتتوالى الصور، وتتقن
الرسوم، وتكمل بعض الحقائق الأخرى،
لتكمل صورة المجتمع .
ونحن الآن في طريقنا إلى باب جديد هو .

خطوات (١)

سوف نرى في هذا الباب خطوات النمو الحضاري، وجهود الدولة المحدودة، ولكنها مباركة، تزحف لتسارق الطبيعة ما يُعتقد أنه يفيد الناس؛ فالمزراع عدوها الأول الجفاف والصحارى عدوها الأول القحط والجذب، ولكن بعض الأجهزة الحديثة تستجيب للتخزين في وقت الرخاء إلى وقت الضيق، في تخفيف الضائقة. ففي السنة، التي نزل المطر فيها متأخراً، تراكض الناس يزرعون، وهناك آلة حرث واحدة في البلدة، ولكن

(١) «عشت سعيداً» ص: (٧٩)

الخير القليل خير من ألا يكون هناك شيء .
كادت آلة الحرث أن تفقد فائدتها بالنسبة
لأم عبدالله وأخيها ، لولا معروف أسدي
سابقا لسائق الحراثة ، أنقذ الموقف برد
الجميل .

أختصر أحيانا ، لأن عينيَّ على الصفحات ،
لا أريد أن أحرم القارئ مما تمتعت بقراءته في
الكتاب .

المثل الإنجليزي ، الذي أرويه دائما ، وأردده
لصدقه ، هو أنه ليس هناك سحابة سوداء إلا
وفي داخلها بطانة بيضاء . إذا ضاقت السبل
فالفرج من عند الله ، جاءت المساعدة للزوج
والأخ في زرع أرض بور ، جاءت في نهاية
الموسم بخير عميم . لعل الأرض في سنوات

القحط تلقت بسمات الشمس ، التي خزنت
فيها الخصب ، فجادت بما جادت به هذا
العام .

سأل الصبي أمه ، وهو يساعدها في حمل
المحصول الجيد : « من تحبين أكثر أنا أم خالي » ؟
لا أريد ، أيها القارئ العزيز ، أن أعطيك
الجواب ، زيادة في تشويقك . إقرأه بنفسك ،
ففي الجواب عقل وفكر وعاطفة ، وإسكات
مع قوة حجة ، ألم يشوقك قولي هذا أكثر ،
إن سارعت لتقتني الكتاب فادع لي ، لأنني
تسببت لك باقتناء درة ، سوف تضيئ مكتبة
بيتك ، وسيستفيد منها كل من دخلها ،
خاصة أبناءك ، وهم الذين لم يعد الكتاب
عندهم شيئاً عند « اللاب توب » . اللهم

ارحمنا .

العمل في المزرعة والتكاتف ، وغلة
المحصول ، لم تُنس أم عبدالله حلمها المبهج :
البيت وبنائه ، فبمجرد ما فرغت يداها مما
شغلتهما به ، التفت ، التفاته كاملة ، لتكمل
طريقها الهادف : بناء البيت .

عندما يبدأ المؤلف قصة مثل قصة والدته
في بنائها للبيت ، يتخلل ثنايا القصة صور
صادقة للمجتمع ، صورة لذلك الذي
يساعد ، وصورة لذلك الذي يستमित في
المساعدة ، وتشعر أن هذا هو أحد أعمدة
سعادة المجتمع ، ولولا الله ثم هو لكان
القحط والعوز مخيمان على كل ربوع
المجتمع .

تحدد المبلغ الذي سوف يُبنى به البيت ،
وقدره ثمان مئة ريال ، وليس لديها منه إلا
غباره ، وليس من ذلك المبلغ إلا النزر القليل ،
الذي لا يكاد يذكر ، ولكنها خفت على
نفسها من هذا المبلغ بأن تلمست أسباب
التخفيض فدخلت ميدان الاقتصاد ، ورأت
قواعد التوفير أمامها واضحة ، فالطين الذي
سوف يصنع منه اللبن ، والأخشاب والجريد
والتبن كلها يمكن جلبها من المزرعة ،
وستعمل هي ، وسيكون ، من جملة عملها ،
حمل البعيد وتقريبه . هذه الأمور سوف
« تهزع » قامة المبلغ ، فيحني المبلغ رأسه أمام
العزم ، لن تتوقف عن العمل والمساعدة حتى
تري البيت قائماً على سوقه ، ويتحقق

حلمها : دفء في الشتاء وبرودة في الصيف ، واستقرار للجسم والذهن .
من بين الصور صورة مقلقة ، ترفع رأسها فجأة ، وهي ريال التبرع للجزائر ، صورة معبرة يرسمها المؤلف ، وبدون ذكرها يبقى هناك ثغرة في حياة الأسرة لم تُسد ، ويأتي مع هذا الريال تهديد وينتهي بالتبخر .

العلم نور ، وهذا النور بدأ يسطع من قناديل داخل نفس الصبي عبدالله ، بدأت الأشجار تطرح ثمارها ، بدأت أشعة العلم تطل بضياء براق على جوانب المجتمع ، فالصبي عبدالله ، الذي كان يتهرب من المدرسة ، يبذل جهدا لإقناع أبناء جاره بالدراسة ، رغم معارضة والدهم في أول

الأمر ، لأن هذا الوالد ، مثل كثير من حوله ، لم يؤمن بالمدرسة ، ولا بفائدتها ، كان الخوف يأتي للناس من أن المدرسة ما هي إلا طعم قد نصب لأولادهم لإحاقهم بالعسكرية ، وهذا تماما هو ما قيل عندما أنشئت دار التوحيد ، واختير لها أنسب مكان ، وهو الطائف ، وبدأ المسؤولون عنها يجوبون قرى نجد ومدنها ، يجمعون الطلاب ، ليلحقوهم بها ، فهرب الآباء أبناءهم ، وأخفوهم في قرى أخرى .

وقامت مدرسة دار التوحيد ، وأثبتت فائدتها ، وجلب لها الأساتذة من عظماء الرجال ، من داخل المملكة وخارجها ، ووكل أمر إدارتها لرجل فاضل ، هو الشيخ بهجة

البيطار. لقد تغيرت النظرة إليها بعد أن شع نورها، وأثبتت وجودها، وكانت وسيلة لنشر الخير العميم. وأصبحت مصدر نجدة لوزارة المعارف عند حاجتها لمعلمين، فلم تجد خيراً منهم تأهيلاً .

وقد استمر إشعاعها إلى اليوم، يتسلسل أثرها من جيل إلى جيل . حكومة تسعى للرقى، وشعب مبصر مقدر لهذا الفضل، وأفراد شكوا في النيات، وانكمشوا، أو تجرؤا وقاوموا، ولكن سيل الخير جارف، لم يبق أمامه معارض .

ومثل هذا الاعتراض رفع رأسه عندما تقرر فتح مدارس نظامية للبنات، ولكن المشروع شق طريقه بعزم وإصرار، كما تشق الطرق

الصعبة في جبال صخرية عاتية ، وانحدار
وارتفاع مخيف .

بلدة اللواء طيار عبدالله كانت من بين
المدن المعارضة لفتح مدارس البنات . ولقد
رسم المؤلف لبعض جوانب المعارضة صوراً
بهية ، تُري كيف يعمل المعارضون ، وما هو
الأسلوب المتكلف الذي يتبنونه ، ليوهموا
غيرهم ، ويحذروا من أخطار لا وجود لها إلا
في خيالهم القاصر . إن المؤلف سجل هنا
جزءاً من التاريخ المهم للتعليم في بلادنا
ومجتمعاتنا ، وما كان يدور في الأذهان ،
وتصرف القوى المخلصة الناضجة .

كثير مما مرّ بنا في مئة السنة الماضية سوف
يطويه النسيان ، ولن يُعرف عنه شيء . لن

يعرف شيء عن الجهاد والكفاح الذي تم لمدّ
بساط التقدم الحضاري، الذي نحن وإياه
اليوم في سباق، ولا يعيقنا في اندفاعنا إلا
الامكانيات المالية، والبشرية المؤهلة.
والسبب في هذا أن طموحنا يتعدى قدراتنا
التنفيذية؛ فعندما وجه خادم الحرمين
الشريفين، الملك عبد الله، بصرف وفر
الميزانية قبل خمس سنوات تقريبا، على
ثلاثة قطاعات من أهم القطاعات، وهي
التعليم والصحة والطرق، شمر كل وزير من
الوزراء الثلاثة أكماله، وانطلق ينفذ، وكان
الأمل أن تنتهي هذه المشاريع المهمة في ظرف
خمس سنوات، ليبدأ غيرها. وقد قوبلت
هذه المشاريع بترحاب، إلا أن بعض هذه

المشاريع قابلتها صعوبات في التنفيذ ، لأن القطاع الخاص عندنا لم يهيء نفسه لمثل هذا الحجم الضخم من الاتجاه إلى النمو والتطوير . ولم يكن من السهل التغلب على هذا بالاستعانة بشركات من الخارج .

لم يستطع رجال الأعمال ، المتخصصون في البناء أن يجمعوا قوتهم ، ويقابلوا متطلبات التنمية هذه ، أو أن ينجحوا في تنفيذ هذا الطموح . ومرّ وقت غير قصير على التغلب على هذه الصعوبات ؛ وإلى الآن هذا الجانب غير المتحرك ، يُري نفسه ، لا لأن الحقل غير مناسب ، أو أن الحقل غير مغرٍ بالكسب ، ولكن لأن الإزدحام عام في الوطن ، وأمام رجل الأعمال مجالات واسعة للاختيار ،

ولهذا فهو يختار ما فيه صالحه، ينظر إلى المشاريع بعين التاجر، يحرص على اختيار أقل المشاريع تعباً، وأسهلها تنفيذاً، وأكثرها كسباً، وليس بناء المستشفيات منها، لما تحويه من جوانب فنية دقيقة .

خال اللواء عبدالله كان من الذين رفعوا أعلامهم احتجاجاً على فتح مدارس للبنات، ولكن لا يحق إلا الحق . لقد رضح فيما بعد، وأدخل بناته المدرسة، بعد أن أقنعتة صاحبة الفكر النير، ومن ترى المستقبل من بواده، أم عبدالله، السراج المنير في الأسرة، هي التي أقنعتة، وحسناً فعلت .

عندما كتبت كتابي : «النساء رياحين» عرضت فيه سير نساء غلبن الرجال في

صواب آرائهن ، مقابل خطل آراء بعض الرجال ، أو حيرتهم في إيجاد الحل . وحقُّ لأم عبدالله أن تضم إليهن ، ولكن يكتب عنها كتاب متكامل ، في إقناع أخيها بإدخال بناته للمدرسة ، ألم تكن بصيرتها أصوب من بصيرته ؟ لو لم تكن كذلك لما انتهى الأمر بالقناعة ، رحمها الله ورحمهم .

والمقارنة ، بين الرجال والنساء ، ومن منهم الأجود في العمل ، تأتي أثناء الحديث ، فها هي النساء تسابق الرجال في حصد القمح ، ومن ينتهي من الفريقين قبل الثاني .

والمؤلف لا يترك هذه الصورة المهمة دون أن يأتي على جوانبها كلها ، من حصد للسنابل إلى نقلها من الحقل إلى الجرين ، لتدوسها

الحيوانات، وتفضل الأبقار، ولتفصل الحب
عن السنابل، ويأتي بـصور تتلو ذلك
وتكمله، صور لا يصدقها إلا من رآها .

الجرين، عادة، أرض صخرية متساوية،
يُوضع في وسطها عمود، تُربط الدابة فيه،
بطريقة تسمح لها أن تدور حوله، ويوضع
القمح حول العمود، وتدوس الدابة القمح
بأظلافها، وشخص خلفها يحثها، وبيده أو
بيدها، سطل تسير به معها، لتتلقى ما قد
تخرجه الدابة، من مادة سائلة أو صلبة . وما
تخرجه الدابة لا يخضع لوقت، فهو مثل
الطلق إذا جاء جاء ! . وهذا يري مدى عمق
الكفاح في هذا الجانب، وسعته واندياحه .
لقد وفى الخال بوعدده في المساعدة في

البناء، ووفت أخته بالمعاوضة والمساعدة
فيما تستطيعه، يحدوها الأمل، وتشدها
العزيمة، وتظلها الإرادة؛ تسير بدفع داخلي
شديد، يقابله دفع خارجي مثله في الشدة .
ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن،
فبعد البدء بقليل نضب المال المتوافر، ووقف
دفع العمل، فالعمال كانوا يأخذون ستة
وعشرين ريالاً في الشهر، فاضطرت في أول
الأمر أن تضحى بأحد مقتنياتها الغالية، وهو
صندوق كانت تعز به كل امرأة زفت إلى
زوجها، هو خزنتها الحصىنة، ودولاب
ملابسها، وما قد يكون لديها من أشياء
غالية، قيمة أو معنى، باعت هذا الصندوق
الخاوي، وسيرت بثمنه العمل شهراً، عليها

في أثنائه تتدبر أمرها .

لابد من الاستدانة، هنا تترادف الصور،
المظلم منها أولاً ثم المنير آخرأً. تطرق أم
عبدالله الأبواب، التي تؤمل أن يكون عند
أهلها ما تستدينه، ولكن حال أهل هذه
الأبواب ليست أحسن كثيراً من حالها.
ولكنها لا تيأس؛ وكلما أطل اليأس برأسه
أطلت صورة البيت ومعها الآمال، ثم أخيراً
ترجح كفة إطلالة صورة البيت، وجاءت
لحظات ظنت أم عبدالله أنها مثل المنقطع، لا
أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، أصبحت في
صحراء جرداء، خانتها قريبتها، ونفذ وقود
سيارتها. ولكن أم عبدالله عيناها دائماً على
البيت، مصدر آمالها، وهذا يأتي بقطرات

ندى تبل الريق ، ولكنها لا تغني من جوع .
والناس الخيرون الموفقون يثمر فيهم
المعروف ، ولا ينسونه ، ويتطلعون إلى رده
بأحسن منه . تذكرت أم عبدالله رجلا قد
أسدت له الأسرة خدمة ، وأم عبدالله تعرف
أن النبتة الطيبة في الأرض الخصبة لا بد أن
تأتي بمردود مُجزٍ . تذكرت رجلا يمت إليها
بصلة رحم ، سبق أن أسدت إليه معروفا ،
فذهبت إليه ، وشرحت له حاجتها ، فرحب
بها ، واستعد بتلبية طلبها حالا ، وسألها :
كم تحتاج من المال ، قالت : أريد نصف المبلغ
الذي أنا محتاجة إليه ، أريد سلف ثلاث مئة
ريال ، ثم يعين الله على الباقي . قال لها
بلسان النبل ، إن نصف المبلغ لا يكفي ،

«استعد أيها القارئ الكريم لعبرة سوف
تتكسر في حلقك، ودموع سوف تسحّ من
عينيك، لأنه سوف يأتي من الرجولة
والتوفيق ما لم تتوقعه» .

لقد تلبدت السماء بغيوم ممطرة، ونزل
المطر منها مدرارا. ففجأة، وأم عبد الله في
صحراء مجدبة، كما قلنا، برزت استراحة،
في وسط الدوّ، وبها ماء وبها وقود .

قال لها الرجل النبيل، الذي ندعو الله أن
يعطيه من خيره العميم في جناته غرفا عليا،
تجري من تحتها الأنهار، أنا يا أم عبد الله، لا
أنسى جميلك السابق، وسوف أقرضك
المبلغ كاملا : ست مئة ريال، دفعة واحدة،
وسوف - بإذن الله - تسددينه من مرتبات

عبدالله .

إنه النبيل بأبهى صورته . صدق أهل نجد
عندما يقولون : « ما بين الردى والجود شيء » .
ما حجم السعادة التي أسداها هذا الرجل
النادر ، لأسرة كاملة . إن الإنسان لا يعرف
مقدار رضاه عن نفسه إلا عندما يعطي
محتسبا وجه الله . إن الرضى عن النفس ،
التي تسير في ضوء توفيق الله ، ذخيرة
لا تنفذ .

حقٌّ لأم عبدالله عندما استقبلت القبلة
داعية لهذا الرجل النبيل من قلبها ، بكل ما
تتمناه له . ومثلها لا يملك إلا الدعاء ، الذي
يخرج صادقا ، وبأمل أن يقبله الله .

إن كل كلمة قالها الرجل تنبض بالنبيل

والأصالة، بجانب الفعل العظيم، الذي عجز
عن بعضه غيره، وكل كلمة فيها إشعاع
يمثل إشعاع المبلغ الذي أرخصه، مقابل
حاجتها. إنه أولاً أراح بالها من أن تستعجل
بالسداد، كما يفعل عادة الدائنون. وثانياً
هذا الفأل الجميل، في أن يكون وفاء الدين
من مرتبات عبد الله - إن شاء الله. إن
الرجل الطيب يدعو لفلذة كبدها بالوصول
إلى ما كان أقصى أمنيته لابنها. إن الله إذا
وفق شخصاً وفقه بكرم. لقد التفت أم
عبد الله إلى زوج الرجل في نهاية المقابلة
وقالت لها: «أهنئك على هذا الزوج
وأريحته» .

لا بد أن الزوج سعيدة مع زوجها، وزوج

مثل هذا يسعد زوجه وبيته . وأم عبدالله
تقدر سعادة الزوجين .

هذه البسمة في هذا الباب تخفف مما كان
سببه الصبي من شقاوة من قبل ، وآخر
أعماله غير المرضية صولته ، وزملاؤه ، ضد
أنوار الشوارع ، لأنها أنارت شوارع البلدة ،
ولم تشمل بالإضاءة الضواحي . مع أن
التحسن لدى الصبي بدأ قبل نهاية هذا
المشروع الصياني ، إذ توقف عن هذا قبل أن
يتوقف زملاؤه الذين قادهم هو في أول
الأمر ، فلذتهم لم تدعهم يتركونها ، مثلما
تركها هو ، ووقعوا وحدهم في إثمها .

بقي صورة لم ينسها أو يهملها ، وهي لا بد
منها ، لأنها تكمل صورة المجتمع وصغاره .

وبعض الناس يعدها شقاوة، وهذا صحيح، ولكنها شقاوة متوقعة من كل جيل، وكأنها جزء من تكوينهم في هذه الفترة من نموهم. وما نشأ جيل، ومرّ بما يمر به كل صبي، إلا ومرّ بها، وزاول ما يزاول فيها من عمل. فإن أدين أحد، فيجب أن تدان القرية، لأن كل من فيها قد مرّ بهذه الشقاوة.

وهذه الشقاوة هي سطو الشباب، وقت القيلولة، واستراحة الفلاح، على مزرعته. وسرقة بعض ما نضج من الفاكهة والخضروات.

انتهى البيت - والحمد لله - ولا بد من عمل يدر مالا للمعيشة ووفاء الدين، ففكرت، وهي صاحبة الفكر المنير، أن تبدأ

تجارة، وأن تختار منها ما يحتاجه الناس في بلدتهم، فوصلت إلى ما هداها إلى أقرب البضائع قبولاً من الناس، ومن ذلك صفقات الزعفران، ودهان الفكس، وأنواع الحلوى، والحناء، وما إلى ذلك مما يتوافر، ولا يستغنى عنه .

لقد وقفت الآن على قدميها، وأثبتت أنها من عنصر زاك، «بنت أبيها» .

يختم المؤلف هذا الباب بصور رسمها بريشة فنان حاذق، وأصابع ماهرة .

رسم المؤلف صورة له وقد بدأ «يشمّ المرحلة»، يدخل روض الرجال، ورسمه وهو يدعو صاحبين له على الغداء. ولم يخطط تخطيطاً متقناً، فقابلته مشاكل وقابل

طلباته رفض وتبكيت ، فلم ييأس ، ولم
يجعل الأمر يظهره بالخائب . ويضحك له
الظرف ، عندما مدت إحدى قريباته يدها
الحنون ، وأمسكت به وأوصلته إلى بر
السلام .

إنها مقدرة من الكاتب أن يستطيع أن
يحمل القارئ إلى حيث جرت وقائع الأمر ،
فلا يفوتك من الصورة أصغر تفاصيلها .
وهذا ما أهله أن يقال عنه إنه كاتب ماهر .

في كل فصل من فصول الكتاب تبدأ
مرحلة من مراحل نمو الشاب ، وقد أقبلنا
على مرحلة مهمة ، لأنها أخذت مكانا من
عنوان الكتاب .

فإليها :

يارب، اعطني دراجة (١)

جاءت حياة الدراجة دون تخطيط أو ترتيب مسبق، وما أدى إلى ذلك إلا الصدفة البحتة، فقد ذهب الصبي إلى الرياض، مع والدته وزوجها وابنتها، ليشتروا متطلبات زواج أخته. وهناك رأى بطلنا الدراجة، فوقع في حبها من أول نظرة، وحارت قدمه أمام الدكان الذي تباع فيه، ورأت أخته هذا المنظر، وهذا التعلق، وهي التي لم تخذله يوماً، فاشتريتها له من مهرها، ولم يترك الرياض دون أن تكون الدراجة معه، إنها

(١) «عشت سعيداً» ص: (٩٣)

بهذا قد زادت من فضلها عليه ، إنه لا يفيها
حقها عليه ، و« لو حج بها على أكتافه » .
أدخلته الدراجة مرحلة حياة جديدة ،
فتحت له آفاقا لم تكن مفتوحة أمامه من
قبل ، ساعدته ، بعد أن عاد إلى بلده ، أن
يبتعد عن عشه ، الذي كان يدور فيه ،
وحوله ، ساعدته على أن يتمتع بالطبيعة
التي كانت تلوح من بعيد ، أصبح يرى
جمالها ويتمتع به ، أصبح يقترب من الطير ،
ويتأملها ويدرسها ، ويرى في تصرفها ،
وتدبيرها لأمرها ما أفاده في مستقبله ؛ أخذ
من طير الحجل حسن قيادته لفريقه ،
وتخطيطه ، وحذره ، وطاعة من خلفه له .
خاطر كاتبنا وجازف ، وتعرض للأخطار دون

أن يدري، وما كان هذا إلا على أعصاب
والدته المسكينة، التي لا تملك إلا أن
تغضب، خوفاً عليه، فهو وحيدها، وهو غرّ
صغير، لا يقدر عواقب الأمور، إنه لم يصل
بعد إلى النضج الذي يمكن أن يقيه شرور
الأخطار، أو يحميه من مزية الأقدام .

كانت رحلته مع والدته وأخته إلى الرياض
مؤثرة عليه. فقد انبهر بما رآه فيها، مقارنة
ببلدته، توقف أمام جندي المرور بهيئته
وهيبته، لقد تمنى أن يكون في برديه، فروح
القيادة الكامنة في أعماقه جعلته ينظر إلى
الجندي نظرة إكبار وإجلال. لا تستعجل
يا بطلنا، فعن قريب سوف تقود طائرة
حربية، لا يكون عمل الجندي بجانبها

شيئاً، وستقود فرقا في السماء لا على الأرض .

بهرت الرياض بطلنا بكثرة الناس فيها، وتنوعهم، ومهنتهم وأعمالهم، بهرته الحمير تجر العربات، مظاهر اختفى منها كثير مما كان قائما، وحل محله ما تديره التقنية والعلوم الحديثة .

درجت به الدراجة إلى مرحلة جديدة، مهدت له دخول مدرسة الحياة الواسعة، ويا لها من مدرسة .

إن طموح الصغار محدود، أعود إلى طموحه إلى أن يكون جندي مرور، يريد بهذا إرضاء طموحه لقوة القيادة الكامنة في

روحه الوثابة. قارن هذا بأمنية صبي آخر ،
سئل عما يود أن يكون عليه عندما يكبر ،
قال : أريد أن أكون سائق تاكسي ، قيل له :
لماذا؟ قال : لأشبع من القيادة. القيادة من
جديد ، قيادة هيكل عملاق ، يحمل بشراً ،
هم تحت تصرفه. إن قيادة السيارات هي
أمنية كل صغير ، وهي تُري بذرة الطموح
داخل وعاء الروح الذي لا يرى .

في مدرسة الحياة (١)

تمر الأيام، وتكر الليالي، ويكبر صغيرنا،
ويكبر معه طموحه، فيجد أن المدرسة
النظامية الحكومية، بعلومها، لا تكفي
تطلعه في هذه الحياة، ولهذا أرغمته الحياة أن
يدخل مدرستها عندما تشوف إليها. ها هو
في أوقات السمر يصبح محور الجلسة،
يحضر جلسات الكبار، فيقرأ لهم الأشعار،
فيعود عليه هذا بالخير المجزي، وجزاؤه هنا
حفظ الأشعار، والتمتع بها، وخزن صورها
ومعانيها في صدره. لقد أرهفت ذوقه،

(١) «عشت سعيداً» ص: (٧٠)

وزادت مخزون حفظه، عرف الشعراء
القدامى، وأشعارهم المشهورة .
بدأ يقدر العلم، لما أوصله إليه من منزلة،
فالعلم جعله مرموقا، في مجتمع الأسرة
الصغير . نور العلم قاده إلى أن يفكر في
أخته الصغيرة، وكيف حرمت من العلم في
هذا المحيط غير المتقدم، فدار حول المشكلة،
بروح سامية، وبدأ يعلمها بنفسه، وبهره
حدة ذكائها، وسرعة تقبلها، والمقدرة على
الاستيعاب، فاستمر بنفس رضية . أما أخته
الكبرى فقد قطعت شوطاً في واجبات
الزوجية، وتربية الأولاد، ولم تستفد الفائدة
التي كانت تتوقها من مدارس محو الأمية،
ولكن لها من الأمجاد ما يكفيها .

ما وصل إليه من «نجومية» في مجتمعه لم يأتَه كله بخير، وهكذا السير الصافي في الحياة لا يُدرى متى يطرأ ما يشوبه، كان هناك جانب مظلم أطل، ولكن الله حماه من ظلمته. استغل بعض ضعاف النفوس من أهل بلدته أن يستفيد من دخوله البيوت، ثقة من أهلها به، فأراد أن يُحمّله رسائل غرام شفوية، ولكن الله عصمه من التجاوب.

لعلكم، أيها القراء الأعزاء، تتساءلون ما فعل الله بالعمة سارة، ولا أشك أنكم اشتقتم إليها، لقد غلبها الزمن، وأضعفها الكبر. ورغم إصرارها على أن تبقى وحيدة في بيتها إلا أن أم عبدالله بنبلها نقلتها

عندها في بيتها، «قصر المجد» لتكون تحت
رعايتها. ولم يكن هذا مستغرباً من امرأة
تنعم بنعمة توفيق الله .

أخذ بطلنا يتوغل في مدرسة الحياة، منتهزاً
فرصة وجود أخته وزوجها في الرياض،
ليذهب إلى الرياض في الصيف، ولتمتلي
روحه بما فيها من ميزات لم تكن في قريته،
فهناك سوق المقيبرة، وما فيها من حياة
متدفقة، بيع وشراء، وما فيها يذهل . لقد
أدهشه ما يرى من حركة تجارية، فرأى أن
يدرب ملكته على التجارة، واختار أن يبيع
ويشتري في الماء، وهذا عاد عليه بمرود
يتناسب مع كده وكدحه من الصباح إلى

الظهر، وكانت حصيلة ربحه ريالاً في اليوم.
الجو الثقافي في الرياض جذاب : صحف
ومجلات وكتب ، ومجالس ثقافية متقدمة ،
تدار فيها أمور العلم والثقافة والسياسة ،
الداخلية والخارجية . وأصبح أمامه مجالات
فكرية يختار منها ما يشاء ، لقد أعجبه
بعض المواضيع البراقة ، مثل مدح الحرية .
بعض مراحل التعليم ، مثل المرحلة
المتوسطة ، لم تنتشر بعد ، وبلدته لا تتحمل
أكثر من المرحلة الابتدائية ، ولهذا فعليه ، إن
أراد الاستمرار في الدراسة أن ينتقل من
بلدته إلى بلدة يكون فيها مرحلة متوسطة
وهذا جعله ينتقل إلى الرياض ، ففيها ثلاث

مدارس متوسطة، وفيها أخته وزوجها،
فالتحق بإحدى المدارس الثلاث، واندمج في
الجو الجديد. ومع التقدم في الدراسة، وزيادة
سنوات العمر سوف يدخل صبينا مرحلة
جديدة، وسيرسم بداية تغير جديد، محيط
اختلف، ودراسة تقدمت. فما هو هذا التغير
الجديد ؟

بداية التغيير (١)

هذا موضوع أعمل المؤلف فكره فيه بتأن وعمق تفكير. كتبه بعد أن نضج ذهنه، واتسعت ثقافته، وعرك الحياة. كتبه بتؤدة بعد أن تقاعد، وجعله «سبورة» فكر، لا بد أنه أعاده في رأسه قبل أن يعرضه علينا. وقف المؤلف على جبل عال يرى منه السهل الذي تحته، وأخذ يصف لنا ما يراه في السهل بعينه هو. طرح أفكاراً هي نتيجة تدبر خاص، قد يقبلها أناس، وقد يرفضها آخرون، ولكل حريته في القبول أو الرفض،

(١) «عشت سعيداً» ص: (١٠٥)

وكلاهما يأتي من تأثير ثقافة أو معاناة في الحياة. ليس هناك حكمًا يرجح هذا الرأي أو ذاك، سيبقى لكل رأيه .

دخل إلى الموضوع، وقسمه تقسيما سليما، لقد وصف الواقع، كما رآه، والصورة التي أوردها في الباب السابق وصفا أكمله في هذا الباب بالتحليل العميق، فبين، حسب وجهة نظره، الواقع، وما هو عليه، ونتائجه، وألحق هذا بما كان يتمناه .

إنه باب يستحق الوقوف عنده طويلا، وعلى القارئ أن يسأل نفسه: هل ما قاله المؤلف يتفق مع ما كان يفكر فيه، أو أنه جديد عليه، أو مخالف لرأي كان يراه؟ وهل

تأثر بما قاله المؤلف ؟ وهل هو من المؤيدين
لشيء منه ، أو من المعارضين لشيء آخر ؟
وهل بالإمكان أفضل مما كان في ظل
الظروف الاجتماعية والمالية والسياسية ، في
بلادنا ، وفي البلدان العربية التي نستعين بها
تعلّما وغيره ؟ وهل هذه « التشكيلة » كان
بالإمكان جلب ما هو خير منها ؟ أم أن
« الجود من الموجود » .

المؤلف اليوم رجل مفكر ومجرب ، وبعض
التجارب أحرقت أصابعه ، مثل أي مجتهد
في هذه الحياة ، فهو خبير الآن بالمجتمعات ،
والعوامل التي تحكمها ، وما تأتي به ، وما
يأتي منها .

إن العالم، بأكمله، أصبح عاصيا على
تنظيم المفكرين، أصبح منساقا مع مهب
الريح، تأخذه يمينا حينا، وحينما شمالا،
المؤلف يطالب باستعمال العقل، ولكن
الزحف الحديث طغى على عمل العقل.
أصبحت التيارات المتضاربة تتحكم في
المجتمع الدولي، ومن فيه، وهل في الحروب
من عقل؟ وهل في التطاحن من عقل؟ وهل
في الظلم عقل؟ وهل نهب شعب بأكمله
عقل؟ لم يعد شيء من تصرف القوى
العظمى في العالم عقلا، إنما السير الآن
أصبح يمشي على مبدأ: «القوة هي الحق»،
ودعك من العبارات البراقة، التي يزاود

عليها في الأسواق ، ويؤتى بها لتبرير ما
ليس بعقل ، وتذكر قول ابن المقفع الحكيم ،
وقد جاء على لسان الحية ، التي حاول رجل
قتلها بفأسه ، فأخطأ المقتل ، ولكنه ترك ندبه
في الرأس ، ودخلت الحية جحرها ، وأخذ
يحاول أن يقنعها بالخروج ، مستمطراً جميع
حجج حسن النية ، ولكنها ردت بحكمة ،
قالت : « كيف أنسى وهذا أثر فأسك في
رأسي ؟ » .

نحن مجبرون في سيرنا أن نقبل ما نجده ،
إن لم نستطع الغوص إلى اللب ، فلنقبل
القشر ، حتى نتعلم الغوص إلى قاع البحار .
إن في هذا بقاءنا .

عندما جئنا بالمدرّسين، جئنا منهم بمن
«يجزي» ويسد الثغرات، ولا مناص لنا عن
ذلك، إن بعض مصادرها كانت تُؤمن
بالتلقين، جئنا بهم، ليساعدونا إلى أن نجد
خيراً منهم، وقد وجدنا الآن بغيتنا في
أولادنا، وأصبح بإمكاننا أن نخرج من
القوقعة. ونتبنى أمراً ناقصاً تأتي منه بعض
الفائدة، خيراً من أمر نرجيه، ولا فائدة منه
في الوقت الحاضر .

وأعتقد أن ما نمر به الآن من مرحلة فيها
علاج ناجح لما كان يظنه المؤلف يحتاج إلى
علاج : جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية
خطوة مشعة على الطريق، ولعلها أنشئت

بعد أن قال ما قال ، فهي سد لفراغ كان
يشعر به .

هذا الباب قصير ، ولكنه عميق ، وإذا كان
المؤلف لم يطل فيه ، فلأنه يدرك أن بعير
القارئ سوف تبرك عنده .

سنترك القارئ حتى تنهض دابته ، ونفتح
له حينئذ الباب الذي يلي هذا ، ليجد الباب
مفتوحا على مصراعيه .

عودة إلى القرية (١)

الحنين إلى الوطن غريزة زرعتها الله -
سبحانه وتعالى - في روح الإنسان ، حتى إذا
كان الوطن ليس المكان المثالي للراحة . ولكن
« ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب » .

اشتاق المؤلف إلى بلده ، ونحن كذلك
اشتقنا أن نعرف ماذا هناك ، لأن الأمور تتغير
بسرعة متناهية ، مثلها مثل أي بلدة في
المملكة ، مدينة أو قرية . وسنفاجاً دون تمهيد
أو إنذار . سوف نجد أن أم عبدالله لم تعد
تسكن الآن في بيتها الذي بنته ، إذ أنها

(١) «عشت سعيداً» ص : (١١٧)

انتقلت إلى بيت زوجها في داخل البلدة،
ولكنه بيت أبعد ما يكون عن وسائل
الصحة، كل وسائل فساد الهواء متوافرة
فيه، مظلّم، أبعد من أن يشرح الصدر، مما
جعل عبدالله ينفر منه، ويسرع في العودة
إلى الرياض .

عاد عبدالله إلى قريته ظافراً دراسة ومالاً،
وإن كان المال احتاج إلى خطوة قبل أن
يذهب في الطريق المنوي له، لنقف هنا
لحظة، ونتذكر الدين الذي على والدته
للرجل المحسن، وقدره ست مئة ريال . وقد
سلم عبدالله لوالدته الآن ألفاً وخمسين
ريالاً .

إن اللواء عبدالله لا يهنأ إلا إذا رأى أعيننا

تفيض بالدموع كلما ظننا أن مآقينا قد جفت بعد آخر قصة «مؤثرة» قصها علينا ، أما دموع اليوم ، فهي دموع فرح وابتهاج وشكر لله - سبحانه - على نعمه الضافية ، إذ بدلّ حالا إلى حال . لقد فك عسر والدته ؛ بوفائه دينها ، وزاد عندها من المبلغ ، بعد أن أوفت دينها إلى الرجل الطيب ، ما أمكنها من الاستفادة منه .

إن هذا الرجل الطيب عندما أحضر المبلغ ذكّرَها بالشرط الذي اشترطه للوفاء بالدين ، وأن يكون من مرتبات عبد الله ، فطمأنته أن شرطه مراعى ، وأن المبلغ من مكافأة عبد الله في دراسته . إن هذا الرجل يغرف من بحر نبل وكرم ، أكرمه الله بجنت النعيم ، إنه

جواد كريم .

يتوالى توارد الخير ، فالوالدة أصبحت امرأة
خبيرة في تجارتها ، التي تحتاجها قريرتها ، وقد
ازدهرت هذه التجارة ، وجلبت أرباحا رضية
بها أم عبدالله .

لم تنس أم عبدالله ، وقد زادت مكافأة
عبدالله عن الدين ، أن تذكر بعض
المحتاجين ، فأكرمهم بشيء من المكافأة ، وهي
خير من يعرف مرارة الحاجة ، وحلاوة تفريج
الكرب عن المكروبين . وقد سارعت لغرس
جميل هنا وهناك ، وبقي لها من بركة هذا
المال الحلال ما أضافته إلى رأس مالها
التجاري ؛ وإن الله مع المحسنين .

ينتهز المؤلف كل فرصة يرى فيها صورة

غريبة على مجتمعنا الحالي ، فيقتنصها ،
ويرسم بريشته البارعة ، دون تكلف ، صورة
للعوز الذي مرَّ به والده من قبل ، وكيف
اضطره الحال إلى أن يمشي من بلده الزلفي
إلى الرياض على قدميه . أما وقد بدأ القصة
فقد رسم تحتها بعض مقاطع هذه الرحلة ،
وكلها عوز وفقر ، وشظف عيش ؛ انعدام
الغذاء والسكن والدفع ؛ صور تجعل من
عينه على نعمة الله في وقتنا الحاضر ، برفع
كفيه ليشكر الرازق الكريم . وتُتَوَجَّ هذه
الرحلة المضنية بعودة الأب ومعه نزر قليل مما
أمل أن يعود به .

قصة الأب تجرُّ إلى قصة الجد ، وهي صورة
أكثر ألماً ، يتسابق فيها الفقر والكرم ، والعوز

والنبل، أما وقد لمستَ حال الوالد المؤلمة،
فسأترك لك أيها القارئ الكريم، تفاصيل
حال الجد، وكان فيها ما هو أكثر ألماً أو
تُراها؟

ومن قصة إلى قصة، سلسلة منتظمة من
أحوال الناس المؤلمة، وما هم فيه من عسرة
وضيق. إنها صور معتادة في تلك الأيام، في
المجتمع النجدي. أما اليوم، فلا تكاد تصدق.
ليت نتائج تجارب الآباء يرثها الأبناء
والأحفاد. لو حدث هذا لتفاديننا كثيراً من
الأخطاء التي نرتكبها، ولا نخشى معها
العقوبة.

إن مقارنة ما كانوا عليه في مجتمعهم
ذاك، بمجتمعنا، وما نحن عليه، ما كانوا

عليه من توفير ، وما نحن فيه من بذخ
وترف . لو أخذنا فقط ما كانوا يقدمونه من
مهر ، وما كانوا يصرفونه عند الزواج ، بما
عليه مجتمعنا اليوم من صرف باذخ ليس في
المهور فقط ، ولكن في حفلات الزواج . في
هذه الحفلات المسرفة في الصرف والبذخ
يغيب المنطق والعقل ، ونتائج هذا مؤلمة ، إثم
على الإسراف ، وإيلام للفقير ، والحكمة
الذهبية تقول : « لا سرف إلا ومعه حقٌّ
مضاع » .

البذخ والترف ، والتقليد في هذا من القادر
وغير القادر أضعف عندنا صوت العقل .
أليس أنفع للعروسين أن يضعا المبلغ ، الذي
بين يديهما ، في حساب يفيدهما في

حياتهما الزوجية المقبلة، والمحزن أن الفقير،
غير القادر يستدين ليظهر بالمظهر الذي
يجعله ليس أقل من غيره، وكم من شخص
رهن بيته، ليتجمل مع الناس .

الصور المؤلمة في مجتمعنا، في وقتنا
الحاضر لا تكاد تُحصى أو تُحصر . أحدها
الاعتیاد الجديد على السفر خارج المملكة في
الصيف، وهو ما لم نكن نعرفه من قبل، إلا
للتجارة أو العلاج أو الدراسة، أو ما إلى
ذلك، أما اليوم فقد أصبح عادة جعلت
القادر يملك بيتا في إحدى البلدان
السياحية، وشقة في بلد آخر وثالث، وهذه
من وسائل جذبهِ للسفر ومداومته عليه،
ويذهب بعضهم لمدة شهر أو شهرين أو

أكثر . ولا قيمة للوقت ، إذ أنه في أثناء هذا السفر ليس هناك عمل مفيد يُعمل .

تسأل بعض هؤلاء المداومين على السفر عن المتاحف التي زارها في رحلاته الصيفية ، وقد بلغت عشرين عاما ، فيفيدك أنه لا يهتم بالمتاحف والمعارض والمعالم السياحية ، إنه يذهب ، ويجلس على ضفاف بحيرة جينيف أو في إحدى مقاهي الشانزيلزيه . يتمتع برؤية الناس ، والحقيقة أن المارة هم الذين يتمتعون برؤيته ، لأن ما يدفعه مبالغ خيالية ، جزء منها فقط لحجز مقعد على رصيف أحد المقاهي .

وإذا كنا نجد للموسر عذره ، فلا نجد عذراً لفقير يستدين ليسافر ، لأن أهله وأولاده

يشعرون بالضيعة إذا لم يسافروا . ماذا
يقول الأبناء والبنات عند عودتهم لمدارسهم
بعد الصيف لزملائهم ، إذا سألوهم أين
قضوا عطلة الصيف .

إجازة الصيف تقليد جلبناه من الغرب .
جلبنا منه القشر ، ولم نجلب اللب ، جلبنا
العادة ولم نجلب حضارتها معها . نمسك
طرف الحبل ولا نتعب أنفسنا لمعرفة ما في
نهايته . ليس الصيد في رمي السنارة ، فقط ،
هناك أصول لتحريك الحبل ، ليحيا الطعم ،
فيجلب السمك ، ودليل صيد السنارة
« غمزتها » ، ثم إخراجها وتخليص ما علق
بها . أما نحن فنلقي السنارة وننام ، وتأتي
السمكة فتأكل الطعم بأناة داعية لهذا النائم

ألا يصحروا إلى الأبد .

حضارة الغربيين توجب عليهم أن يخططوا لرحلتهم من أول العام، وهم جلوس في الشتاء أمام المدفأة، مع كل كتيبات السياحة، التي يحصلون عليها، ثم يختارون ما يعتقدون أنه البرنامج الذي يفيدهم، فيرتبون مع صاحب مكتب السياحة برنامج رحلتهم في الصيف، وهي لا تزيد عن أسبوعين، يقضون إجازة كل عام في بلد لم يروه من قبل .

يُسلم السائح المبلغ بكامله لمكتب السياحة، وهذا يأخذهم من مدينتهم حسب البرنامج الذي اختاروه، يرتب أمر السفر براً أو بحراً أو جواً، ومعهم من يكونون في

مستواهم من السياح ، وعندما يصلون إلى
البلد الذي يقصدونه ، يبدأ برنامج التنفيذ
في اليوم الأول ، ويجتمع الفريق في ردهة
الفندق ، فيأخذهم المكتب السياحي بحافلة ،
ومعهم مرشد ، يشرح لهم ما تقع عليه
أعينهم مما يمرون به من معالم ، وهم في
طريقهم إلى متحف ، أو معلم مشهور من
معالم المدينة . ووقت الغداء ، إذا حل ، تناولوا
وجبة خفيفة ، أو تغدوا غداء مرتبا في مطعم
من المطاعم الأثرية ، أو المشهورة .

يصبح السائح في سياحته مثل النحلة ،
ينتقل من زهرة إلى زهرة ، فإذا أقبل الليل
أعادهم مكتب السياحة إلى فندقهم ،
ليتناولوا طعام العشاء المهيأ لهم ، وبعد ذلك

يذهبون لغرفهم للنوم، وهم بعد عناء
الجولات في النهار في أشد الشوق إلى نوم
هادئ عميق. وفي الصباح يبدأ يوم جديد،
وبرنامج مغاير لبرنامج أمس، حافل بكل ما
لذ وطاب .

بعد انتهاء الأسبوعين يعيدهم المكتب إلى
بلادهم، وقد خزنوا من المعلومات والفوائد،
ما يكون هو حديثهم طوال العام المقبل. وإذا
صادف، وظهر في الأخبار، أو في برامج
التلفزيون منظر من معلم سبق أن رأوه،
تذكروه وانتقلوا بأرواحهم إليه، وعنى لهم
الخبر أكثر مما عنى لغيرهم.

أين أهلنا وسواحنا من هؤلاء؟! إن البون
شاسع، إن حضارتهم في هذا لب،

وحضارتنا قشور، وفرق بين الثري والثريا .
أكتب هذا، وإجازة الصيف للمدارس على
وشك البدء، والأجنحة بدأت تفرد . أما أنا
فلا أغبط المسافرين على سفرهم، ولعلي
أقرب أن أرثي لحالهم، فليس هناك سرير،
مهما كان مريحاً، أكثر راحة من سريري
الذي عرفته وعرفني، تعودت عليه، وتعود
عليّ، ومثله حمّامي، والدرج الذي أّصعد
منه وأهبط، ليس هناك مثل الأماكن التي
ألفتها وألفتني، أكاد أمشي فيها مُغمض
العينين .

كيف أترك هذا كله، وأذهب مختاراً إلى
عناء وشقاء، شقاء في حجز الطائرة، وتوقع
التأخر في الإقلاع، أو إلغاء الرحلة، وبعد

الطائرة يأتي شقاء حجز الأماكن في
الفنادق ، ثم الفنادق وما فيها من حياة تحتاج
إلى تَعَوُّدٍ ، تَعَوُّدٍ على السرير والحمام
والمطعم ، وقبل هذا ملء الاستثمارات ، وهو
أمر يقصر العمر . وإن أراح الله المسافر من
شقاء الفنادق لأن له بيتاً أو شقة ، فيجد مثل
ما وجد صديق لي لديه شقة في برشلونه ، أن
الماء طفى عليها من ساكن في شقة في
الطابق الأعلى ، فأعدمت الشقة ، ومعها
الأثاث ، ومن بينه زرابي ثمينة . وانتهى
الصيف في فندق ، والشقة بين هدم وإصلاح .
ألم يقل آباؤنا أيام السفر على الإبل : إن
السفر قطعة من جهنم ، إنه لا يزال كذلك ،
أيام الطائرات والسيارات ، يذهب المسافر ،

ومعه أنة .

ألم أقل إن في قلبي شراسة ، كلما وجهته
للحديث عن كتاب اللواء عبدالله حادبي
إلى شيء آخر يهمه هو ، وهذا لا يعني أن
كتاب اللواء لا يهمه ، ولكنه مع كتاب
اللواء : « نحن مقيمون وعلى ماء » ! ما لي إلا
أن أستعين باللواء الطيار لينقض عليه
« بالآف فيفتين » فيرهقه قترا . ولضمان
إخضاعه لفكري على اللواء أن يستصحب
معه سرباً من الطائرات .

لقد جاء قبل صفحات حيدة كاملة عندما
بدأت الكلام عن السياح العرب وتصرفهم ،
ولكنني غافلتة وحذفت ما خط ، فهو الآن
يحاول أن يختلني ، كما ختلته ، ولكن

هيهات فأنا خويتل على وزن خويطر ، كما
يطيب لمعالي الأستاذ الدكتور / غازي -
شفاه الله - أن يلقبني ؛ لأنني في أحد
الاجتماعات استدرجته إلى قرار لم يتنبه
لمراه إلا بعد فوات الأوان .

كنا نتكلم حتى الآن عن السفر غير
المفضل ، والآن سوف نتكلم عن السفر
المفضل ، ذي الفوائد التي لا تُحصى ، والسفر
الذي سوف يثاب فاعله ، وسوف يملأ روح
صاحبه بالرضى والمتعة . إنه السفر داخل
المملكة من منطقة إلى أخرى ، وبعضها
مصيف مثالي . كل خطوة في هذه السياحة
ملأى بالمتع والفوائد .

لقد سافر الصبي إلى جنوب غرب المملكة

مع أخته الكريمة وزوجها . لقد تمتعوا هناك
برؤية جزء من بلادهم ، عدم رؤيته نقص في
الوطنية ، رأوا منطقة ملأى بالأشجار
والغابات والمياه والشلالات ، ولا تسأل عن
شعوره وهو يرى هذه المناطق الطبيعية ، وهو
العاشق للطبيعة ، يتغزل فيما يحيط ببلدته
منها ، على قلة ما هناك نسبة إلى ما رآه في
عسير ، مناظر جميلة لا يمكن لشخص أن
يحيط بها خياله إلا إذا رآها الشخص بعينه ،
ورأى عادات أهلها ، وترحيبهم بالقادمين ،
والنشاط الذي يأتي منهم ، والكرم الذي لا
حدود له ، و«سوق السبت» الذي يذكر
بسوق عكاظ ، ونظرتهم الكريمة للمرأة ،
وتقديرها لما تقوم به من أعمال ورثتها عن

أمهاتها وجداتها .

في هذا الفصل يرسم المؤلف صورة لتأثره بما رأى من حركة تجارية لا تهدأ، ومجالات كسب أمل إذا شارك فيها أن يكسب في هذه الأيام المحدودة لبقائه هناك .

ويدخل الميدان ولا سند يعضده، ولا خبرة تسعفه، ولكن اقتراب الامتحان أنقذه من هذه المخاطرة المستعجلة .

ويعود إلى بلدته الغاط، حيث تقيم والدته، مؤملاً أن يجد هناك الجو الهادئ، المساعد على المذاكرة، ولكنه وجد خلاف ذلك، فقرر العودة إلى الرياض . ويأتي وصفه للرحلة، من الغاط إلى الرياض، لوحة معبرة عن الطرق والسيارات في تلك الحقبة، وما

يعانيه المسافر من مفاجآت لم يحسب حسابها .

نفاجأ في نهاية هذا الباب بحالة المعيشة التي وصلت إليها والدته ؛ كانت في الماضي تتكلم بالقروش والريالات ، أما اليوم فإنها تتكلم عن آلاف الريالات . اشترت بيتاً ، بعد المعاناة في بيت زوجها ، بسبعة آلاف ريال ، أضافت إليه بيتاً مجاوراً بأربعة آلاف . وكل هذا جاء بتوفيق الله ، ثم التخطيط السليم من ذهن صاف ناضج مجرب .

ويختم المؤلف هذا الباب ، كما رأينا ، بابتسامات متوالية . والدته اليوم تملك بيتين ، كما رأينا ، وفيهما عدد من الماعز ، علامة اليسر ، فيها أمنت وسيلة الحليب ،

الغذاء المتكامل ، وبهجة صاحبة أي بيت
تتوافر فيه معزى . وأصبح عندها غرفة كاملة
لتخزين البضائع ، مصدر رزقها .

نرجو أن تكون بسملة الحياة هذه دليل
رضى من الله على هذه السيدة المكافحة
الصابرة المثابرة ، كافلة اليتيم خير كفالة .
هذه السيدة التي عجزت الصعوبات أن تحني
رأسها وتستكين ، وعجزت المشاكل
والمعضلات أن تجعلها تستسلم إلا لخالقها -
عز وجل - وخالقها ، بمنه وكرمه ، رفع رأسها
إلى أعلى .

في ربوع اليمامة الثانوية (١)

أخي القارئ، لا تتدبر ولا تبصر في الحالة الحاضرة، بل إبدأ بتذكر ما مرّ عليك منذ أن بدأ هذا اليتيم يحبو، ثم مرّ على مرحلة التمرد على الدراسة. والآن هو أمام إحدى أكبر المدارس الثانوية في المملكة العربية السعودية، وأهمها، الثانوية التي يختار مديرها ومدرسوها من بين عشرات المؤهلين بتميز .

ودرجة إقباله على الدراسة يؤكدته تعلقه بمدرسيه، ووفاءه لأحدهم، وقد تأثر به، وبتميزه في التدريس، فحرص عندما تقاعد

(١) «عشت سعيداً» ص: (١١٧)

هذا المدرس ، أن يزوره في بيته ، وأن يريه أن
زرعه قد أثمر . التعليق على هذا الموضوع لا
يؤفيه حقه ، فاقراه ، تجد المتعة الحقيقية ، إقرأه
في مغنّه حتى لا تنقص متعتك عن متعتي
المتناهية بقراءته ، إن قلمه ، دون شعور منه ،
جرّه إلى التفصيل الذي فصله . وهذا يُري أن
هناك أقلام أخرى ، غير قلّمي ، تتمرد على
أصابع صاحبها ، فيكتب سن القلم ما يريد
هو ، لا ما يريده الكاتب . ها هو القائد
الطيار الحربي يستسلم ويسترسل ، ويوقف
مجرى قصة حياته ، ويذهب يمينا ، خارجا
عن خطه السابق .

بدأ المؤلف في هذه المرحلة يقرأ الكتب
المقررة ، وهي محدودة العدد والمحتوى ،

ولكنه لم يكتف بها، بل عضدها بكتب
الثقافة العامة، يختارها حسب ميله، أو
نصيحة من حوله، يساعده في هذا وعي
ثقافي عام في محيطه، فالرياض يطفح
بالمكتبات العامة والكتب، وهذا ساعده أن
يلتهم ما يعجبه التهاما، وسوف نرى تأثير
ما خزّنه «لا وعيه» منها، ليسعفه، عند
الحاجة، خاصة عندما بدأ يكتب مذكراته .

يعرج، عرضا، على جادة كشفت له بعض
المكنون عن تصرفات المجتمع، وهو أمر لا
يصل إلى عمقه إلا المتبصر والمتدبر، وتنبّه
صدفة إلى ما تمخضت عنه مظاهرة مرت في
طريقه، ولكنها أعطته درساً حقيقياً
وواعظاً. وقليل من الناس يوفقه الله إلى

كشف كنه ما هو ظاهر ، في مظاهره مرت به ، اكتشف في نهايتها أن منظمي المظاهرات يرتبونها ، ويدفعونها في المدرج الذي يريدونه ، ويقفون بعيداً ينظرون المصير السيء الذي دفعوا إليه المتظاهرين ، وهم يراقبون من بعيد ، وكأنهم برآؤا من إثمها . إن لهم فائدة عملهم إن نجحت ، وليس عليهم إثمها أو ضررها إن أخفقت .

وإذا كان المؤلف وقف عند هذا الحد ، في وصف مظاهره محدودة ، فبعض المظاهرات في غير بلدنا يأتي منها ضرر عظيم ، لأن من رتبوا أمر المظاهرة أهدافهم سياسية بعيدة ، والمجندون لا يدرون أنهم أداة في أيد خفية ، ولو عرفوا ذلك ، وعرفوا من وراء فعلهم

لماتوا فرقا .

إقرأ تفاصيل هذه المظاهرة، ففيها مجال
للتبصر والتفكير، وفيها دروس لا درس
واحد .

هذه المدرسة بعينها، في سنة من السنوات
التي كان مدير التعليم في الرياض هو معالي
الأخ الأستاذ عبدالله العلي النعيم، جاءه
الخبر أن الطلاب بقوا خارج فصولهم،
وامتنعوا من دخولها . جاء أبو علي، وأخذ
«عقاله»، و«نزل» فيهم ضربا من «شق
وطرف»، فهرعوا مذعورين إلى فصولهم،
وكفى الله المؤمنين القتال .

والمدارس الثانوية في غير بلادنا، وكما
شاهدتها في مصر، أيام دراستي فيها، مجال

خصب للمظاهرات ، التي تحركها أصابع الأحزاب السياسية المتعددة ، يخرج طلاب مدرسة ثانوية ، يهتفون ، وتصبح المظاهرة مثل كرة الثلج تجمع أفراداً من الشارع ، وهي في طريقها إلى الجامعة ، أملاً في أن يخرج طلاب الجامعة لتعضيدهم . وفي أثناء المسير ترتفع الهتافات ، وتلقى الخطب ، وتحطم نوافذ العرض في الدكاكين ، وأحياناً يحصل تصادم بين فئتين ، والشرطة تراقب إلى أن يأتي من المتظاهرين ما يوجب التدخل .

أخذ مؤلفنا من حادثة المظاهرة التي مرت به ، ومرّ بها ، عبرة نفعت في حياته المقبلة ، وبها استطاع أن يسبر غور كثير من الأمور السياسية . لقد تعمق في التفكير ، وسبر

غور الظواهر ، فوصل إلى كنه ما هو خبيء
تحت سطحها . وقد وصل إلى حقائق صادقة ،
وفوائد غالية وثرمينة ؛ فاقراءه فإنه فكر لا
يُستغنى عنه ، وتحليل موصل إلى بواطن
الأمور .

لقد أبعد المؤلف عن وصف سير حياته في
هذه السنة ، ولا يلام ، فما رأى في أوله أدى
به إلى السير إلى آخره .

وروض الفكر زاهر يغري بالتوغل ، وما دام
هناك حمل واعد في الذهن ، فلا بد للجنين أن
يولد ، قبل أن يعود المؤلف إلى ذكر حياته ،
وما حدث منها وفيها .

عاد طالب الثانوية إلى والدته في مدينة
الغاط ، فرأى اختلاف الحياة عما كان يعهده

من قبل ؛ وجد بيتاً أفضل وأوسع مما تصور ،
وروحاً مريحة من والدته ، بعد أن أصبحت
قادرة على العطاء للأقرباء والمحتاجين ،
ولزوجها وعمتها وبناتها ، وغيرهم . اتسعت
باحة العطف في قلبها ، وزاد العطف
والحنان ، واندفعت في سبيل خير طويل .
وهي تشكر الله - سبحانه وتعالى - وتحمده
على نعمه ، ومن قلبها تدعو وتقول : اللهم
لا تجعل هذه النعمة استدراجاً . إنها لا تذهل
عن دعاء ربها ، وشكره ، ومحاولة إرضائه ،
وهو - سبحانه وتعالى - أكرم الأكرمين .
ختم هذا الباب مسك ، اللهم ابقه .

محاولات لم يكتب لها النجاح (١)

إذا أردت أن تعرف مدى صدق كاتب مذكرات ذاتية فمن الدلائل على ذلك أنه يقول ما له وما عليه؛ يذكر نجاحه وإخفاقه، حسن تخطيطه أو سوءه، عيوبه وحسناته، يبين إن كان خطؤه مقصوداً متعمداً أو جاء سهواً، يذكر ما أثيب به وما عوقب عليه. يُقرّ ضمناً أنه بشر يخطئ ويصيب، يغلب الشيطان حيناً ويغلبه الشيطان أحياناً أخرى. مؤلفنا وفي بهذه الشروط، كان صادقاً مع نفسه ومعنا، بدليل أنه هنا

(١) «عشت سعيداً» ص: (١٢٧)

«جابهنا» بعنوان كامل يؤكد أنه حاول فأخفق في أمر سوف يأتي عنه بقول ضاف : ذكر لنا محاولة أمل لها أن تنجح ، وأن تؤدي غرضها على الوجه الأكمل ، ولكنها باءت بالفشل ، ولم تؤد غرضها أبداً ، بل جاء معها عناء وتعب .

أراد زوج أخته أن يذهب للحج ، وأن يحل بطلنا محله في رعاية أهله في أبها حتى يعود . اتخذ زوج الأخت أول خطوة في فساد الخطة ، إذ حاد إلى غير الطريق السليم ، حين اشترى تذكرة السفر من الرياض إلى أبها باسم شخص آخر ، وعندما حضر صاحبنا للمطار ، وأخذ المسؤول عن الركاب ينادي

أسماء الركاب ، لم يسمع اسمه ، فلم
يتحرك من مكانه ، وأقلعت الطائرة بدونه ،
وعيناه شاخصتان إليها ، وهي تحلق في الجو .
ليس أمامه الآن إلا السفر إلى أبها عن
طريق البر ، والحمد لله أن هذا حصل ،
فمصائب قوم عند قوم فوائد ، لقد أطلعنا
على الصعوبات التي مرّ بها في طريقه ،
لنعرف ما يعانيه المسافر في تلك الأيام .
الهدف الأساس في هذا الأمر هو حج زوج
الأخت ، وهذا لم يتم ، بسبب تأخر سفر
عبدالله ، وضياع الوقت في الطريق ، ولكن
بقية الرحلة فيها من المعلومات المفيدة ما لا
مزيد عليه .

قف معي ومع الكاتب عند شهامة
العسيري، الذي أركب صبينا حماره، وبقي
يمشي سائراً على قدميه بجواره، تاركاً أهله
وأبناءه في ليل مظلم. إنه الكرم، إنها
الشهامة المتناهية، إنها النظرة للصغار، إنها
الرجولة الكاملة، إنها تربية المجتمع الخير .

على مفترق الطرق (١)

بدأت العناوين تتغير ، وتؤكد بأن بطلنا يدخل مرحلة الرجولة ، وتوحي بأننا سنرى أموراً مختلفة أولها أننا بدأنا نبعد عن عهد الطفولة والصغر ، وما صاحبها من أمور يأتي بها لا تستغرب في هذه السن ، ونقترب من مرحلة المرحلة الثانوية ، وخريجها ، بدأنا ندخل على مرحلة أبهاؤها أوسع ، وطرقها أوضح ، فيها بعض الوعورة ، ولكنها موصلة مع الجهد المنظم .

يمر أغلب الطلبة بحيرة بعد المرحلة الثانوية ،

(١) «عشت سعيداً» ص : (١٣١)

فلا يدري الطالب أين يتّجه في دراسته الجامعية المقبلة، حتى وإن كان تقديره يسمح له أن يختار كلية من عدة كليات. وقد مرّ مؤلفنا بالتجربة، ورصد حاله وشعوره حينئذ، والخطوات التي اتخذها لتوصله إلى قراره الأخير، ولم يكن ذلك سهلاً، ولكنه في نهاية الأمر وضع رجله على الطريق الموصل إلى مرتقى الشرف. وقد التحق بكلية الطيران، ووصف هذه الكلية، ومجتمعها، والحياة فيها، وصفاً دقيقاً، حل فيه كثيراً من الظواهر التي يُستغرب لها عند عرضها على بوتقة الفكر، فيرفضها الذوق السليم، وتنبذها التربية الإسلامية، ولا يوقفها على قدميها

الضعيفتين إلا العادات الخاطئة، التي وردت مع التدريب المستعان فيه بخبرات أجنبية. ولعل أساس زرعها في مثل هذه الكليات المهمة أناس في الماضي لم يكونوا على خلق محمود، ومع الوقت انحفرت في العادات العسكرية، ولكن التقدم الحديث في هذا المجال بدأ يحوها تدريجا .

النظام في الكلية متوافر بأدق صورته، والعلم مستجيب للحاجة، ومجتمع الطلاب مقبول، ويمكن الاندماج فيه، وقد صمم كل شيء على أن يكون موصلا لأعلى مستوى. هذا كله يتناسب مع طبع بطلنا واتجاهه. مجال المنافسة مفتوح، ووسائل الإبداع ميسرة، ووسائل التبريز مسهلة، لمن يحرص

على الاستفادة .

ينظر المؤلف إلى ما كان يلفت النظر من
التصرفات في الكلية، نظرة فيلسوف،
يغوص إلى عمق الأمور. تُرى، هل ما كتبه
اليوم هو ما كان يدركه حينئذ ! لا أظن،
فآراؤه هنا الآن تأتي من ذهن ناضج مجرب،
عرك الحياة، وخبرها، ولم تكن عنده القدرة
حينئذ، وهو طالب مبتدئ في الكلية، على
أولى درجات المرتقى؛ لكن كان عنده
استعداد ينمو تدريجا، مع العناية والتقوية،
مما أوصله إلى ما أوصله إليه اليوم، من تحاليل
محكمة، ونظرات صادقة .

عرف الخطة، التي كان المدرسون الإنجليز
يتبعونها في الكلية، وحمد نهجهم في

التركيز على أمر ما قبل أن ينتقلوا إلى أمر آخر، ولمس بعض الجوانب التي تعد نابية، لا تليق بمن هم في هذا الحقل الشريف، وبهذا المستوى، وهذا أعطاه درساً سوف يستفيد منه عندما يكون مدرسا وقائداً، ويكون هذا الإدراك سبباً في النجاح في قطع هذه المظاهر النابية الرافدة على مجتمعنا .

لا ينسى والدته في هذا الباب فيلمح إلى ما عليه حالها الآن . لقد انتهت مهمتها في مدينة أبها، بعد ولادة ابنتها . وقد كافأها زوج ابنتها بأن أخذها إلى مكة المكرمة . ولأن هذه أول رحلة لها فوجئت بسرعة وصولها إلى جدة، وسهولة الأمر، وهي من

تعود على الشقاء في رحلاتها السابقة إلى
الرياض .

والذهن الصافي يُخضع كل شيء
للتحليل ، وهو الآن يحاول تحليل نفس
زملائه ، ويرقب تصرفاتهم ، ويجد لها
الأسباب المبررة ، فيجد أن تصرفاتهم تأتي
من خلفية مناطقهم ، فالآتي من البادية ،
تحكم تصرفاته الصحراء ، وطبيعتها ، والآتي
من المدن تحكم تصرفاته حياة المدن ، والآتي
من الريف يحكمه مجتمع القرية
والفلاحات . وقيس بعضهم على نفسه ،
والمحيط الذي أتى منه ، ويلمح في بعض ما
يراه آثار العوز وشدته ، وعلى هذا فقس .

وهكذا يستمر في تحليل كل ما يمر به ،
وسيكون في بعض ذلك التحليل ما يجعله
في المستقبل يعطي لبعض التصرفات الخاطئة
العذر فيعالج أكثر مما يعاقب .

أدخلنا هذا الباب مرحلة مشوقة فيألى
ما بعدها ، وهو بلا شك امتداد لها .

من الدراجة إلى الطائرة (١)

وصلنا إلى المحطات ، التي هي في أول الطريق إلى الجو ، وهي محطة مهمة ، عندما يتخطاها إلى ما بعدها فإن المؤلف سوف يراحم الطير في سمائه ، مع هدير وأزيز .

تحت هذا الباب يصف المؤلف حالته النفسية ، وهو يمر بأول مرحلة في طريقه إلى الطيران . والمهم في هذا الفصل ليس الوصف لما وقع ، ولكن المهم حقاً الفلسفة التي يأتي بها المؤلف عن النجاح والإخفاق ، وهي فلسفة صائبة ، سوف يستفيد منها من

(١) «عشت سعيداً» ص : (١٣٨)

تقدم لتعلم الطيران ، ومرّ به ما مرّ بالمؤلف وزملائه .

يفاجأ القارئ أن اللواء طيار عبدالله بدأ يتعلم الطيران قبل أن يتعلم قيادة السيارة ، وهو ما لم يُتنبّه له في غمرة الأفكار ، وفي خضم الأحداث ، وسرعة مرورها .

بدأ في هذا الباب يدخل في العمق ، فيصف ما تحتاجه الطائرة من نباهة ويقظة ، ومن استعمال كامل لمواهبه ، ولما تعلّمه ، لأنه سوف يكون مُعلّقاً بين السماء والأرض ، وليس هو في سيارة على الأرض ، تسير بأمان ، وإذا اكتشف فيها خللاً يقف بتؤدة ، على جانب الطريق . أما الطائرة فيجب على الطيار أن يتأكد ، قبل الإقلاع ، من كل شيء

في طائرتة وأنه على ما يرام، يعمل وبكمال
الاتقان والأمان، حتى إذا فوجئ، بتغير أفق
الرؤية، سواء كان ذلك بدخول الليل، أو
التعرض للغيوم أو الضباب، فلا بد أن يكون
متقنا لعمل العدادات، إتقانا متناهيًا. ولهذا
يجب أن يتأكد من سلامتها قبل الإقلاع .

لأهمية السلامة في هذه المهنة يأتي
التصرف فيها متقناً، لا يسمح فيه
بالتهاون، أو التساهل في أسباب السلامة،
فإتقان التدريب هنا مهم، وله درجاته،
وله مراحل، وله إجراءاته. يجب أن يفكر
الطيار في احتمال حدوث أي خطر، وأن
يحسب حساب الطرق الناجحة لتفاديه. ولا
يفكر بطريقة واحدة، عليه أن يعرف جميع

الطرق التي تخرج من تعرض لخطر من المآزق
التي تأتي فجأة .

السلامة دائما على رأس الاهتمام،
السلامة، السلامة، السلامة. فخطأ طفيف
أفقدكم مرة من المرات زميلا راح ضحية شيء
من هذا. هذا الحادث هزهم هزة عنيفة. يبدو
أنه لا درس مفيد إلا بضمن عال .

قيادة الطائرة سلمها صعب، وطويل
مرتقاه، وعالية زلفاتها، وها هو صديقنا
يضع قدمه على أحد سلالم الارتفاع؛ اختيار،
حسب قواعد الاختيار في هذا العمل،
ليكون رقيب الطلبة، وهي مهمة ذات
مدلول، فمن هذا اليوم عليه أن يفتح أذنيه
وعينه وجميع حواسه، ليستوعب جميع

قواعد القيادة الناجحة بكل أصولها وقوانينها، فوائدها وضرر بعض جوانبها، يساعده في هذا استعداد فطري. ولكن تذكروا أنني قلتُ سابقاً أن أحد السلف لعله عبد الله بن عباس قال: «عرادة الصغير شجاعة في الكبر». ونحن ننظر إلى شقاوة عبد الله في الصغر، لتعطينا الأمل في حسن قيادته في الكبر. كونوا معنا ونحن نتبع خطوه الجديد، بعد أن تنسم أنفه نسيم ريح الإدارة، وما تحتاجه من حزم ولين، كل واحد في موقعه، لأنه عندما يدخل أحدهما حيز الآخر فسد الأمر. ولكن إطمئنوا، فلأنني قد قرأت الكتاب مرتين، فإني مطمئن إلى أن بطلنا قد حماه الله من الزل، لأنه يقدر

لرجله قبل الوطاء موقعها ، وقبل كل شيء
اعتماده على الله يسبق أعماله ؛ لأن الله قد
وهبه حسن النية ، وقد وفى بحقوقها ، بعون
من الله .

أول مظاهر توفيق الله له هدايته إلى
فضيلة الشورى ومن استشار ما بار . في
الإشارة «تقليب» للحصى ، لمعرفة ما تحت
كل حجر ، فإن كان أرضا صلبة ، انزاح عنه
هم ، وطاح عبء ، وإن كان الأمر خلاف
ذلك ، بأن وجد تحت الحجر حية أو عقربا ،
تجنب الحجر وما تحته ، وإن كان جوهرة
احتازها وصقلها ، وأظهرها مشعة كما أراد
الله لها . لم يخب من استشار إلا من كان
بليداً أو كذاً ، أعمى البصيرة ، أو صاحب نية

سيئة، وغرض يؤدي به إلى المهالك
والمهاوي. لم يبدأ أحد سوي بالاستشارة إلا
وخرج مليء الوفاض، إذا قارن ما كان في
ذهنه قبل الاستشارة، وما صار إليه بعدها.
كان في ظلام، أو أمام سديم أو ضباب أو ما
أمامه سراب. أما الآن فالطريق أمامه مفتوح
ومُنار، وما عليه إلا أن يسلكه واثقاً مطمئناً.
ومهما كان قراره، فهو اليوم أفضل منه
بالأمس، لولا فضيلة الشورى لما ذكرها الله
في كتابه، وامتدحها، ورأت الأمم المدركة
الناضجة أن تأخذ بها في تسيير أمورها.
والمستشار شريك معك في الخطأ والصواب.
هذه الخطوة من هذا الطالب، الذي أُعطي
القيادة مبكراً، وضع قدمه على طريق

موصول . كان في يوم من الأيام طالبا مبتدئاً ،
ومن هذه المرحلة الأولى يعرف جيداً عن هذه
الخطوة التي يخطوها الآن . ورأى غيره
يخطوها ، وعندما كان طالبا كان يود أن
تطبق أمور يرى أنها أكثر نفعاً ، والآن آن له
أن يخطو هذه الخطوة . هو لم يصرح بهذا ،
ولكننا استنتجناه من بعض الظواهر ، إنه
مدرك أن كل طالب له طبعه ، وله تربيته ، وله
مخزون عُقد نفسية ، مرّ في بدء حياته بالمر
والحلو ، وأحدهما أكثر من الآخر ، فتأثيره
عليه أكبر .

هذه هي النظرة الأولى ، والنظرة الثانية ،
وهي نبيلة ، يريد بالاستشارة أن يبدأ خطأ
جديداً ، ليس فيه سباب ، ولا ألفاظ مقدعة

من الرتب الأعلى إلى الرتب الأدنى ، أو إلى الطلاب ، ولن يكون هناك عقاب على أقل هفوة ، إذا كان غير العقاب الشرس أفضل . وهو يعلم علم اليقين أن هذا مرحب به من قبل الطلبة ، والعامل منهم يتطلع إلى انتشار هذا الأسلوب .

وهو لا يريد من الاستشارة حل إشكال وقع ، ولكنه زيادة عن هذا يريد مبدأ يثبت ، ويحفر في ضمائر المسؤولين العسكريين أخاديد مبهجة .

إن ما رمى إليه مبدأ مضىء ، إنه خطة هادئة ، ولكن أثرها عظيم ، إنها سياسة لا يكفي أن تقبل ، ولكنه يريد لها أن تنفذ بحماس ، وأن يتمسك بها ، وتحل محل ما

كان قائما مما لم يكن مقبولا .
إن مجتمع الكلية مجتمع صغير ، ولكنه
تبين له أن روح بعض الكبار من منسوبي
الكلية تصل إلى معارضة خطوة الاصلاح
هذه ، وقد شم من رائحة هذه المعارضة رائحة
التشفي ، فمثل ما عومل به يريد أن يعامل
طلابه في المستقبل مثلما عامله أساتذته . ألم
أقل إن تحت بعض الحصى عقارب وأفاعي ؛
ولكن الخير دائما يغلب ، لماذا ؟ الجواب بكل
سهولة ، أن وراء الخير نية حسنة ، آه ، ما
أحلى النية الحسنة ، إنها تعمل عمل السحر
في كل أمر تدخله . وقد بح صوتي في الحث
على النية الحسنة ، في كتاباتي ، وفي حديثي
مع أصدقائي في مجالسنا ، وضربت الأمثلة

من الواقع الذي مررت به، أو مرّ به من
أعرفه. وسوف أظل أدعو لهذا الخلق، ولعل
الله يجعل ولو شخصاً واحداً يأخذ رأيي،
ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من
حمر النعم .

ما جاء عن هذه الاستشارة في كتاب
مؤلفنا لم يصل إلى عشرة أسطر، ولكنه لمس
عندي عرقاً حساساً، جزاه الله خيراً، فجئت
هنا بكل ما عندي من اندفاع، ولن أتشاءم
وأقول: إن ما فعلته سوف يضيع في الهواء،
لا، بل أمني في الله أن يجد قولي من
يتسلمه ويعمل به، ويوصله إلى غيره،
وأمني في نجاح قولي وقبوله أنه جاء بنية
حسنة. إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما

توفيقى إلا بالله .

لقد سمعت من رجل فاضل ، ضليع في علوم الشرع ، يقول : إن أقوى الأحاديث التي رويت عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - رجالا ، سبعة عشر حديثا ، على رأسها قوله - صلى الله عليه وسلم - : إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى .. إلى آخر الحديث .

هذا بعض ما يحضرني الآن عن النية ، وقد أوصلت الشعلة إلى هذا المكان من الطريق ، وأرجو أن يتناولها آخر ، يسير بها مسافة أطول ، والله الموفق .

تخرج طيارنا بامتياز ، وحاز المركز الأول ، مع مرتبة الشرف الأولى ، وفاز بثلاث

جوائر . لم يمتلئ بالفخر والسؤدد والفرحة
بمقدار ما امتلأ به تفكيره بالبر الذي تعود
عليه ، والاعتراف بالفضل لأهله ، ومحاولة
رد الجميل .

سارع في السفر إلى الغاط ، حيث تقيم
والدته وأخته ، وعمته سارة ، ليُزفَّ لهم
البشرى ، وليفرحهم ، وهم ذوو القلوب التي
طالما وجفت شفقة عليه ، أو عتباً عليه
لشقاوته ، وطالما تحملت الإحراج بسببه ،
وطالما كدت وكدحت ، لتمهد له بعون الله ،
سبيل النجاح هذا .

لا شك أنك ، أيها القارئ الكريم ، تود مثلي
أنك قابع تحت قبعة هذا الطيار لترى الأيدي
الحنونة الجذلة ، التي طالما صافحت الخشونة ،

وكدت وتعبت، وشققها البرد، وأحرقها
الصيف، وليس في ذهنها إلا هو، وتأثيث
العش المريح له. الآن تصافحه، وتضمه إلى
أحضانها، وليس في ذهنها الآن إلا هذه
اللحظة الباسمة، التي لم يجد أيا من
المستقبلين أجراً لها إلا الدعاء الخالص
المخلص، واتجأها إلى الله من القلوب أن
يحمي الله هذه الفلّة من العين، خاصة وأنه
كان يمشي في طريق «زَلَق»، ومنه إلى طريق
خطر كل الخطر .

أتصور شعور من كان في بلدته، ممن كان
يعرف حالة فقر أهله وعوزهم، وحاجتهم
إلى المساعدة، خاصة أولئك الذين طرقت
والدته أبوابهم، بعد أن أجبرتها الحاجة إلى

أن تفعل ذلك ، وكانوا يودون أنهم ساعدوها
حينئذ ليكون لهم شرف المشاركة في
الاستقبال . أما الرجل العظيم الذي بادر
بالاستجابة لطلبها ، وساعدها بأكثر مما
طلبت والدته ، ساعدها بكرم ضاف ، وبنفس
رضية ، وتعدى بكرمه حدود الكرم المعهود ،
وأمرها في سداد الدين إلى أمد بعيد ، لأبد
أنه اليوم راض عن نفسه ، وما فعلت ،
ويحمد الله على أن وفقه لفعل الخير العميم
هذا . جزاه الله خير ما يجزي به عباده
الصالحين ، ومثل هذا الرجل يستحق إن كان
حيا التكريم ، وإن كان ميتا الصدقة عنه ،
والدعاء له من القلب بأن ينال من ربه ما
يناله عباده الصالحون .

العنصر الزاكي يبقى زاكيا، فعندما عاد
إلى بلده راح يستعيد حياته السابقة،
ويجتر الذكريات التي عاشها، خاصة
التصاقه بالطبيعة يعيش أوقاتاً غير قصيرة
بين أحضانها. لقد نسي اليوم الطيران
والرتبة، وراح يرعى الغنم، ألم تكن الغنم
في يوم من الأيام رفداً لمعيشة والدته، لتحيا
حياة هنيئة، إذاً لها بعض الفضل، تشاركها
في هذا الطبيعة المحيطة. بيئتها الأصل، وما
فيها من جاذبية، تُنسي الإنسان نفسه .
فرحت بلده بنجاحه، وفرحها لا يكاد
يوصف، فقد رفع هذا الصبي رأسها إلى
عنان السماء، وأحلّها مكاناً بارزاً في
صفوف المتطلعين للتقدم والحضارة في

المملكة كلها. عاد الصبي قائداً يفكر
ويقرر، أراد أن تكون الفرحة عامة،
وساعدته والدته على ذلك، فأقام حفلاً
عاماً، ومأدبة دعا لها الجفلى، سمح فيها
للبهجة أن تعم، والسرور أن ينتشر .

في هدوء الصحراء، وتحت جمال السماء
بنجومها اللامعة، أخذه التأمل والتفكير،
فجاءته ذاكرته مسعفة له، وأمدته
بمخزونها، بقول يصلح أن يجتر في هذه
اللحظات، وهو قول سديد صادق لمفكر
غربي: «الكون مكتبة لا حدود لها» (١)

(١) القول للأديب الأرجنتيني : لويس برخيس . «عشت
سعيداً» ص: (١٤٣) .

وما دام هذا الكون مكتبة فقد فتحت له
هذه الكلمة الباب للتفكير في الكون وما
فيه، ولم يوقف تفكيره إلا النوم العميق .
قبل أن يختم المؤلف هذا الباب يعطينا بدءاً
خطوة مفرحة، وهي أن قدميه سوف
تخطى، لأول مرة، عتبة الوطن، إلى مكان
بعيد، وكان متوقعا لمن هو في هذا العمل، أن
يأتي هذا اليوم، وقد قارب الموعد أن يحل،
فلا بد من بدء الاستعداد للرحلة إلى
الولايات المتحدة الأمريكية، وستكون
الاستعدادات محدودة، ومع هذا فلا بد من
مال، وتأتي النجدة لتوفيره من زميل شهم
يمد يده الفضلى بالمساعدة، ويسبق «روتين»
طلب «سُلْفة»، تؤخذ فيما بعد من الراتب .

بهذا أوصلنا المؤلف إلى نهاية الباب ،
ونستعد الآن معه لربط الأحزمة للإقلاع
للحاق بالباب التالي . ربّ يسّر ولا تعسّر ،
ربّ تمّ بالخير . واحم ابننا الذي على أهبّة
السفر إلى بلد السفر إليه فيه « شق
الأنفس » .

اللهم وفقه ليعود لوالدته ووطنه بفرحة
جديدة . اللهم آمين .

في الولايات المتحدة (١)

مرّ هو وزملاؤه في طريقهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بلندن، فأخذت منهم لندن الانبهار الأول، قطفوا فيها زهرة الدهشة والعجب، ورأوا صوراً مربكة للشباب والشابات، منتقدة في أعينهم، وهي نتيجة ما خلفته الحرب العالمية الثانية، رأوا ما لم يروه من قبل، أو يخطر ببالهم، ولكن هذا هو السيل المنحدر.

وصلوا أمريكا، والتحقوا بالقاعدة هناك، كما كان مرتباً. يبدأ ابننا الشاب، عندما

(١) «عشت سعيداً» ص: (١٤٥)

أُتيحت له الفرصة يتعرف على المجتمع حوله، يبدأ بالتعرف على عاداتهم وتقاليدهم. بادئاً بالمحيط الذي حوله في القاعدة، وهو محيط خليط من أجناس شتى، الأساتذة والطلاب، لا يجمعهم إلا العمل الذي جاؤا من أجله. إحدى وسائل التعرف على من حوله النادي الذي لديهم، يتيح له إطلالة ضيقة، يتعرف عن طريقها على بعض الأمور. تمر به بعض السلبيات، ويعجب ببعض الإيجابيات، مثل نظام المرور. ومخالفة بعض الوافدين لهذه القواعد، اعتياداً على ما تعودوه في بلادهم، فيوقعهم هذا في القوانين التي لا ترحم. من السلبيات أن هناك نصابين يتصيدون

الساذجين، أصحاب القلوب الطيبة .
ويضرب لهذه السلبية مثلاً ليوثق أقواله ،
ويسير في وصف هذا الاحتيال .

يتحدث عن ما يمر به كل طالب ليس
أمريكياً ، وهو دراسة اللغة الإنجليزية ، قبل
الانتقال إلى العمل الذي جاء من أجله . وفي
حديثه هذا يكشف عن أنه لا يزال الرجل
الأمين على المهمة التي جاء من أجلها ، أمين
على عمله ووقته ، مخلص لهدفه ، شاعر
بحق وطنه عليه ، ومراعٍ لذلك . كان يحاول
أن يستفيد من كل ما يرى ، ويسأل عن كل
شيء لم يعرف كنهه ، ثم يخزن كل هذا في
حيز ذاكرته ، ليستعيد منه في المستقبل ما
يحتاج إليه ، والأفكار المخزونة أحياناً تدل

بنفسها عليه، وتأتي من غير استئذان .
عندما رأى منظراً ظن أن الحكم فيه قاسٍ ،
فلم يصبر ، وأبدى ملاحظته على ذلك ، وهو
أن المذنب لم يصدق في أمر طفيف ، فقليل له
عند سؤاله : إنه يمكن أن يغتفر في العسكرية
أي خطأ إلا الكذب ، فتذكر قول الرسول -
صلى الله عليه وسلم - ما معناه :

«إن المسلم يمكن أن يسرق ويزني لكنه لا
يكذب» .

لو استعرض أحدنا ما مرَّ به في حياته من
أضرار الكذب ، لعرف بعد سوء هذه
السجية :

« يا ما ضاع على الكذاب من كذبه » .
حل وقت الإجازة ، فأخذ يبحث عن فائدة

أكثر من الفائدة المعتادة في الإجازات ، وأدار
الفكر فوجد أن السياحة ذات فوائد مجزية ،
وتستحق أن تعطى الوقت الكافي ، فراح
يسيح يمينا وشمالا ، أملا في أن يتسع أفقه ،
وتتضخم معلوماته . ومع الوقت والتجربة
سيجد أن في الوقت بركة . الآن هو في
مرحلة مهمة ، يستطيع أن يستفيد من كل
دقيقة من وقته ، وكل شبر من سيره ، يعجب
بشيء ، ويعتبر بآخر .

مر مرة بدرس غضب ، أشعل النار في
أعصابه من « صف ضابط » فصب عليه عقيد
ذنوباً من ماء ، فبردت أعصابه ، ليستمع إلى
تفسير ما غمض عليه من الموقف ، بأن للسن
فوائدها ، وإن لمن وفقه الله وقفات إنسانية

تبنى ما انهدم، ما على الإنسان إلا أن يتدبر
ويتبصر .

ما يهم أفراد مجتمعه الجديد يختلف كثيرا
 عما كان عليه مجتمعه القديم . سلطان
الرياضة جديد عليه، بصورته الطاغية هذه،
فلا يلتفت حوله إلا ويجد ملتحقا بأحد
أنواع الرياضة، التي تبني الجسم والعقل،
والاتجاه، والمضي والوقوف .

يقص المؤلف في هذا الباب عن المواقف
الخرجة، التي يقع فيها بعض الطلاب الذين
جاؤا من خارج أمريكا، ومعهم عاداتهم
وتقاليدهم، ولا يريدون أن يتخلوا عنها إلا
بصفعة على الوجه، أو بضربة على القفا .
يتعرض هؤلاء لدروس قاسية، لأنهم مصرون

على غرس شجرتهم الغربية في الأرض التي
هم عليها، والطبيعة .

انظر فظاعة الحادثين اللتين رواهما ، هما
شاهدتان على ما ذكر .

إنَّ عنده نَفْساً رَضِيَّةً، جعلته يُشمر عن
ذراعيه ليساعد صديقا، اهتزت نفسه من
الغربة والوحدة، واحتاج إلى من يساعده
للخروج من هذا الضنك، لقد سارع بطلنا
ليكون الطبيب المداوي، عندما استنجد به
رئيس صديقه، وأمل فيه الكفاية لإخراج هذا
الصديق مما هو فيه إلى رحابة ما حوله . لقد
سل جميع أسلحته، ونجح في أن ينقل هذا
الصديق من حالٍ إلى حالٍ، وينسى العودة
إلى بلاده، وترفع معنويته، فبقي في

دراسته، متحمسا لها، وكأن شيئاً لم يحدث.

هذا استوجب شكر رئيسه لبطلنا الذي نجح في مهمته التي قد لا ينجح فيها طبيب نفسي مؤهل. لقد أدرك الرئيس مدى صفاء دماء الخير التي تجري في عروق هذا البطل، فقدر ما قضاه من وقت لنجاح المهمة، وما تابع به علاج صديقه بصبر وأناة. الخير، إذا احتجر داخل النفس، لا بد أن يطل برأسه، وقد أطل هذا الرأس بوجه جميل، منطلقاً من جذور عميقة في روح هذا الإنسان. شع النور، وبدد، بجدارة، ما أمامه من ظلمة. رضى الإنسان عن نفسه لا يأتي بطرق رخيصة، أو ضحلة، أو سهلة، إنه يأتي

بالعزم والتصميم والتضحية ، ونسيان كل شيء ، وكسر قوارب العودة ، ولابد من بلوغ الهدف .

يرسم المؤلف في هذا الباب ، كعادته في كل باب صوراً لما مرَّ به مما يستحق أن يذكر ، وكأنه يعرف أن القارئ وهو يقرأها ، سوف يتمتع بها ، وسيخرج منها بأفكار ربما تتعدى ما كان في ذهنه وهو يكتبها . الكاتب يملك الفكرة وحده قبل أن يضعها على الورق ، ويشيعها ، فإذا فعل ذلك تصبح ملك القارئ ، والقارئ قد يفسرها اليوم تفسيراً قد يختلف عن تحليل قد يقوم به فيما بعد .

إن الأمر مثل تصوير الصور الفوتوغرافية ، يقف المصور ، ويوجه آلة التصوير من الزاوية

التي يختارها ، وقيس الضوء والأبعاد ،
ويختار أفضل الزوايا ، في نظره ، التي
تصيب كبد الهدف الذي أراده ، ثم (تَك)
وينتهي دوره ، ويأتي دور الناظر إلى هذه
الصور ، قد يرى فيها أفضل مما أراده المصور ،
ويخرج منها بما لم يخطر على بال المصور .
وفي نظرة ثانية وثالثة ، بعد تبصر وتدبر قد
تنهال عليه الملاحظات التي لم تخطر على
باله عند النظرة الأولى .

يأخذ المسؤولون عن التدريب متدربنا إلى
زوايا أفنية الدراسة والتدريب ، فيعرفونه
على مخبآت ما يُتوقع في مهنته من أخطار .
أليس هو معرض لأن يقع هو وطائرتة في
أرض بلقع ، أو دوّ لا نهاية لمداه . كل شيء

محتمل ؛ يعلمونه ماذا يعمل ، ومن أين يأكل ، ومن أين يشرب ، نجا من الموت المحقق الذي لو عطبت طيارته في السماء فربما انتهى هو وطيارته . أما وقد وصل إلى الأرض فلا بد من عمل المستحيل حتى يبقى على قيد الحياة ، وقد يكون الطموح أكثر من هذا ، يعلمونه كيف يتفادى أن يقع في الأسر .

يقال إن أحد الصحفيين العرب سأل أحد المسؤولين الصينيين الكبار ، ما هو اللحم المفضل في الصين ؟ متوقعا أن يكون الجواب إما الأغنام أو البقر ، وكان الجواب عن هذا ما قاله المسؤول الصيني الكبير . إنهم يأكلون كل شيء يدب على الأرض .

إذن الثعابين والعقارب والخنافس والصراصير

هي «كافيار» الطيار الذي كان من سوء حظه أن تكون مائدته هذه المائدة الشهية ! .
والمدرّب لا يتحدث نظريا بل يحضر الثعبان ، ويذبحه ويسلّخه ، ويريهـم عمليا ما قد يحتاجون إلى إتقانه ، حتى يخفف عنهم العبء ، ويريهـم سهولة الأمر .

لابد أن اللواء طيار شاهد ، في ما بعد ، عندما يحضر مآدب رسمية ، الموائد الممدودة ، الملائى بكل ما لذ وطاب ، هل حدث أن تذكر الثعبان الذي قتل ثم سلّخ أمامه ، لو فعل ، لما استطاع أن يأكل من هذه المائدة الشهية .

بقية الباب جذاب وممتع ، وفيه صفات الشباب حوله ، بما عندهم من تناقضات ، ومن حسنات وسيئات . إنه يتكلم عن

العادات ، وتصرفات الشباب مما قد يراه
مجحفاً أو منصفاً ، ولكنه ، على كل حال ،
غريب عليه ، وبعيد أكثر عن أن يقبل .
يحرمه ظرف التعلم والتمرين عن أن يتمتع
بالطبيعة الجميلة ، التي حوله ، وهو من
يعشق الطبيعة ، ويهيم بها ، فهو إن قرب من
البحر ، وفيه من المتعة ما فيه ، فإنما يقترب
منه ليتدرب التدريب الشاق الذي يتبخر معه
أي جمال ، لأن التمرين هو عن الظروف
الطارئة التي يتعرض لها الطيارون فوق
البحر وعلى هذا يضيع نور المتعة في ظلمة
الشدائد ، وإن كان التمرين في غابة ، وهي
حضان الطبيعة الحنون جاء التمرين منسيا
من في الغابة أنهم في غابة ، إنهم في شدة

وكرب ، وكذا عندما يكون التمرين في
الصحراء ، فإن جمال الرمال والدعوس
والحزون والتضاريس تضع في المعاناة
والألم .

ينهي هذا الباب بأن يذكر أن هذا الوقت
يواكب انتهاء الحرب في فيتنام ، وما رافقها
من أمر « ووترقيت » ، وما قابل الرئيس
نكسون فيها من موقف حرج . كان من
الممكن أن يخرج منه خروج الشعرة من
العجينة ، لو لم يكذب . وكأن المؤلف يذكرنا
بما سبق أن قاله عن نظر المدرب للكذب .

وانتهى هذا الباب باستعداد اللواء الطيار
للعودة إلى الوطن . « ما أحلى الرجعة بكير
والدنيا رفوف عصافير » .

العودة إلى المملكة (١)

كل طالب درس خارج المملكة مرّ بدرجة الشوق التي يشعر بها تجاه وطنه، ويزيد شوقه كلما طال به السفر، وأمضه البعد. وعندما تجيئ له الفرصة لزيارة أهله ووطنه، أو تنتهي دراسته، يعرف ما كان يدور بخلد اللواء طيار عبدالله، ومقدار فرحته بالعودة. وقد ثبت لنا هذا من تغيير خطته في طريق العودة، إذ كان ينوي زيارة مصر، ولكن الشوق لرؤية والدته وأهله غلب عليه، فألغى زيارته لمصر، واختصر الطريق، وقصد

(١) «عشت سعيداً» ص: (١٦١)

المملكة رأساً، وبمجرد وصوله إلى الرياض انطلق إلى بلدته. ولقد رأى تغيراً كبيراً في هذه المدة القصيرة، لأن درجة التحرك إلى الأمام، في هذه الحقبة كانت سريعة، ورأى كأن الحركة هذه كانت على طائفة نفائسة .

وصل إلى الغاط، سالماً غانماً، وحظي بدفء حُسن والدته، ولكن فرحته لم تكمل، لأنه لم ير عضواً من الأسرة، فالعمة سارة قد انتقلت إلى رحمة الله - تعالى .

نزل عليه الخبر نزول الصاعقة، وكان صدمة له. حُرِّم من أن يمد يده إليها ليناولها «الشال» الصوف الذي أحضره لها هدية. كان بوده أنهم أخبروه من قبل، ليهيئ نفسه، بدل الصدمة المفاجئة هذه، ولكن

لعلهم كانوا على حق، إذ لم يخبروه، فالخبر
غير السار لا يسارع بإبلاغه .

الطبيعة وجمالها، وبساطتها، هي أمه
الثانية، راح يتفقد تضاريسها، وجد بعضها
تغير، ووجد الناس كذلك تغيروا، لقد
صوح نبت، وقام محله نبت جديد. أصبح
النخل القديم «عيادين» طويله. انزوى
القديم، وبدا عند الجديد متواضعا؛ يقف
مكانه على استحياء، ولم يبق من الأخضر
الذي يحبه إلا الأثل، وقد أصبح كابيا،
تنقصه الخضرة، والنخل سامقا كالحا،
والسدرة القديمة، التي طالما جلس تحتها،
يستمتع لزقزقة العصافير فيها، أنكرته
عندما جلس تحتها، ترى هل ظنته بار بها

ونسيها ، أم أن نظرها قد عشي نتيجة الإهمال إلا من حبها الأول العصافير .

لا بد من الذهاب إلى الرياض لبدء العمل ، ولهذا لم تكن إقامته في الغاط طويلة ، ومن الرياض انتقل عمله إلى المنطقة الشرقية .

وصف لنا محيطه الجديد ، وطبيعة الفترة ، ووصف ما عملته «الطفرة» في الأراضي في الرياض ، وفي غيرها ، وعرج على حبه المتمكن من قلبه : الطبيعة ، فركز عليها ، وما يراه منها ، وأبرز مظاهرها البحر ، وآه ثم آه على الغاز المحترق بدخانه المتصاعد إلى عنان السماء ، إصراراً على تلويث البيئة .

عندما كان في بلدته ، وفي إحدى الجلسات

مع والدته، دار حديث بينهما، قوامه أسئلة منها عن أمريكا، وبالذات نساء أمريكا، ومع الأجوبة كاد الا يكون الفهم التام إلا من جانب واحد، فما قاله لا يمكن أن يحلق إلى سماء خيال والدته، لم يكن بإمكانها - رحمها الله - أن تستوعب الأشياء التي ذكرها، وكأن ما يقوله في نظرها حلم. أما نحن فسوف نستمتع برأيه، ونظرته للحياة في أمريكا، وبالعَمق الفلسفي الذي ضمنه إجابته لوالدته، عما كسبه الناس هناك وما خسروه، وعلى قائمة خسائرهم الدين. إنها لمحات مضيئة جاء بها لتكشف لنا عن عمق الإيمان في قلبه، والتفكير السليم في ذهنه، والمعالجة الناضجة.

قال لوالدته ما لم تفهمه ، قال لها زبدة ما
خرج به من آراء عن المجتمع الأمريكي ،
استوعبها في ظرف سنة تقريبا . كم من
أبنائنا الذين ذهبوا إلى هناك ، التفت إلى ما
التفت إليه بذهن ثاقب ، وتعمق في بواطن
الأمر ، بدلا من الوقوف عند الظواهر ، عند
القشور ، وقد يكون هذا النهج جاءه من
مهنته التي تقتضي الدقة والعمق ، لأن وراء
ذلك السلامة ، التي على الطيار أن يضعها
دائما أمام عينيه ، لا يغفل عنها أبداً ، لأن
الغفلة أو التهاون تمهد للخطر ، والخطر قد
يكون مميتا ، ومن شب على شيء شاب
عليه ، والعادة قائد في يده المقود ، يسير
صاحبه بالدفع الذاتي .

لهذا نظر إلى الأمور بعمق ، قد لا يصل إليه
دارس علم الاجتماع ، الذي قد يكون قد
غرق في النظريات ، وإفرادات العلم ، ولم
يصل إلى طبقات الفن الدقيق ، ولن يصل
إليه إلا بعد أن يضع قدميه في ميدان العمل .
وآفة دارسي العلوم النظرية أنهم يكتفون بما
يحصلون عليه في حدودها ، وما يدرّسونه أو
يدرّسونه في إطارها ، فإذا حدث أن أحدهم
أوصلته مهنته إلى ميدان عمل ، اكتشف أنه
لم يأخذ بعد من هذا العلم شيئاً إلا الوشل ،
وأن العلم يبدأ من الميدان والتجربة ؛
والنظريات السليمة هي التي تأتي من
عصارة التجربة ، ومن زبدة يسبقها « خض » ،
عمل وكفاح .

«تَحَارُّ» رجلي، وتقف بي دائماً عندما
يطرق سمعي حكمة، أو مثل مضيء، لأن
مثل هذا يأتي ثمرة تجربة متمعنة صادقة،
صقلها ذهن نابه .

وفي هذا الباب «جبر المؤلف خاطري» -
جبر الله خاطره - فجاء بمثل من الطبيعة،
أمناء الرؤوم، وجاء به عن الطيور، وهل هناك
جمال في الطبيعة يغلب جمال الطيور،
وبالذات القمرية أو اليمامة، الذي يأتي
الحديث الآن عنه .

سأل الفلاح اليمامة الجميلة، ذات الطوق
الأسود حول عنقها: هل تبعين الطوق
الجميل؟

ردّت عليه اليمامة:

ما أبيع طوقي والملقح بالنخل (والملقح هو وعاء الخوص ، الذي يجمع فيه جاني الرطب ما يلتقطه من ناضج التمر) .

طوق اليمامة عقد ثمين ، وعلق غالي ، والغالي لا يباع إلا عند الحاجة الملحة ؛ لإزالة كربة ، واليمامة في هذا الوقت ، وقت جني الرطب ، ليست في كربة ، ولم تحوجها الحاجة ، والرطب هو ملكها مثل ما هو ملك الفلاح ، تقع فتأكل ، وتطير لتغرد .

هذا يذكرني بقصة تُرى كيف تختلف أذواق الناس ، هذه الأذواق التي يذهب بعضها إلى أقصى اليمين ، وبعضها إلى أقصى الشمال ، وسوف يتبين لكم ما أقصده من الآتي :

كنا في مجلس ضم بعض الإخوان ،
وكالمعتاد تشعب الحديث ، قال أحدهم ،
وأشهد أن ذوقه بعيد عن ذوقي ، وذوق بقية
الإخوة الحاضرين ، وعن ذوقكم :

« إنه لا شيء يقلقه في الصباح الباكر إلا
صوت يمامة ، ساطها الله لتكد عليه نومه ؛
تأتي هذه اليمامة إلى نافذة الحمام ، وتبدأ
بث صوتها المزعج ، بأعلى نغمة يمكن أن
تساعدنا ، وكأنها تقصد إغاطتي وأذاي . »

لم أفكر أن أرد عليه ، وأنا الذي أفقد
صوت اليمام في بعض فصول السنة ، وأفقد
متعة لا تعدلها متعة ، وقد تركتُ إحداهن
تعشش في فتحة المروحة كما يحلو لها ،
وفصلت الكهرباء عن المروحة حتى لا تطير

عشها .

إن صوتها لا يصل إلى درجة لذته إلا نسيم
الصباح العليل .

ومما أثلج صدور الحاضرين من الأصدقاء أن
أحدهم تصدى ، بجدارة للرد عليه . وقال له :
« إن ذوقك السقيم هو الذي أوحى لك بما
قلت . لو كانت التي غنت حمامة فقد
نعذرك ، لأن صوتها أقرب إلى نواح ، وفيه
نغمة حزن ، ومن قال إن الصوت الذي فيه
نغمة حزن لا يشجي ، إني لأطرب غاية
الطرب لصوت ناظم الغزالي ، لأنه مثل
جميع المغنين العراقيين ، تغلب على أصواتهم
نغمة الحزن » .

ثم أردف الصديق المحامي عن اليمامة

وصوتها ، قائلاً :

« نحن نعرف أنك تسهر طوال الليل ، ولا تذهب لتنام إلا عندما يقبل الصبح ، فتأتي هذه الجميلة ، الحامدة ربها على نوم ليل هادئ ، قضته بعمق ، فتبدأ يومها بذكر الله على ليلة مضت ، ويوم نعمة مقبل ، « وإن منكم إلا يسبح بحمده » .

لقد سكت صاحبنا ذو الذوق السقيم ، لا اقتناعاً منه ، أو طيب خاطر ، ولكن خوفاً من هذا الصديق ، المحامي عن اليمامة ، أن يبدأ تقلب الأحجار ، فيتبين ما تحتها من عقارب وثعابين ، مما كان مختبئاً تحتها . خاف أن يبدأ فيشكك في هل صلى الفجر قبل أن ينام أو غلبه النوم الذي أطارته اليمامة ، عقاباً له في الدنيا قبل الآخرة !! .

هذا والله في خلقه شؤون .
أبعدنا عن موضوعنا الأصل ، ولكن كيف
لا نبعد وكل من البطلين اللذين نتكلم
عنهما ذو جناحين ، هذا من حديد ، وهذه من
ريش ، ولكن الخالق جعل لكل واحد منهما
مجاله ، في فضاء الله الرحب ، فلا يصطدم
أحدهما بالآخر ، إلا إذا أهمل قواعد
السلامة ، وخالف التعليمات . نعم ! كم من
طائر عملاق ضرب مقدم الزجاج الذي أمام
قائد الطائرة ، وبلاشك لقي الطائر العملاق
حتفه ، وعرض الطيار للخطر .

إن الله - سبحانه وتعالى - يسير الأمور
كما يشاء ، نحن نتكلم عن الأخطاء ، والباب
الآتي هو عن ذلك ! .

أخطاء بين الأرض والسماء (١)

هذا الموضوع يجعلني أومن بفائدة مثل هذا الكتاب للطيار الناشئ الشادي ؛ لأن الأخطاء في الطيران قاتلة . والخطأ أحيانا من صنع يد الطيار ، أو إهمال هذه اليد من أن تعمل . والطيار مثل كل الناس ، رغم معرفته بمصادر الخطر إلا أنه يقع فيه بسهولة ، وكأنه لم يُدرّس هذا ، أو لم يجربه .

في هذا الباب يذكر المؤلف حادثتين ، تعرّض لهما ، كادت كل واحدة منهما أن تؤدي بحياته ، وحياة طائرتيه ، ولكنهما

(١) «عشت سعيداً» ص : (١٧٥)

سلما بعناية الله وحفظه .

والمؤلف يشد القارئ وهو يروي تفاصيل كل حادثة، ويوقف نفس القارئ، وهو يتابع، ويده، كما يقول التعبير العامي، على قلبه : اللهم استر ! ويسير مع الحدث ثانية ثانية، وجاء وقت فقد معه الأمل، ولكن الرجاء يغلب، ومعه يأتي فرج الله، فينقذه الله في آخر لحظة، ولم يصدق هو أنه نجا، بعد أن رأى الموت يقترب منه، ونحن معه لم نصدق، لولا أننا نقرأ كلامه بعد سنوات، ولو حدث له شيء حينئذ، فقدنا طيارنا وطيارتنا، ووصف ما حدث، كما فقد ذلك في حوادث أخرى، حدثت مع غيره .

على كل حال، سوف ننسى هذا
وننسجم مع الحدث الثاني وهو يحدث .
وكنا نتابع تصرف العقل الذي كرمه الله ،
بدليل أنه وضعه في قمة الجسم ، محاطا
بصندوق مكين ، وقد نفع هذا الطيار تصرفه
بعقل ، بتوفيق من الله وعون .

في آخر الباب سار المؤلف مع صديق له ،
وهذا سوف يجعل هذا الباب لنا ، فيما بعد
مُهما ، وتحدث الصديقان حديثا ربما أنه
يؤدي إلى حدث سارٍّ عظيم ، لأن بذرة
الحديث جاءت في ذهن صديقه الذي عرج
على الزواج وفوائده ، وأخذ يرسم للزواج
صوراً بديعة .

سوف لا نستعجل ونحدث ما سيؤدي إليه
الحديث ، لننتظر ، إذ لا داعي للعجلة ،
«والمقبل ياصل» ، فقد لا يكون ظننا في
محله ، وقد نكون شططنا في التفكير .
والعنوان القادم يتسم ، وكأنه يوحى لنا
بشيء .

أهم خطوة في الحياة (١)

الطيران برامج، مضى بعضها وبقي بعضها. هناك رحلة جديدة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وبطلنا طموح ألا يذهب هذه المرة عازباً، بل يريد أن يكون معه زوج، تكسر حدة الغربة عنه، وقد أوصله عقله إلى هذا الرأي، وأكدته استقامة خلقه. لقد صمم ألا يذهب إلا معه رفيقة حياته .

بعد هذا التصميم الموفق، بدأت الخطوة المهمة، من تكون الزوج التي وضع مواصفاتها في ذهنه، وهي صفات ليس من

(١) «عشت سعيداً» ص: (١٧٩)

السهل توافرها ، ولكن النية الحسنة ،
والقصد السليم ، أوصلتاه إلى ابنة عمه ،
الذي وافق ، وتم زواجهما عائليا . ركب
الزوجان الطائرة إلى لندن في طريقهما إلى
الولايات المتحدة الأمريكية ، في هذه الرحلة
معه أنيس ونعم الأنيس ، ابنة عم من عرق
زاكي ، تزوجت من عنصر زاكي ، ذهبوا
يتجولان في لندن ، ورأيا أبرز معالمها ، مما
يحرص عليه السياح طالبو الفائدة ،
ومقتنصو الثقافة . أحسنا اختيار الأماكن .

ليت كل من قام بإجازة ، أو زيارة بالصيف
لإحدى مدن الغرب ، يسير على هذا النهج

السليم الموفق . لقد سبق أن تحدثت عن هذا
الموضوع وأوفيته بعض حقه في هذا الكتاب
تحت عنوان باب سابق ، ولو أرخيت لقلمي
العنان لجاء في هذا المجال بما يزيد عن أضعاف
ما قلت .

في ربوع الولايات المتحدة (١)

هذا باب ممتع، مثل أي باب فيه حركة، وفيه تنوع، ويلمس جوانب مختلفة، ومواضيع متعددة. انه يمثل المجتمع خير تمثيل. يتحدث المؤلف عن نماذج، بالإمكان أن يُقاس عليها أمثالها، دون أن يشغل على القارئ الإتيان بها كلها .

يمهد المؤلف، في أول الأمر، بمعلومات عن بعض المقاطعات، ويتحدث عن بعض المدن، ويأتي على المهم من تاريخها .

يقف وقفة قصيرة، ولكنها ملأى بالحقائق

(١) «عشت سعيداً» ص: (١٨٤)

المشعة، تتركز في التساؤل عن من هو الذي يُختار للإبتعاث، وما فائدة المتابعة، وما مبلغها وحدودها، ويركز على أهمية سنّ المبتعث وتربيته، والخير الذي يتوقع من ذي السن الناضجة، وصاحب التربية الحسنة، ويمتدح، بحق، ونحن معه في هذا، تجربة أرامكو، ونهجها في الابتعاث، وحرصها على متابعة المبتعث عن قرب، وبدقة متناهية، تنفعه، وتحميه من نفسه، وما قد يأتي من الغفلة عنه .

فجأة ننقل طوعاً للمؤلف، لنستقبل الطفل الوافد، فيكشف المؤلف في هذا البرنامج الجانب الإنساني عند الأمريكيان. فالجندي لم يكتف بتجاوز الخطأ المروري

الفادح، وهو السرعة التي تستوجب العقاب، ولكنه لما عرف السبب لهذه السرعة، وأن هناك ولادة، أحس أنه الآن هو المسؤول عن الأم وجنينها، لا الزوج، فانطلق أمامهما مسرعاً، يفسح لهما الطريق بما لديه من أنوار وصوت إنذار .

لله در الحضارة المبصرة، لله در روح الخبر عندما تشع أنوارها على ما حولها !!

ثم انتقل المؤلف إلى إعطائنا صوراً أخرى متتالية عن مواطنين له ساقهم عملهم إلى أن يكونوا قريبين من مكانه، فساعدهم، وعضدهم . ولم تخل بعض هذه الصفات من بعض ما لا يحمد، والشر مترصد، ولكن الله وقاه هو وزوجه ممن به شر . وقد جاء

بمثلٍ لهذا امرأة من بلاده حاولت أن تفسد
بين الأزواج، ولكن الله دحرها .

وهناك مفسدة أخرى جاءت من شخص
عربي نصاب، أبطل الله حيلته من قبل
توفيق الله لمؤلفنا، فحمى، بتوفيق الله، من
وجهت إليهما المكيدة، وكادا أن يقعا في
الفخ، ولكن الله بالمرصاد لكل متكبر جبار.
انظر إلى مظهر الخير الطافح، الذي صبه
من معينه، ضابط أمريكي، استشاره اللواء
عبدالله في أمر إصلاح سيارته، وقد
احتاجت إلى ذلك، وطلب صاحب ورشة
على إصلاحها مبلغ تسعين دولاراً، لم يكن
اللواء طيار يملكها؛ فدله هذا الضابط النبيل
إلى طريق م مهد مريح، أنشئ لخدمة أمثاله من

المتعلقين بالقاعدة، وأصلح السيارة بمبلغ
خمسة دولارات فقط !! إن في التفاصيل
متعة متناهية، أرجو ألا تفوتك قراءتها في
مغناها .

ثم ينتقل بنا إلى موضوع مهم، موضوع
بهي، موضوع حضاري، وهو ما يتبعه هؤلاء
القوم، وهو حرصهم على الدراسة
والتخطيط لكل عمل قبل أن يقدموا عليه،
العمل الذي إذا سير فيه دون تخطيط قد
ينقطع متنه في منتصف الطريق . ويخسر
المرء وهو يظن أنه في طريقه للنجاح . إن
الإنسان إذا ترك مكانه، ونظر إليه من بعيد،
فقد يرى ما لم يره من قبل .

الطبيعة هي قبيل كل إنسان، وهي

خصمه، وهي خادمه ومعضده، وقبل أن
تعمل شيئاً تأكد أن حقها عليك مصان، وقد
صنعها الله سوية، تؤدي عملاً مجيداً،
يحفظ توازن الكون، فلا تعبث بها، فما
تدري إذا فعلت هذا ماذا تكون عليه
النتيجة. وقد أعطى أمثلة على ذلك .

هناك خفافيش تملأ الأفق كل ليلة، تظهر
في سماء هذه البلدة، التي فيها قاعدة
الطيران، مما يجعل الطيران مستحيلاً ليلاً.
وقد استغرب مؤلفنا من تلك الخفافيش، ولم
لم يقض عليها؟ ، ولما جاءه الجواب بأنه من
السهل القضاء عليها، لأنها تلجأ في النهار
إلى كهف واسع، ويمكن القضاء عليها فيه
بسهولة، ولكن الله - سبحانه وتعالى - لم

يوجد شيئاً عبثاً ، وقد أوجدها بهذا العدد
لتقضي على أطنان من الحشرات ، لا
يستطيع القضاء عليها إلا الخفافيش . إن
الطبيعة جعل الله فيها سر النجاح الموصل
إلى حياة سعيدة .

وساق المؤلف قصة ثانية ، تسير على
قضبان قطار يشبه القصة السابقة : شكا
الفلاحون من الصقور والبوم ، لأنها تأكل
أرانبهم ودواجنهم ، فاتفقوا ضدها ، والسعي
للقضاء عليها ، وشنوا عليها حملة شعواء ،
أبادت منها كثيراً ، وفوجئوا بأن القوارض
زاد عددها ، وانتشر أذاها ، وأثرت بشكل
واضح على محصول مزارعهم ، فأوقفوا
الحملة مختارين .

هذه القصة ذكرتني بقصة سبق أن كتبت عنها ، وهي تؤكد أن أي عبث في الطبيعة لا يؤمن أن يأتي منه ضرر للإنسان ، وإن جاء بفائدة في جانب آخر .

في نهاية سني الخمسينات الميلادية ، أثناء دراستي في لندن للدكتوراه ، كنت ، في ليلة من الليالي ، أتابع فيلماً في التليفزيون ، من إنتاج إحدى دول أمريكا الجنوبية . وكان أول منظر في الفيلم منظر رجل متقدم في السن ، يجلس في قارب من قوارب الصيد الصغيرة ، راسٍ هناك في الميناء ، وفجأة يظهر ، من أحد الأزقة ، المؤدية إلى الميناء ، أبو عرس (نمس) ، وخلفه مجموعة من الصبيان يطاردونه ، التجأ أبو عرس إلى القارب ، واختفى فيه .

وهذا دعا الأولاد يتوقفون أمام القارب
وصاحبه، فسألهم الشيخ عن سبب
مطاردتهم إياه؟ فقالوا: إنه يأكل دجاجنا.
فقال لهم: إجلسوا، وسأقص عليكم قصة،
ثم بعد ذلك الخيار لكم في الاستمرار في
مطاردته، أو تركه، قال الشيخ: إن آباءنا
كانوا قادمين من وطننا الأم في باخرة،
أصابها عطب، لم يكن بالإمكان إصلاحه،
فنزل الركاب إلى هذه الجزيرة، فأعجبهم،
وقرروا أن يبقوا فيها، وأن لا يغادروها،
وعاشوا فيها سعداء، ولم يكن ينقص
حياتهم عليهم إلا الشعابن، التي كانت
بكثرة إلى الحد الذي يجعل أحدا إذا خلع
حذاءه، عليه قبل أن يلبسه أن يتأكد أنه

لم يسبقه إليه ثعبان .

احتار القوم فيما يفعلون ، وعزّ عليهم أن يتركوا هذه الجزيرة الجميلة ، إذاً ما الحيلة ؟ . وكانت البواخر تمر بهم ، وترسو أحياناً قريباً منهم ، فيأخذون ما يحتاجونه منها ، ويبيعون بعض ما عندهم على من في السفن ، فكانوا يشكون للبحارة ما يعانونه من الثعابين ، فوعدهم أحدهم بأنه سوف يحل هذه المشكلة في الرحلة القادمة .

في الرحلة التالية ، وفي البحار بوعده ، وأحضر لهم زوجاً من أبي عرس ، ذكراً وأنثى . وهذا الحيوان سريع التوالد ، وكثير المواليد ، وأحب طعام يفضلته هي الثعابين ، فتكاثر إنتاجه ، وانتشر نسله ، وعم الجزيرة ،

وسرعان ما قضى على الثعابين حتى لا تكاد
تُرى .

انطلق أحد الصبيان مسرعاً وفي دقائق عاد
وهو يلوح بدجاجة مذبوحة، جاء بها إكراماً
لأبي عرس !!

أنهى المؤلف دورته هذه، وودع أميركا،
واستعد هو وزوجه وابنه للعودة للوطن .
ومن المؤكد أن عبدالله سوف يرخص عند
ابن عبدالله عند والدته عبدالله، عندما ترى
الصغير، لا شيء إلا لأنه سوف يذكرها
بطفولة أبيه، وستنسى شقاوته .
اللهم اجزهم عنا خير الجزاء .

عودة إلى الأهل (١)

بدأ بطلنا طريق العودة إلى الوطن ، وفي هذه المرة ، يقول إنه ، لم يكن في عجلة من أمره ، واختار أن يمر بسوريا ، ليشم منها عبق التاريخ الإسلامي المضيء ، وليعيش على الأرض التي درج عليها الخلفاء الأمويون ، وليرى آثار من مضي . واهتم اهتماماً خاصاً أن يرى المعرة ، بلد الشاعر الذي طبق ذكره الآفاق ، بلد المعري .

واكتشف في سوريا عيوباً ، يعرف مثلها في بعض البلاد العربية ، ويتمثل ذلك في

(١) «عشت سعيداً» ص : (١٩٥)

تقاعس الموظفون عن القيام بأقل واجبات عملهم ، واستغرب أن يكون هذا في القطاع الخاص ، ففي البنك تعب من إمكان صرف شيك سياحي ، فكلما ظن أنه وصل إلى نهاية المطاف ، طلب منه الموظف السير في إجراء جديد . وتعجب لماذا لم يطلب منه قائمة الطلبات في أول الأمر دفعة واحدة ؟ ! ولم يجد لهذا سبباً مقنعاً ، ولكنه توقع هدفاً غير معلن . قطع الأمل في صرف الشيك من قبل هذا الموظف ، فاتخذ الخطوة الحاسمة ؛ ذهب إلى مدير البنك ، فأجلسه هذا عنده ، ونادى من يكمل الإجراءات حتى انتهى الأمر بوصول بطلنا إلى هدفه عن طريق

مدير البنك، وليس عن طريق الموظف المتحكم. إن هذا هو دأب الموظفين في بعض دولنا العربية، في الدوائر الحكومية، وليس في البنوك، وهو قطاع خاص، يفرح بالزبون، والويل للمراجع في الدوائر الحكومية في تلك الدول، لو طلب منهم المراجع حسب المنطق والعقل .

ليس هناك متابعة، أو نظرة نافذة من هو أعلى على من هو أدنى، ولو توافرت تلك المتابعة لسارت الأمور كالسكين الحارة في الزبدة، ولكن هذا النوع من الموظفين جاء ليكسب عيشا من هذه المعاملة، لا ليقدم الخدمة الإنسانية لمواطنيه وغيرهم. هناك

دوائر في كل دولة تقريبا عُرف عنها هذا
التطويل ، وهذا الازعاج ، فلما لم يلتفت
لعلاجها مديروها وجد الناس طريقاً
للاحتيال للوصول إلى إنجاز معاملاتهم ، إما
عن طريق الواسطة ، أو طرق أخرى ، تُعرف
بالنباهة !

من يستثمر القروض (١)

رأى حركة تجارية مريحة، فأراد أن يلج بابها، فهي تجارية زراعية، ولكن حظه فيها أكد له أن حقل نجاحه هو الطيران، ومجال التبريز فيه. فانصرف له بعد أن تأكد بنفسه وعملا أن الزراعة ليس له فيها مستقبل.

كان يؤمل في الزراعة الخير، عندما رأى دوائر القمح في كل مكان، مصادر ربح أكيد وسريع، وكان ثمن بيعه عاليا، ولكنه سرعان ما بدأ السعر يهبط، ووصل إلى درجة لا يكاد يؤمل فيها ربح. وواكب هذا

(١) «عشت سعيداً» ص: (١٩٨)

مشاكل جانبية أخرى، زادت من نفوره،
فاكتفى من الغنيمة بالإياب .
عاد يركز على عمله الأصل الطيران،
ونسي غيره، رجع للتدريس في الطيران
والتدريب عليه، وحمد كل خطوة يخطوها
في هذا المجال . من إنجازاته فيه ترجمة دليل
الطيران . وهو دليل مهم، وأساس ، وأصبح
مرجعاً لمن اختار هذا الطريق الشريف .

نداء في الظلام^(١)

شهر رمضان شهر الصيام والعبادة، ومنذ أن يحل يوقف الطيران في النهار، ويسمح به في الليل؛ لأن الطيار الصائم لا يؤمن صحياً أن يطير، لأن نقص الغذاء، عن المخ يؤثر على قرار الطيار نحو أجهزة ملاحية الطائرة المعقدة، واستعمالاتها .

كان من نتيجة ذلك، كما أراد الله، أن يكون هناك هزة عنيفة للوالدين، وأن يكون هناك ضحية، وفجيرة ومفجوعون، وأن يكون هناك شدة، وأي شدة !

(١) «عشت سعيداً» ص: (٢٠٢)

كُلف مؤلفنا بالسفر إلى الجنوب
للمساهمة في إنشاء سرب هناك . وفي وسط
هذا الجو المثير ، ودائرة ضياء البهجة
والسرور ، تأتي محاولة اختطاف فلذة
كبدهما ، ابنهما ، في حديقة عامة ، وسط
النهار ، ولكن خيب الله أمل الخاطفين ،
وأعاد الجوهرة إلى مكانها في عقد الأسرة .
امتدح المؤلف المشروع الذي جاء ليشارك
فيه ، في المنطقة الجنوبية للمملكة ؛ وعده من
أنجح المشاريع الذي كان له فيه جهد مخلص ،
وتحدث عنه في هذا الباب حديثاً مختصراً .

لابد من صنعاء (١)

طلبت حكومة اليمن الشمالية من المملكة العربية السعودية أن يقوم خبراء الطيران السعوديين بتدريب طيارهم على طائرات حديثة وردت لهم .

سرعان ما بدأ الخبراء السعوديون العمل ، وبذلوا الجهد في تأسيس عمل جديد مهم ، ونجحوا في هذا .

مرّ العمل ببعض الصعوبات ، تجلت فيها مقدرة القائد الماهر ، ففي رحلة من الرحلات دخل القائد ، هو وآخر ، في مشكلة عدم

(١) «عشت سعيداً» ص : (٢٠٦)

وضوح طريق العودة إلى القاعدة التي انطلقوا منها، فقرر اللواء الطيار عبدالله تولي القيادة، وطلب من الطائرة الأخرى، التي كان التدريب يقتضي أن يكون طيارها هو القائد تمرينا له وطلب اللواء عبدالله من الطيار الآخر أن يتبعه، لأن مرحلة الخطر بدأت، كما تدل على ذلك عدادات البنزين التي أشعرتهم أنها في نقص، ومع عدم جدوى النظر إلى العدادات، وعدم سماع من في الأرض على النداءات، بدأ عقل اللواء النير، يعمل بكل طاقته، فيعود إلى قوانين السلامة، التي يجب مراعاتها في مثل هذه الحال الحرجة، ومن ذلك مراعاة الارتفاع الذي يقلل من استهلاك الوقود، مع الأمل

في أن يُسمع النداء، وإن كان الذي في الأرض يبدو أنه يعاني مشكلة في أجهزة الاتصال عنده .

بدأ القائد يشحذ عقله، ويتلمّس بحاسته طريق العودة إلى القاعدة، وعداد الوقود في صراع مع الوقت . ثم تبينت صنعاء، فكانت أجمل مدينة في الوجود في هذه اللحظة، لأن فريق الأمل قد لاح منها . لقد جاء منظرها بفرج الله الذي تداركهم بفضله .
وصح بهذا القول المعهود :

« لابد من صنعاء وإن طال السفر »

نعم، لابد من الوصول إلى صنعاء وإن نقص الوقود وإن تعطل الجهاز الأرضي، الخاص بالاتصال .

في أثناء إقامة الفريق باليمن، أشبع

المؤلف هوايته المتأصلة في دمه ، وهي زيارة
المعالم التي تستحق أن تزار ، فزار مدينة تعز ،
وزار لواء «إب» ، وتغزل في جمال المعالم
الطبيعية ما شاء له الغزل .

وقبل عودة الفريق إلى المملكة كُرموا
بالأوسمة .

كان هناك عرض جوي يقتضي أن يتقلب
فيه أحد زملاء اللواء عبدالله في الهواء ،
فلاحظ عبدالله بعين الصقر أن زميله ينسجم
مع هذه التقلبات أكثر مما يجب ، فلفت
نظره ، إلا أن قدر الله نافذ ، لقد عاد الفريق
إلى المملكة ، ومعه جثمان الطيار الشجاع -
رحمه الله - وألهم ذويه الصبر والسلوى ،
ولهم منا العزاء من القلب .

الموجة الأولى (١)

في عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠)، واللواء طيار يطير، وقبل نهاية الرحلة، سمع الأمر القاطع لكل الطائرات بالعودة حالا إلى القاعدة. وكل من سمع النداء أخذ يحاول أن يحدد السبب لهذا النداء. وبعد أن وصلوا إلى الأرض، استدعي الطيارون إلى قاعة المحاضرات، ليعرفوا أن المسجد الحرام قد اقتحم من قبل عصابة مسلحة .

هذا الأمر جعل اللواء طيار يعطينا رأيه في هذا الحدث وما وراء هذه العصابة، وجاء

(١) «عشت سعيداً» ص: (٢١٣)

بكلام عميق ، ذي دلالة موزونة ، ولم تنس
ذاكرته اليقظي أن تسعفه بقول ظن أنه لائق
للاستشهاد به في هذه الحادثة ، وهو للأديب
الأسباني : « خوان غوبتسولو » يقول فيه :

« إن انحطاط ثقافة ما ، يسير جنباً إلى
جنب مع انطوائها على خصوصية مزعومة ،
أو تقوقعها على قيم متحجرة ، وإن رهان
انتشارها وحيويتها يتوافق دائماً وتعدد
الروافد الأجنبية ، التي تخرقها وتغديها
وتخصبها » (١)

(١) « عشت سعيداً » ص : (٢١٥)

الاستثمار في العقول (١)

يدور الحديث في هذا الباب عن الاستثمار في الولايات المتحدة الأمريكية في العصر البشري، والسعي في تدريب نخبة من الضباط للمراكز القيادية، ويتم هذا في دورة ضباط الأسراب، وكان المؤلف من المرشحين لهذه الدورة .

أتى الطلبة إلى أمريكا من دول مختلفة، ولكن أكثرهم من الولايات المتحدة الأمريكية، ومنهم من أتى من بعض الدول العربية، من مصر والأردن والمغرب والكويت،

(١) «عشت سعيداً» ص: (٢١٦)

ومن أوروبا . ويوزع هؤلاء على الفصول بنظام مدروس ، فلا يكون هناك طالبان من بلد واحد في فصل واحد ، والترتيب الموضوع يقتضي أن يكون هناك طالبة واحدة في كل فصل .

يركز المسؤولون ، في هذه الفصول ، على التطبيق العملي ، مما يدل على أن وراء الفكرة عقل ثاقب ، يدرك قيمة التخطيط ، وثمره التنظيم .

ولنجاح هذا العمل هناك ثلاثة أمور تحكمه ، هي الاتصال والتنسيق والتعاون . ثم يشرح المؤلف ، ما شرحه لهم المدرس ، عن فوائد هذه العناصر الثلاثة ، ويدلل على ما يقوله بحوادث عملية حصلت . وهذا من

أنجح الأساليب لتثبيت الصورة في ذهن الطالب بطريقة واضحة، وتصبح مسجلة هناك، تفيده عندما يحتاج إليها، خاصة عندما يمر بموقف مماثل للموقف الذي تعرض له المؤلف من حاجته إلى معرفة الاتجاه إلى صنعاء في فصل سابق .

يشرك المسؤولون الطلاب في الرأي في العمل، فيطلبون منهم أن يحاضروا، وتقيم محاضرتهم بكل عناصرها، وتناقش، ويبرز ما يجب أن يبرز، حتى حركات يد المحاضر، وجسمه، والوقت الذي استنفذه في محاضرتة .

ويتكلم المؤلف عن المدرسين، وما يحكمهم من نظام، إن ما ذكره درس جاء

مكتملاً ، مؤكدا الفائدة التي يمكن أن تجني منه . هناك يقظة من المشرفين على الدورة ، ومتابعة لصيقة ، ليبقى العمل متحركاً ومتجدداً .

في كل عمل يقومون به يرمي إلى إجادة في جانب من الجوانب ، لا يتركون شاردة ولا واردة ، يمكن أن تفيد ، إلا وتطرقوا إليها . فيهم يقظة وانتباه ، وحرص شديد على الإبداع في هذا العمل . يعملون كل شيء يجعل القائد قائداً ناجحاً ، فإن كان هناك إبداع شجعوه ، وإن كان هناك خطوة واعدة دفعوها إلى الأمام وإلى أعلى ، وتابعوا ذلك ، وإن كان هناك نقص علموا صاحبه كيف يكمله ، وإن كان هناك اعوجاج علموا

صاحبه كيف يقيمه على سوقه .

إنهم يمتحنون عملهم أثناء سيرهم ،
ويراقبون حياتهم ، أكلهم وشربهم ، إنهم
يطلبون أن ينقد بعضهم بعضا ، ويسعون
للتقريب بينهم ، وإزالة الفوارق حتى بين
المدرس والطالب .

يلمح المؤلف في مقطع من مقاطع هذا
الباب إلى عظمة زوجه ، وإبداعها في
عملها ، وعقلها الذي يتجاهل بنضج بعض
مكائد النساء ناقصات العقل ؛ لأنها واثقة
من زوجها ، وزوجها واثق منها ، ومن ثقتها
فيه . وهذا غاية التفاهم والمودة والرحمة
اللتين نص عليهما القرآن الكريم .

تركيزه على الدورة لم يجعله يهمل بيته ،
بل إنه كان ملتفتاً إليه ، ومن هذا الالتفات
حرصه على تعليم زوجته قيادة السيارة ،
فطاح بهذا عنه بعض الحمل ، ولهذا خرج من
معمعة الدورة في نهايتها بامتياز .

ما بقي من هذا الباب ، عليك أيها القارئ
الكريم ، أن تقرأه ، وأن تحرص على ذلك ،
وهو عن رحلة العودة ، وقد تكون أنت مررت
بهذا الطريق نفسه .

القيادة (١)

يبدأ المؤلف هذا الباب بمبادئ آمن بها ،
ومنها يلج إلى موضوعه ، عَصَبُ ما قال :
«التواضع» ، هذا الأمر الذي يعمل للإنسان
عمل السحر ، هو انخفاض في اللفظ ،
ولكنه ، يا للعجب ، رفع للمرء إلى قمة المجد .
نُقل اللواء عبد الله إلى الطائف ، وتسلم
القيادة كاملة فيها بعد أسبوع ، بعد أن أثبت
للقائد المنقول أنه أهل لأن توضع فيه الثقة .
هنا بدأ يستعيد ما درسه نظرا ، فيطبقه
عملا ، ومنه أن على القائد أن يتفانى في عمله ،

(١) «عشت سعيداً» ص : (٢٥١)

وأن يبذل فيه ضعف الجهد المتوقع منه .
ويجب أن يكون سابقاً في كل أمر ؛ يأتي
أول الناس ، ويفادر آخرهم . من ينتصب
قدوة عليه أن يدفع الثمن من راحته لينجح ،
وقد نجح صاحبنا ذو النجمات اللامعة
بجدارة على صدره .

نعم ، صدقت أيها القائد ، الإمام يجب أن
يكون دائماً في المقدمة ، ليتابعه من خلفه من
المأمومين ، الحياة الناجحة هي التي تسير
حسب القواعد والتعليمات ، يتابع بإيمان
بفوائدها ، وتطبق تطبيقاً متكاملاً بكل
أجزائها ، وبيقظة تخترق عيونها الحجب ،
وتنفذ بقوة من السجف .

أول خطوات النجاح هي دراسة القائد لمن

حوله ، ووضع كل واحد في المكان الذي
يبدع فيه . وهذا ليس من السهل على كل
واحد أن يتقنه ، ولكنه ليس صعباً على ذوي
العزم . إن التغلب على الصعوبات هو أوضح
مقياس للنجاح ، والإبداع والتميز تجاه ما
يبرز في الطريق من جديد ، والإبداع في أي
أمر محط التفات من كل متبصر وفاهم
ومجرب .

إندمج القائد مع سربه ، ومن هو متعلق
بالسرب . مثل الصيانة ، والالتفات لفريق
الصيانة عصاً سحرية تلعب دوراً رئيساً في
هذا القطاع ، الذي عليه ، بإذن الله ، الحفاظ
على أرواح الطيارين . الطيار لا يعرف ما في
جوف هذا العملاق الهادر ، إن الذي يعرفه

هو ماسك عدة الصيانة . يتربع الطيار على
مقعد القيادة ، وهو الذي يعرف مدى الجهد
المبذول ، عندما ينظر إلى العدادات التي
تنظر إليه ، مثلما ينظر إليها ، بعيون مفتوحة
خارقة ، وهي التي بإذن الله تنبهه إذا غفل ،
وترشده إذا احتاج ، وتساعد على القرار إذا
احتار . أما إذا كانت الصيانة رديئة ، فالثقة
في الطائرة تصل إلى الصفر .

من توفيق الله أن المؤلف اهتدى ، من أول
الأمر إلى ما قد يقع فيه بعض القادة . لم
يسمح صاحبنا أن يكون له جماعة مقربون ،
إن السرب كله جماعته ، معاملته معهم
متساوية ، وبهذا قفل باباً ، حاول بعضهم

فتحہ ، ولكنه أغلقه بإصرار ، فلم تأتہ منه
ريح منتنة .

القائد المدرك لعمله جيداً ، عليه أن يتنبه
إلى بعض الأمور التي عادة يقابل بها القائد
الجديد ، هناك من يحاول أن يُسرَّ بأُذنه عن
فلان أو فلان ، تقريباً ، ويظهر أنه يفعل ذلك
للمصلحة العامة ، وليس الأمر كذلك .

لقد ذكرت وأنا أقص حياتي ، وما مرَّ بي
فيها ، كيف كان هناك ، عندما أبدأ عملي في
الوزارة التي انتقلت إليها ، أناس يحاولون أن
يُوصلوا إليَّ معلومات سيئة عن هذا أو ذاك ،
وكنت لا أصغي لهم ، ولا أشجعهم ، لأنني
تعلمت أن هؤلاء ليسوا مخلصين إلا

لأنفسهم ، ويريدون بفعلهم هذا أن يتقربوا
إليّ ، أو يوقعوا بأناس وقفوا في طريق منفعة
لا حق لهم فيها ، أو ليفسحوا مكانا لصديق
أو قريب ، وكان التركيز دائما على مدير
المكتب ، ومركزه مهم ، لأنهم يظنون أن له
تأثيراً على الوزير .

يأتي هؤلاء المتبرعون بالنصيحة ، وبعضهم
ساذج ينقل ما يسمع ، وعند تقييم ما قالوه ،
وهم لا يدرون أنني آخذ خطوات في التحري ،
أجد أنهم متحيزون ، ولكن هناك ناصحون
ينقلون عن موظفين بعض الاهمال أو
الانحراف ، فإذا ظهر من التحقق ما يدل على
شيء مما قالوه ، فاتحنا الشخص ونصحناه ،
وفي الغالب ننقله إلى عمل لا يؤثر فيه

عيه ؛ لأننا لا نتعامل مع فرد وإنما نتعامل مع أسرة، ولا أذكر أننا أخفقنا في حالة واحدة، لأن النية حسنة، وبعض الأفراد المنتقدين جواهر، يحتاجون إلى قليل من الصقل ليلمع أديم كان معتما. إن بعض من حركناه من مكانه الذي كان منتقدا فيه، فاجأنا بتميز لم نكن نتوقعه بحال من الأحوال .

إن المسؤول يجب أن يعامل كل شخص على أنه إنسان، لو كان ابنك هذا المنتقد، هل تسرع وتصدر الجزاء؟ إذاً المقياس هو نظرك إلى هؤلاء على أنهم أبناؤك .

قائدنا لا يترك أي أمر يحتاج إلى نظر دون أن ينظر إليه بعناية، وب نظرة فاحصة متأنية، فيجد أحياناً أن هناك طياراً لا يقوم بعمله

على الوجه الأكمل ، فينقله إلى عمل يعتقد أنه سوف ينتج فيه أكثر ، وهذه هي الخطوة الطبيعية ، التي يجب ألا تغيب عن الذهن ، وقد وجد أن هذا التصرف لم يجعل المنقول يرتاح في عمله بل يبرز ، مما يجعل القائد فيما بعد يعطيه عصا الثقة ، فيبدع .

هناك قائد يبحث عن الراحة القريبة ، ويستسلم للصعوبات ، يقف أمام المشاكل حائراً ، وفي ذهنه طلب الراحة من هذا العناء الذي برز . الإنسان الذي يبحث عن الراحة اليوم ، يتعب فيما بعد ، وأقل المضار في هذا أنه يبقى في مكانه لا يتحرك ، والزمن يسير ، ويتركه خلفه حتى يريحه الخروج على المعاش .

عندما أنظر إلى بعض أساتذة الجامعات ،
فأجد أن بعضهم يصعد السلم الرقي ركضا ،
ويتقدم بأبحاثه إلى أن يصل إلى ما يرفعه من
مرتبة إلى مرتبة ، وما بين غمضة عين
وانفتاحها تجده «أستاذ كرسي» ، ملأ رفوف
المكتبة بإنتاجه ، وأنظر إلى آخر فأجده منذ
سنوات في مكانه لم يخرج عن طريق حفرة
بين بيته والجامعة . يكرر هذا المدرس إلقاء
محاضرات معلوماتها أكل عليها الدهر
وشرب ، لا تزيد عن الإطار العام لما يُدرّسه ،
وهذا قد يسبقه تلاميذه وهو واقف في
مكانه . حدث هذا مع أناس أعرفهم جيدا ،
ولما عاتبت بعضهم : لماذا لا يكتبون بحوثا
بها يتقدمون للترقية ؟ قال لي : أحدهم ، هل

نعلم أن من سوف يقيّم بحوثي ، هم من
كانوا طلابي في يوم من الأيام ! قلت له : هذا
أكبر خزي ، تركتهم يمرون ، وأنت واقف في
مكانك جامداً ، تنوم الطموح الذي بداخلك
بمثل هذه الأعذار ، وتستكين نفسك لهذه
الحجج الواهية . وخشيت أن أوصله إلى
طريق مسدود ، فأخرجته ، لأنني قاربت أن
أقول له ، لا تقدمها للجامعة ، قدمها لجمهور
القراء ، إطبّعها للسوق . ولقد هممت
ولكني لم أفعل .

قلت لبعض إخواني من حاملي الدكتوراه
أو الماجستير ، في الجامعات وخارجها : لماذا
لا تطبعون رسائلكم ، قالوا : إن العلم تعداها
بمرور الزمن . هذا القول ليس بحق ، ولكن

الحق أن العلم ظلم بهم . كان ردي دائماً أن العلم ، مثل كل شيء في الوجود ، له تاريخ . إطبِعوا رسائلكم ، ليتبين للباحث كيف كانت الحقائق في تلك الحقبة ، وإن أردتم أن تضيفوا حسناً على ما أقدمتم عليه من الطبع ، نبهوا في الهوامش أو في الكتاب بإشارات تدل على ما جد ، خاصة وأنه يتوقع منكم أن تكونوا متابعين لما جد ، لأن القائم على بحث لا يترك متابعة حقله ، مهما صغر ، فما بالك برسالة ماجستير أو دكتوراه . لكن لا حياة لمن تنادي ، لأن فيما أقوله نصب ، وفيما هم عليه راحة مواتية الآن .

لا أجد مناسبة إلا انتهزتها ، لأقول لمن يستطيع أن يكتب أكتب ، فإننا سوف

نموت ، وسوف يموت بعدنا أولادنا ثم
أحفادهم وأحفاد أحفادهم ، ولن يبق لنا
أولاد نعرف بهم ، إلا أولئك الموضوعون
بشموخ على رفوف المكتبات ، تشهد لنا
بأننا ساهمنا في حركة الفكر في حقبتنا
كما هو متوقع منا ومن وطنيتنا . الدولة
صرفت علينا بكرم ، وهيأت لنا أسباب
صقل أفكارنا ، وإنتاجنا هو الذي يشهد لها
بالفضل علينا ، فلا بد من إظهار هذا الإنتاج .
مرّ في هذه الحياة أناس كانوا ملء السمع
والبصر ، هم زينة المجالس ، بأحاديثهم
وآرائهم ، كان الاجتماع معهم فيه من البهجة
ما لا يُستطاع وصفه ، ماتوا ومات معهم كل
شيء ، انطفأت قناديل طالما أضاءت النفوس ،

ولم يبق وراءهم شيء يُذكرون به، إلا نتف
من الأخبار عنهم، سوف تضيع مع الأجيال،
إلا ما دُون منها عرضاً .

لقد ابتعدت كثيراً عن خط سيري، ولم
أخذ بالحكمة الذهبية التي يتبعها الطيارون :
« ابتعد ولكن ابق عينك على طريق عودة
لا لبس فيه » .

هموم القائد حي القلب عميقة، ولا
تنتهي، فمن همٍّ إلى همٍّ، ومن همٍّ إلى
معالجة، ما دام الرؤوسون يختلفون في
طبائعهم وتربيتهم ونموهم، وما قد انطبع في
نفوسهم من تأثير من زملائهم وأصدقائهم
في مراحل أعمارهم المختلفة، وعلى القائد ألا
يطبق قاعدة واحدة على جميعهم، فلكل

نبوَّ معالجة، ولكل داء دواء، ولكن في حدود
الإطار العام؛ فمعاملة الأحمق سريع الغضب
تختلف عن معاملة ذي الأناة، أو الهادي
الصبور، ومعاملة المرتعب غير معاملة من هو
رابط الجأش، واثق من نفسه لا يهزُّ كيانه
بسهولة. على القائد أن يغير علاجه حسب
تغير ما أمامه.

(تُغَيِّرُ كل آونة لبوسا)

خيال العبقرى به يضلُّ)

أنت قائد وأمامك مشكلة، تأكد أن ما
ظهر لك من خلل في أمر ما، خاصة إذا كان
مهما مثل الصيانة، أن لا تقف، عندما رأيته
من خلل، عند أول خطوة، تقدم وادخل الباب
المفتوح أمامك، وتعمق في الداخل، قلب

الأمر على وجوها، فقد تجد أن ما ظننته في أول الأمر هو الحل، لكن بعد التأمي والتبصر تجد أن هذا الحل أصبح هامشا بعد أن عرفت غيره. يحكم ذلك كله نشاطك، ورغبتك في الوصول إلى الأمثل، لأن الكسل آفة، وتغريك بالوقوف والنوم على أول مخدة تلوح. والعجلة في هذه الحالة آفة، تجعلك لا ترى ما هو مهم، وتلقي ركابك عندما هو غير مهم. إني دائما أحذر من أول حل للمشكلة يلوح، فأول حل قد يكون خادعا، لأن قربته من الذهن أخذ حيزا، خاصة إذا كان الحل عاطفيا، أو الأمر المراد حل إشكاله عاطفيا .

ولا تنس الاستشارة، وقد أعطيناها حقها

من قبل ، فما ضل من استشار ، وتنبه فبعض
من يملك المشورة الناضجة لا يتقدمون إلا إذا
طلب منهم ذلك ، لأنهم يعتقدون ان المشورة
إذا قدمت دون أن تطلب قلّت قيمتها ،
كذلك قيمة صاحبها .

هناك اختبار صعب للطيار ، ففي بلاده أمره
مستور ، لا يدري عن قدرته إلا من هم في
محيطه ، ولكنه عندما يخرج من بلاده إلى
بلد آخر ، فأمره مكشوف ، وعليه حينئذ
بجانب المحافظة على روحه ، وأدائه عمله ، أن
يمثل بلاده خير تمثيل ؛ وهذا - والحمد لله -
متوافر في الرحلة التي قام بها الفريق إلى
عُمان . اختير اللواء عبدالله مع فريق ،
ليمثلوا بلادهم في نشاط خليجي ، حددت

له سلطنة عمان ، فملؤا الكرسي الذي طلب
من بلادهم أن يقعدوا عليه ، ولقد شرفوها ،
وقد اتاحت لهم فرصة أن يساهموا في وضع
أسس تبقى خالدة لمن سيأتون ؛ لأن الخير لا
ينقطع ، هو نبتة صالحة قوتها في داخلها ، لا
تذبل ، لأن محركها لا يقف ، إنه يعمل
بالدفع الذاتي . هنا يجب أن ينسى الممثل
لبلاده نفسه ، وينظر إليها أنها في صف
مسابقة ، يجب أن يستغل جميع أسباب
النجاح ، ومع هذا فهو مستفيد ، لأن العمل
الجليل يبقى مرتبطا بصاحبه ، مثل العمل
الخائب يبقى نقطة سوداء في وجه صاحبه .
«ولا فرق بين الردى والجود» كما يقول المثل
العامي .

إن هذا الرجل الوفي لأهله وعمله ، لم يتراخى في مهمة عمله المهمة ، وملتفت لحال زوجته التي على وشك ولادة ، فلم يسارع بها إلى المستشفى ، ويترك عمله ، ولكن الله مطلع على السرائر والعالم بالنيات ، فتولى الله رعاية الزوج في ولادتها ، وأهدت زوجها مولودة تقر بها العين .

لقد ساق الله في اللحظة الحاسمة من اعتنى بالزوج ، عناية لا يستطيع أن يأتي بها زوجها لو حاول .

هنا يقف المرأ وقفة شكر وامتنان ، متجهاً لربه الذي لا يُضيع أجر من أحسن عملاً ، فهو في حرصه على عمله كان يحسن عملاً .
عُمان بلد جميل - كما يُتوقع - أعجبت

هذا القائد ، الذي يعشق الطبيعة ، وأوحت له
بصفائها ونقاؤها بالإنجاز المرضي . لم تكن
متعته فقط ، وهو في الفضاء ، معلق بين
السما والارض ، وإنما تبعته المتعة على
الارض ، استفاد من وقته لمصلحة مهمته التي
جاء من أجلها ، ولمصلحة عشقه للطبيعة ،
وحبه للناس . لقد كَوّن صداقات ، واكتشف
قلوباً ملؤها الحنان ؛ والسحاب إذا حل المطر
منه على أرض خصبة أنبتت من كل زوج
بهيج .

عاد هو وفريقه إلى الوطن جذلى ، يملؤهم
الفخر والفرح والسرور ، رضوا عن عملهم ،
وما أنجزوه ، ولقد ملؤوا ذاكرتهم بالمعلومات
عن بلد يكمل في مجموعة الخليج بلدهم ،

تركوا شمعة مضيئة هناك .

ليس لنا عتب على حبيبنا عبدالله ، لقد أخبرنا عن اسم المولودة ، الوافدة الجديدة «دانة» ، ما أجمل الاسم ، فهنيئاً لها به ، ولكن لنا عتباً على عدم إخباره إيانا باسم ابنه عندما ولد^(١) ، مع أهمية هذا ، وتظهر هذه الأهمية في أنه لو أخبرنا حين ولادته لأشرنا إليه في هذا الكتاب بأبي فلان ، بدلاً من اللواء طيار عبدالله السعدون حيناً ، وحيناً مع حذف السعدون ، وأحياناً نكتفي باللواء طيار ، أو اللواء ، أو عبدالله ، أو ما

(١) بعد دقائق بعد أن قلت ما قلت هنا عن اسم الابن ، دلفتُ إلى الباب الذي يلي هذا الباب ووجدت أن اسم الابن هو «نايف» ، نائفا كالعَلَم . «عشت سعيداً» . ص : (٢٣٢) .

إلى ذلك . وهذا سوف يتيح لبعض النقاد أن يرقصوا طرباً على هذا الاختلاف ، ولماذا لم نستغن بتعبير واحد . وهم أكسل من أن يقبلوا التنويع .

على كل حال قد يكون السبب في عدم ذكر الاسم أنه نسي ذلك من الفرحه ، ونحن نقبل هذا منه ، ونقبل أيضاً إذا كان مكان «دانة» في القلب أبرح من مكان الابن ، فأن الابن تمدد في قلب والدته ، وبهذا تكون الكفة قد انعدلت ، وكل راض ، كل منا طبعاً .

أفضل دائماً أن أنادي الشخص بكنيته ، لأنها تزيل الكلفة ، والإنسان يرى وقعها

على الناس ، لما يظهر على وجوههم من
السرور، ولم آت بهذا من مصدر بعيد،
أخذت هذه الإضاءة من قول لعله حديث
شريف :

« مفاتيح القلب ثلاثة : أن تبدأ أخيك
بالسلام، وأن تناديه بأحب الأسماء إليه،
وأن تفسح له في المكان » .

إن مناداته الشخص بكنيته يفعل فعل
السحر، ناد شخصاً بكنيته : يا أبا فلان،
وانظر في وجهه، تجده طافحاً بالبشر، لأنك
تذكره بأحد أحب الناس عليه، وقد لا يكون
عند الشخص ابن، أو لا تعرف اسم ابنه،
فتناديه مكنياً باسم أبيه، وهذا يذكره بأعز

الناس عليه. ولكن أبا نايف في الاندماج في الكتابة نسي أن يذكر لنا اسم أبيه، وقد نَعَذَرَه إذا لم يذكر اسم والدته - عليها رحمة الله - لأن هذا لا يُستغرب في مجتمعنا^(١)، وهذا أمر أول من يخشاه أبناء المدارس الصغار، أصعب ما عليهم أن يعرف زملاؤهم أسماء أمهاتهم، وهذا غريب، إذ لا مبرر له، ولكنه في الحقيقة ليس غريبا على أطفال لم ينضجوا. مثل كل شيء عندما يستوقف نظرنا أمر نبحت عما خلفه وسببه، هل عدم ذكر والده بسبب أنه لم يره

(١) ومع هذا فلم يأبه بالتقاليد إذ ذكر اسم والدته وزوجه في صفحة «الإهداء»، وهي أول صفحة في الكتاب بعد العنوان .

رؤية واعية .

على أي حال نحن نطالب في الطبعة
التالية أن يكمل هذا، ولو بذكر اسم والده
في صفحة الغلاف. وكتابه مقروء، وقد
تعدى الآن الطبعة الثانية والثالثة .

هل تظن أن بيتنا قد قفا ؟ (١)

قبل أن أقرأ هذا الفصل في المرة الأولى ،
أوحى إلي العنوان بأن شخصا غير نايف هو
قائل هذا ، وشممت رائحة الكرم في ثنايا
العنوان ، وتوقعت أن الزوج قد حمل زوجه
بكرم أكثر من اللزوم ، وأنها هي التي أبدت
الملاحظة . ثم تبين بعد القراءة أن ظني كان
أبعد عن الحقيقة .

السؤال إذاً جاء من نايف - حفظه الله -
وهو الطفل الصغير ، وجاء مع السؤال
الإحراج ، وهو أمر لا يستغرب من الأطفال

(١) «عشت سعيداً» ص : (٢٣٢)

لبراءتهم، وبياض قلوبهم، لقد قالها لضيف
كلما مرّ بالطائف أناخ ركابه عندهم، ذاهبا
آيبا، ولكن الضيف مررها بسلام .

هذه الصفحة فيها ثلاثة أمور :

الأول : منها عرفنا اسم نايف، ومعرفة
اسم نايف سوف - إن أردنا - تخفف عنا
عبء الإشارة إلى اسم الطيار وصفاته
المختلفة، كما سبق أن ذكرت . أما أخته فلها
اسمها، لا يُشاركها فيه أحد، إلا من هو في
صندوق المجوهرات من «دانات» جمع
«دانة» !

الثاني : عثور نايف على صندوق صغير
في أحد الدواليب خبأته زوج الساكن
السابق، ونسيت أخذه معها، عند الرحيل ؛

فردَّ إليها - بفضل الله - ثم بفضل بطل الإحراج نايف، وهذه الحادثة لم تمر دون أن تجعلنا نرجع بذاكرتنا إلى الماضي عندما عثر أبو نايف على الريالين، وأعادهما إلى صاحبهما، من شابه أباه فما ظلم. الحوادث تعيد نفسها، والفرق بين ما وجده الأب، وما وجده الابن طفيف، الأب وجد ريالين والابن وجد عشرين جنيها ذهبا. القيمة واحدة، لقد ارتفع مستوى المعيشة !!

الثالث : مؤدى العنوان، فقد ذكرنا بقصة المرأة التي كانت تزور امرأة أخرى، وكان ابن المرأة المضيضة يحضر الاجتماع معهما. وقد سمع أمه تقول بعد أن خرجت المرأة الزائرة: إنها ذات وجهين، وفي الزيارة

التالية صار الطفل ينظر بتمعن إلى خلف
وجهها ، ثم يعود إليه مما لفت نظر المرأة ،
وهذا دعاها أن تسأله عما يبحث عنه ، فقال
لها بكل سذاجة : إني أبحث عن وجهك
الثاني ، فوالدتي تقول : إن لك وجهين !!

هناك شمعة مضيئة في هذا الباب ، وهي
تصميم أم نايف ، رغم مشاغل البيت ، على
مواصلة الدراسة في الجامعة . ويصف المؤلف
هنا ما تمر به كل أم ، مثل زوجه ، من محاولة
الجمع بين واجب وواجب ، والدراسة
تستوجب السفر من الطائف إلى الرياض
مرتين في السنة ، وفي هذا عبء ثقيل
عليها ، خاصة أنها لم تسلم من بعض الهموم
مثل إصابة ابنها بالحصباء ، ولكني أعود

وأقول . «إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً» .

هنا دخلت الأسرة مرحلة جديدة، بعد أن نجحت أم نايف ، مما أهلها أن تلتحق بوظيفة مدرّسة للغة الإنجليزية في المرحلة المتوسطة . هذه المرحلة جعلتهم يستقدمون خادمة، تساعد في حمل بعض أعباء البيت . ويرسم لنا أبو نايف صورة لأسرته في ضوء هذا التحرك الجديد ، وهي صورة تمثل الصور في الأسر المماثلة .

يأخذنا أبو نايف في رحلة إلى الشرق ، وبحبه على الاطلاع على ما لدى الأمم ، يبدأ ينقب عن الأماكن التي تستحق الزيارة ، ويرى ويسمع . لا يمل ولا يكل ، ولا يشبع

من استيعاب المعلومات ، ويزن ويقارن ،
ومعه سوف نخرج بمعلومات لم نتعب في
الحصول عليها . بل جاءتنا على طبق من
ذهب .

يبحث عن أسباب تقدم بعض الدول في
الشرق كيف تقدمت ، وكانت متأخرة من
قبل ، ويجدها قد وقفت على قدمين قوين ،
تسابق بهما أرقى الأمم ، يجد بعد الاستقصاء
أن من أهم أسباب نهضتها التعليم ، والعناية
بجميع ما يتصل به ، وهذا يجعله يلج إلى
ردهات أخرى ، وكأنه يتمنى أن نسلك
مسلكهم ، لنصل إلى ما وصلوا إليه .

إن حديثه هنا يعد محاضرة وافية ، صاغها
بإتقان تام ، وأوصلها إلينا واضحة جلية

ومؤثرة. والقارئ لا يمل من قراءة هذا الجزء من هذا الباب، إنه بجانب ما فيه من فائدة يكشف عن ذهن المؤلف الصافي، وعن نظرته العميقة، وحرصه على البحث عن مظان التقدم، خاصة في البلدان التي كانت عائرة ونهضت .

إنه في هذا الباب، وهو يتجول في بلدان الشرق، يصف كل ما يمر به، حتى بعض المنغصات الطفيفة، التي تأتي عرضاً، وقد لا يسهل تفسيرها، مثل عمل الرجل الذي رأى أم نايف داخل غرفتهما واقفة خلف النافذة تتمتع بمنظر الطبيعة خارج الفندق، فرمى نحوها حجراً، تلقته نافذة الزجاج، المضاعفة السمك، فلم تؤثر إلا في الجانب

الخارجي من الزجاج . ومع هذا فقد حرمها
هذا بفعله من الوقوف في هذا المكان بعد
تلك الحادثة .

في مليزيا وقع أبو نايف وأهله في قبضة
حاتم طي ، السفير ، أبي سليمان محمد
الحمد الشبيلي ، لقد ذهبوا إلى قيد أبي
سليمان طائعين ، قادتهم أقدامهم . إن
أبا سليمان يتقن نصب المصيدة للضيوف -
رحمه الله - ويهيئ الفخاخ ليقع فيها زوار
مليزيا ، سواء كانوا زائرين أو عابرين .
وقبضة أبي سليمان إذا أطبقت لا يستطيع
أحد التخلص منها ، إلا إذا جاء زائر جديد أو
زائرون ، وحتى هذه قد لا تأتي بالإنقاذ .
لقد طبق أبو سليمان على المؤلف وأهله ،

وآخرين، صادف مرورهم ، وطبق عليهم
مثل ما طبق على أبي نايف وأهله. إني أعتقد
أن أبا سليمان تعدى بكرمه كرم حاتم طي،
فحاتم يكرم من يأتي إليه، وأبو سليمان
يذهب ويبحث عن الضيوف ليكرمهم،
وحاتم لا يحتال عليهم، ليقوا مدة أطول مما
يودون، أما أبو سليمان، فلا يتركهم
يذهبون إلا عندما لا يكون في القوس منزع.
لقد فتح المؤلف نافذة صغيرة، سمحت لنا
أن نطل منها على نموذج من كرم أبي
سليمان - رحمه الله . ومما رأيناه حركة
رائعة من أبي سليمان، الذي له قوانين في
الدبلوماسية ليست في دفاتر الدبلوماسية.
مرض سفير الصين لدى مليزيا، فعاده

أبو سليمان ، رغم أنه لا علاقة بيننا والصين .
وعندما استغرب سفير الصين من هذه
الزيارة ، وضح له أبو سليمان إن ديننا يحثنا
على عيادة المريض ، ولم يستظل أبو سليمان
بمركزه عميداً للسلك الدبلوماسي ، وجعل
الفضل للدين الإسلامي . إن أبا سليمان في
هذه الحركة ثابر على الكرم دون أن يدري .

نايف أبدى ملاحظة عابرة ، لا تستغرب
من طفل ، وذلك عندما رأى وفرة الفاكهة في
بيت السفير ، وهو ما كان مفقوداً في
الفندق ، فتحركت جيوش الكرم ، وهزمت
تقصير الفندق عن القيام بواجبه ، وصارت
الفاكهة تأتي من أبي سليمان كل يوم ، ولا بد
أن أبا سليمان كان يدعو لنايف لأنه نبهه

لباب من الأبواب التي تبهج أبا سليمان .
اللفتة الإنسانية الأخرى جاءت عندما
أخبروه أنهم يبحثون عن خادمة، فبادر -
رحمه الله - وعرض أمامهم أربعاً من
الخادومات اللواتي عنده، وقال لأم نايف،
اختاري منهن ما تشاءين، وستكون مستعدة
لتسافر معك بالطائرة. أبو سليمان يتصرف
هنا مع الدولة وكأنه أم، والأم مهما عملت
مما يخالف المعتاد لا يستطيع ابنها أن يطلقها
لأنها أم، والمثل هذا عند أهل نجد على
لسانهم دائماً: «أنا أم ما أطلق!» .

ليسوا ملائكة (١)

هذا باب قصير مرّ فيه أبو نايف على بعض الصور، التي رسمها بإتقان. انطلق من موقعه في الطائف الجميل، القريب من مكة المكرمة، وليس بعيداً من جدة، وشارك بعض المستشارين الأجانب في القاعدة، في رحلتهم إلى ساحل الشعية الجذاب، ميناء مكة في الزمن القديم، فشاركهم إحدى رحلاتهم إليها، ومن منطلق ما عرفناه منه عن وطنيته، وحرص على حماية البيئة، لم يفته منظر أقلقه، تئن منه البيئة الطبيعية،

(١) «عشت سعيداً» ص: (٢٣٨)

وكان الله - سبحانه وتعالى - ساقه إلى هذه الرحلة، ليعدل مائلاً، وليقيم معوجاً، وليصلح فساداً، وقد أدهشه أن يأتي الخلل من أناس المتوقع منهم أن يحافظوا على البيئة لا أن يدنسوها تدنيساً مخيفاً، خاصة وأنهم لم يضطروا لذلك، وإن ما عملوه عبث صياني. هذا وصفهم بأنهم ليسوا ملائكة، وأنهم قد يخطئون مثل غيرهم، بل ويأتي خلل مخيف مثل هذا .

لقد وجدهم في سلوتهم يجمعون «الكفرات» المستعملة ويحرقونها، ما رآه في المنطقة الشرقية، في السماء رآه اليوم على الأرض، وقد ندموا عندما نبههم، وكان الله - سبحانه - مالك الطبيعة أرسله معهم هذه المرة، ليحمي طبيعته، سبحانه وتعالى .

طلائع الصحوّة (١)

هذا باب سامقه تحليل دقيق، لمشاكل مقبلة، رأى المؤلف بوادرها. همه من هذا الجيل من التحق بالعمل الذي هو يمسك بزمامه، ورأى معاناة بعضهم، وصعوبة التأقلم عندهم بين ما يُدعون إليه، وما تعودوا عليه، واحتاروا في مرحلة من المراحل لمعرفة ما هو مطلوب منهم، وقد ساعد بعضهم على الخروج من الحيرة، ولكنه أخفق مع آخرين غيرهم .

حلل في هذا الباب المظاهر، ما استطاع، ووصل إلى نتائج، فيها فكر نير، يصف بدقة معاناة جيل .

(١) «عشت سعيداً» ص: (٢٤٠)

الاتجاه شمالاً (١)

العسكريون والدبلوماسيون لم يعرف عنهم الاستقرار في منطقة واحدة، أو قطر واحد، فهم يُنقلون من مكان إلى مكان، وهم يعانون من هذا، ويعاني معهم أزواجهم وذرياتهم، ويصبحون أولاد قطة، كل يوم هم في مكان. الأمهات بالذات هن في بؤرة التعب، إذا كان أبناءهن صغاراً أو كباراً، مثلما إذا انتقلوا إلى بلد مستوى الصحة فيه متدني، وهم جاؤا من بلد مستوى الصحة فيه عالي. أو انتقلوا من بلد التعليم فيه

(١) «عشت سعيداً» ص: (٢٤٤)

راق، إلى بلد التعليم فيه ليس كذلك .
والمعاناة لا تكون محدودة الزمن، بل إنها
تؤثر على حياة الفرد في مستقبل حياته .

لنجعل هذا في ذهننا، ونحن ننتقل مع أبي
نايف وأسرته من الطائف إلى تبوك،
وبالتحديد إلى القاعدة فيها، قد يكون
الانتقال مناسباً، لأنه انتقال من منطقة باردة
إلى أخرى مثلها، وكلاهما داخل الوطن،
ولكن لا بد من التأقلم، فالإنسان إذا انتقل
في بيته من غرفة نوم إلى أخرى «استنكر»
المكان، ولا بد من التأقلم، ومثله، أو أشد
منه، إذا كان الانتقال من بيت إلى بيت، فما
بالك إذا كان الانتقال من منطقة إلى أخرى،
ويخفف حدة الانتقال هذه أن تفصيل

القواعد متماثل ، وهذا يساعد على سرعة التأقلم .

والانتقال لا يخلو من متعة واضحة ، فهو يتيح فرصة للتعرف على منطقة جديدة ، وفي الشمال ، وهو أول انتقال لأسرة السعدون إلى هذا الاتجاه ، لقد اكتشفوا سريعاً الجوانب المضيئة في محيطهم الجديد ، وأبرزها قربهم من البحر ، مع برودة طقس ليس فيه ارتفاع .

وجد القائد مع سربه ترحيباً حاراً ، وحسن استقبال ، والتحية الحارة هي أول فتح باب الخير في حسن العلاقات . وهم في طريقهم إلى تبوك ، ومن الجو تمتعوا برؤية الأراضي المقدسة ، وأطلقوا نظرهم العنان ، ليجوب

فضاء الله الواسع ، وهذا الأفق الصافي .
هؤلاء الطيارون ، عندما يرتفعون في
الفضاء ، يرون جمالا لا نراه ، ولا يمكن أن
يصل إليه خيالنا .

عند الوصول إلى القاعدة الجديدة تبدأ
التمهيدات للسكن الجديد ، ثم التعرف على
الناس والمحيط . وقد أصبحت الأسرة خبيرة
بمثل هذا ، ولن يكون من الصعب عليها
التأقلم السريع . ابنة الملكة مهياة بتربيتها
وأصولها لمثل هذا ، مما يجعل مهمة الزوج
سهلة .

العناية بأفراد السرب وضباطه هي أول ما
يلتفت إليه القائد ، وقد أدرك من تجاربه
السابقة أن الرياضة هي مصدر كل خير ، لأن

فيها حلا لكثير من نوائب المزاج وتقلبه ،
فشجع عليها ، وعلى تهيئة أسبابها من نواد ،
وأدوات ، وسريعاً ما آتت أكلها بإذن ربها .
عينا القائد مفتوحان ، لا تغمضان ، عين
يقظة على العمل ، وعين حانية على الأسرة .
الأطفال تربيتهم تحتاج إلى تفكير سليم
متقن ، شامل لجميع جوانب الحياة ، وأول
التفاته متأنية هي فيما يعود عليهم بالنفع
آجلاً وعاجلاً . من أبرز أوليات والدهم هو أن
يتعودوا منذ نعومة أظفارهم على القراءة ،
فهي الباب لردّهات العلم ، وهي السراج
المضيء للسير في طرق الحياة المظلمة . لقد
بدأ أبو نايف وزوجه برنامجاً ، أملوا أنه
موصل لما يرمون إليه من هدف نبيل ، وهو

تعويد الأبناء على حب القراءة، والإقبال
عليها والرغبة فيها، وعشقها، للاستفادة
منها، وكانت أول خطواتهما في هذا
السبيل أن أخذاهما إلى المكتبات، ليروا
بأعينهم جمالها على الرفوف، ويختاروا ما
يحلو لهم، وما يتناسب مع مستواهم،
والتدرج في هذا الأمر مهم، لأن طموح الآباء
قد يجعلهم يقفزون فوق الحواجز، فبدل
الفائدة تأتي المضرة، دون أن يشعروا .

نعود إلى العمل، وإلى السرب، وما
يحتاجه، وما يحتاجه كثير، يحتاج من قائده
اليقظة والمتابعة، والنظر إلى المجيد فيشجعه
ويثيبه، وإلى المقصر، فيبحث عن أسباب
تقصيره، فيقضي عليها، ويتعرف على

دواعي التذمر عندما يعرف المتذمر ، فيسبح
في حاله إلى الأعماق ليجد السر في التذمر
حتى يقضي عليه ، فيكسب فرداً معالماً ،
خيراً من أن يخسر من كان بإمكانه ألا
يخسره .

لقد نَفَعَت القائد في هذا تجارب سابقة ،
وبصيرة ثاقبة ، وذهناً نشطاً ، ورغبة في بث
روح الخير والسعادة . وهي تجارب ، نتائجها
تزيد مع الأيام ، والليالي حبالى يلدن كل
عجبة ، لا يمر يوم ليس فيه تجربة ، الفرحه
تأتي من مخزون ما جاء منها من خير .
التأني ، وعدم العجلة ، والسيطرة على
الأعصاب ، تكشف ما قد لا تراه النظرة
الأولى العاجلة . والتأني أساس في كتاب

النجاح في الحياة .

الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أين وجدها ،
ولهذا فعينه على مواقع الحكمة ، ومظان
الفائدة ، يبحث عنها ، وينقب ، ويتبعها ،
وهذا ما جعله يستفيد من آراء المستشارين
وخبراتهم ، وما جلبوه معهم من بلادهم التي
بعض الأمور المفيدة أصبحت منقوشة في
داخل أرواحهم ، يتصرفون بوحى منها دون
أن يعتمدوا التفكير فيها . لقد عرف هؤلاء
القوم الفائدة في أي أمر ، فأحلوها داراً
واسعة من أنفسهم . نحن في حاجة إلى أخذ
ما هو نافع مما يتمتعون به .

من القواعد الحكيمة التي اكتسبها
أبونايف ، واتخذها نبراساً يسير في هديه ،

وقد حمدها من قبل ، فلم لا يحمدها الآن ،
وهي : أنت القائد ومكانك في المقدمة ، ومع
هذا لا تغفل عن تصرف من خلفك ، لتكون
نظرتك شاملة عادلة منتجة ، ولتكون إطاراً
يحكم المفردات التي بداخلهم . والقاعدة
الحكيمة تتلوها أخرى وأخرى ، فأكثر الأمور
لا تمشي إلا بالدفع ، وما دام لا بد منه
فليستمر فيه ، ولا يغفل عنه .

يحرص المؤلف على أن يعضد آراءه بقصص
عملية تؤكد ما يدعو إليه ، فمثلاً هذا طالب
نرويجي في المرحلة الثانوية في بلاده جاء
ليقوم ببحث عملي في المملكة ، لأن بحثه
يخص البحر الأحمر ، وقد نال بحثه الدرجة
القصى ، كما هو متوقع ، لأنه وفر له جميع

عناصر النجاح، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

من الأمور الاجتماعية التي تقلق كل مفكر بعض الخطط للإجازات الصيفية وغيرها، ولهذا لمسها المؤلف، وهو المدرك لبعض الأدواء الاجتماعية. يعرج على هذا الأمر، ويأخذنا معه، وليست الدعوة غريبة علينا، فقد سبق أن تحدثنا فيها، دليل أن الأمر طبعى، ليس فيه افتئات. وما دام الأمر كذلك فعلى المواطن الواعى أن يعترف بهذا، ومتى ما اعترف طاح نصف الحمل، وبقي النصف الآخر .

والمؤلف الآن يمر بسنيّ النضح، وكمال الإدراك، وكل أمر يمر به يعطيه حقه من

التفكير، ويخرج منه بتجارب غنية
بالفوائد، لم يعد يأخذ الأمور على علاتها
ويمشي مع الناس فيما هم سائرون فيه،
أعمى العينين. وإذا كان غيره يرى التفكير
في هذا لا يعدو أن يكون سُنَّةً، فإنه يرى فيه
فرضا، وأداء الفرض لا يكفي فيه إلا أن
يؤدي كاملا .

لم يترك المنطقة حتى رأى بعض جهود
مثمرة، وهذا ينعكس على نفسه رضى
وسرورا، إنها زهرة النجاح بعد الكفاح،
والثمرة بعد العناية بالشجرة سقياً وتسميداً
وتشذيباً .

عودة إلى مقاعد الدراسة (١)

سوف نقرأ هنا في هذا الباب خطوة دراسية مهمة مقبلة، ستؤدي ببطئنا إلى درجات أعلى. يركز المؤلف في هذا الباب على دور العقل، والاستفادة منه بتبصر، وكما نعرف، مما مرر بنا، المؤلف مؤمن بالرياضة، وبفوائدها، وما تقوم به في بناء الإنسان جسماً وعقلاً وروحاً، وإبعاد المنغصات عن النفس؛ فالرياضة إذا جاء دورها متقناً أدت فائدها كاملة، ولكل نقص عند الإنسان نوع من الرياضة،

(١) «عشت سعيداً» ص: (٢٥٦)

تتناسب معه ، ولكل طموح صحي طريقه
إلى جسم الإنسان الرياضة ، والرياضة ، مثل
كثير من الأمور في الحياة إذا آمن بها الإنسان
وأحبها ، قام بها بانتظام ، دون ملل أو تراخ ،
والمثل عادة يصاحب النفس المجبرة على الشيء ،
فالإيمان بالفوائد ، والرغبة الأكيدة في القيام
بها على الوجه الأكمل ، فيه ضمان لمرودها ،
والنجاح المستمر .

يخدم العقل في هذا الباب المؤلف ،
فينقله من الرياضة ، وما فيها من فوائد ، وما
رأى منها من قبول من معه لها ، إلى الوقت ،
والوقت مهم جداً في حياة الناس ، فتأثيره
على من آمن به عظيم ، وإهماله فيه الضرر
البالغ ، والخيبة المتوالية ، إنه عمود يدور

حوله عنصر النجاح في كل أمر دُون، وكأنه
يدري أنني قاعد مختبئ خلف صخرة أقفز
وأصفق لكل من دعا إلى الاستفادة من
الوقت، لعل أول شيء يحاسب المرء عليه
يوم القيامة هو الوقت، وكيف أنفقه
صاحبه، وويل ثم ويل للاعب «البلوت»
وأمثاله، وأنا بهذا أغضب كثيراً من أحبائي،
ولكنهم تعودوا على إغضابي لهم كلما
رأيت اعوجاجاً، ماذا أفعل وأنا مطلوب مني
أن أكون يقظاً، فأدفع ضريبة العلم والمعرفة
والثقافة، التي لم يبخل بها عليّ وطني
والمسؤولون فيه .

كثيراً ما سمعت من أعرفهم ويعرفونني
هذا السؤال : كيف تجد الوقت لهذا الانتاج

مع عملك ؟ وأحيانا مع عمل غيرك ممن
تنوب عنهم من إخوانك الوزراء ؟ فأشرح
لهم ، وأفرح بسؤالهم ، مؤملا أن يمسكوا
طرف الحبل ، ويركضوا به .

ويأتي بعد ذلك سؤال منهم آخر : ألا تمل ؟
لا ما أمل لأني لا أنظر إلى عملي الرسمي
وعملي الأدبي على أنهما مصدرا رزق ، وإنما
هما هواية أتلذذ بمزاولتهما ببهجة وسرور ،
وأسأل الله أن يهني الصحة والعافية ،
ورضاه وتوفيقه ، وحمايتي من الزلل .

ومن جملة ما أقوله لإخواني السائلين ، إن
حامل الماجستير والدكتوراه ، كما سبق أن
قلت ، ليس المهم في عمله المعلومات التي
يجمعها ويوائم بينها ، أو النظريات التي

يبتدعها، ولكن في طرق البحث وإيجادتها،
وأولها، وأهمها، وضع مخطط للعمل قبل
الإقدام عليه، وتحت كل عنوان في الخطة
أُتبعه بتفصيل، فبعضه تجد أنه يأخذ حق
المبادرة، وآخر موقعه متأخر عن آخر في
العناية، ولكل واحد وقت، فمثلا ما يحتاج
إلى رجوع للمصادر، وقته بعد وجبة الأكل،
لأنك لا تحتاج إلى الانحناء، بل لا يجب أن
تنحني، لأن دواعي الصحة تمنع ذلك.
وتستطيع أن تقرأ مضطجعا، فهناك وقت
أقرأ فيه ولا أكتب، وهناك وقت أكتب فيه
وأطيل، وهناك وقت أكتفي فيه بوضع
«رؤوس أقلام»، لأعود إليه عندما يحين وقته
المناسب، وحينئذ أبسط ما اختصرت. وكما

قلت : لا أَلعب الورق ، فأحرق وقتي دون فائدة . وطالما استجديت إخواني لاعبي الورق أن يعيروني شيئاً من وقتهم الذي أرى أنهم يحرقونه . وقد وسوس لهم (ذاك) بأن في لعب الورق رياضة للذهن إن صح هذا فاعتراضنا عليها آت من أمرين :

الأول : زنوا ما كسبتموه من رياضة الفكر هذه بما أضعثتموه من الوقت تجددوا أنكم استبدلتم الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فتجارتكم بائرة خاسرة .

الثاني : الزعيق والصراخ والغضب الذي أحيانا يصاحب اللعبة ، مع الاتهامات المتبادلة الدائمة ، التي يغطي ضررها نفعها ، أو لعلها تظهر ما عند الإنسان من حب

للصخب والشرّ .

نتحدث عن الأطفال وتربيتهم ، وتعاون
الوالدين على ذلك ، فنجد ، للأسف ، أن
العبء كله يقع على هذه المسكينة ، الأم ،
وحدها ، لأن الوالد ، لاعب الورق ، يصحو
في الصباح متأخراً ، وقد ذهب أبنائه
للمدارس ، فيذهب هو إلى عمله دون أن
يراهم ، ثم يعود بعد العمل ، وقد يكون
مجهداً ، فينام إلى المغرب ، ثم يصحو ليذهب
لأصدقائه ، ليلعبوا الورق ، مستعبدين بهذه
«الكروت» الساحرة ، يتخلل ذلك أحاديث
الغيبة والنميمة . ثم يعود إلى بيته ، وقد
انتصف الليل ، وتمر أشهر وهو لم ير أبنائه
والأم المسكينة تسبح في بركة من مشاكل

من تخشى عليهم من الفرق ، فهي مجهدة
من أعمال البيت ، وأحيانا من قلة
الامكانيات ، ثم إذا جنح الصبي ، وجاء منه ما
يخزي الأسرة ، بحث الأب عن مشجب يعلق
عليه أخطاءه ، فيجد أقرب مشجب بريء هو
الدولة ، فيعلق عليها أخطاء تقصيره ، ويأتي
بضجيج ، يجد من يستمع له ، الدولة أنها لم
توجد ما يلهي هؤلاء الشباب في سن
مراهقتهم ، أو تبدع شيئا يشغلهم .

الدولة هي الملوحة دائما ، والدولة مشغولة
بالبناء لهم عن التفرغ للرد عليهم ، وإظهار
ما أوجدته ، مما لم يستفيدوا منه ، لأنهم لم
يعودوا أنفسهم على ذلك .

متى تلام الدولة ؟ تلام الدولة إذا عمل كل

منا بما توجه عليه الوطنية، حينئذ يطالب
الدولة بما لا يستطيعه، أما أن تأتي الدولة
لتربي أبناءه في سنيهم الأولى في بيوتهم،
فأمر غير مقبول، وصوت ضائع في الفضاء.
ثم من هي الدولة هي كل مواطن بيده عمل
رسمي أو خاص يقوم به على الوجه الأكمل،
وهذا نصف واجبه والنصف الآخر بيته،
وفيه يستطيع أن يجعله بؤرة سعادة، لأنه هو
سيد البيت، والمتوقع أن يحمل نصف الحمل
عن الأم، وأحياناً في سن متأخرة من عمر
الأبناء والبنات يحمل العبء كله. ألم يقل
الله سبحانه وتعالى: «قتل الإنسان ما
أكفره». ونحن من بين العرب لا نوفي شكر
الله حقه إلا بأن نعمل ما يرضيه، فنحن في

نعمة لا نعرف مقدارها إلا إذا رأينا كثرة من يخطب الهوية السعودية. الوعي عندنا ناقص، فالبيت ليس عنده من القدرة ما يجعله يزرع الدين والوطنية بعمق، فالأب كما رأينا بعيد عن البيت، والأم قد لا تكون متعلمة، وإن كانت بالفطرة والدين تحاول أن توصل السفينة إلى بر الأمان، والأب قد لا يكون متعلما كذلك، واللوم عليه قليل إلا بمقدار ما نذكره، مما أنجزه آباؤه وهم مثله .

لهذا ينصب اللوم على الآباء المتعلمين ولكن هل كل من نسميهم متعلمين متعلمون؟ هل هم متعلمون بمقاييس العالم المتحضر؟ إن الشهادات التي يحملها بعضهم لا تعدو أن تكون ورقة حرص أحدهم

على حملها ، ليعلقها تيممة في عنقه تفتح له باب الوظيفة ، أو تهىء له درجة الترقية . مع أن المفروض أن يكون نموذجاً لخطّة عمل يمشي به في الناس مشياً سليماً ، وتذكره أنه وقد حمل هذه الشهادة ، عليه أن يعطيها حقها من رقي التفكير ، وتحسين العمل ، وصواب السير في الحياة عموماً . إن الهدف من الشهادة العليا - كما قلنا من قبل - هي إتقان عمليات البحث ، التي الحاجة الماسة إليها ، تشمل جميع جوانب الحياة . فحاملها عندما يهتم بعمل عمل صغير أو كبير يخضعه لأصول البحث الذي تعلمه ، ففيه إشعاع يبعد عنه الظلام الذي إذا سار فيه أعمته أجنحة خفافيش الظلام ، فمثلاً إذا أراد

أن يقوم برحلة ، وسيلته فيها السيارة ، عليه
أن يفتح صندوق قواعد البحث ، عليه أن
يضع خطة الرحلة كاملة مفصلة أولها جانب
السلامة والأمان ، عليه أن يتفقد أجهزة
السيارة ومدى استعدادها للرحلة ، ثم ما
يجب أن يأخذه معه في الرحلة ، ثم تحديد
خط السير ، وأوقات الاستراحة ، وأن يهيئ
ما يريحه في محطة الوصول ، وهكذا مما
يجعل الأمر يسير بسهولة ويسر . ولا بد أنه
قد كتب ، لرحلات سابقة ، قائمة بما يحتاجه
من ثوابت ومن طوارئ .

قص عليّ صديقٌ رحلة له من جدة إلى
الرياض ، عانى فيها معاناة شاقة ، لم يضع
خطة كان بالإمكان بإذن الله ، أن تعفيه مما

عانه، وهو رجل يحمل الدكتوراه في مجال علمي كان بالإمكان أن تفيده أصول هذا العلم الذي يحتاج إلى دقة، ولكنه أحياناً كثيرة يميل إلى جانب العاطفة، وينسى تشغيل العقل، لأن تشغيل العقل يتعب ويكلف، بينما العاطفة خادم مطيع تأتي له على ما يشاء .

مشى صاحبنا من جدة متجهاً إلى الطائف عن طريق السيل الكبير، صاعداً عن طريق الريع إلى الهضبة، التي توصل إلى الطائف، ولاحظ خلافاً في إحدى العجلات، فغيرها، وصار كلما اختلت عجلة غيرها، قلت له المفروض أنك أبدلت العجلات كلها دفعة واحدة قبل هذا السفر الطويل . قال سبق أن

مشيت هذا الطريق، ولم يحدث لي شيء مما
حدث لي في هذه الرحلة، قلت له : لعل
العجلات حينئذ كانت غير مستهلكة .

وتفصيل رحلته تلك كانت مؤلمة، لما
تعرضت له زوجه من ازعاج في هذا الطريق
الصحراوي الطويل، مما اضطرهما أن يكونا
تحت رحمة العابرين، واضطراره في بعض
المراحل أن يترك زوجه وحيدة، ليذهب
لإحضار إسعاف، ساعد على إحضاره .

ركن صاحبنا العقل جانبا، وارتاح إلى
العاطفة، التي طمأنته أنه لا داعي للتعب في
الأول، ليس هناك آلة من الآلات الحديثة إلا
وتخون المعتمد عليها في يوم من الأيام، لأن
صنع الإنسان ليس كاملا، مهما طلب

الإنسان ذلك ، وسعى إليه . لابد أن تتعرض
الآلة للنقص ، أو الخلل ، لو كان غير
العجلات قبل أن يتحرك ، لكسب راحة من
سير الرحلة على ما يرام ، ولكنه فضل
الراحة وعدم الصرف ، فلم يكسب في
النهاية راحة ولم يوفر مالا ، بل حصل التعب
والخسارة ، وتحمل معروف آخرين ، بعضهم
إنسانية منه ، خرج عن خطه ، وفي النهاية
رفض رفضا باتا أن يأخذ على تعبهِ شيئا ،
رغم أنه أنفق وقتاً وجهداً ليريح صاحبنا
وزوجه .

ركز المؤلف على الوقت ، وقيمته وأهميته ،
وكانه يعرف أن هناك من يشاركه هذا
الحماس ، وكل كلمة قالها فهي حق ، فكل

من جرب إعطاء الوقت حقه ، حمد ما فعل ،
وعضّ عليه بالنواجذ ، ونادى به .

إن مؤلفنا ، إذا آمن بشيء ، لا يكتفي
بتنعمه به وحده ، إنه يسعى جاهداً أن
يشاركه الآخرون بالتلذذ بما تلذذ به ، يسعى
أن يذيقهم السلسيل الذي ذاقه ، وعندما
يرى الاستجابة من بعضهم يفرح فرحاً
عظيماً ، لأنه كسب لفكرته مُقدراً ، ولعله
حينئذ يتذكر الأجر لمن قام بمثل هذا العمل ،
مستجيباً لمَدلول الحديث الشريف ، الذي
معناه :

« لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك
من حمر النعم » .

إنسان هذه نيته ، وهذه يقظته ، وهذا

إحساسه، وهذه درجة تصميمه، لا يتوقع منه إلا النجاح في دورته المهمة هذه، دورة القيادة والأركان .

لقد لمستُ، أيها القارئ العزيز، جانباً من جوانب هذا الباب، فعليك ألا تحرم نفسك من قراءة باقية، وستجد أن وقتك لم يضع سدى، وإنما قُضي فيما يفيد، فادع للمؤلف، ولا تنساني من دعائك الصالح، فالدال على الخير كفاعله .

لا ينسى مؤلفنا أن يؤكد لنا أن حظه منحصر في العلم، وفي الدراسة والتدريس، وفي التدريب، وأن ميدانه الفضاء، أو ما اتصل به، وليس في التجارة، بحال من الأحوال : أسهما أو مضاربات أو ما إليهما .

مع أن الإغراء حوله شديد ، وأصبح الأمر
المستغرب في محيطه ألا يضارب المرء
بالأسهم ، التي لم ينج من شركها إلا من
رحمه الله ، ويبدو أن الأسهم قد أقسمت أن
يكون ضحاياها أكثر من ضحايا أي مغامرة
في الوجود . باع أناس بيوتهم ، التي لا
يملكون غيرها ، واشتروا أسهماً ، باع آخرون
مجوهرات نسائهم ، ليشتروا أسهماً ،
واشترى أناس سيارات بالتقسيط لبيعوها
رأساً نقداً ، بنقص أكثر من عشرة بالمئة ،
ليشتروا أسهماً ، وارتفعت الحظوظ ارتفاعاً
زائفاً ما لبث أن هبط إلى قاع بحر الإفلاس ،
وأصبح المساهم يلتفت يميناً فيجد البنك
الدائن يطالبه ، ويلتفت يساراً فيجد بائع

السيارات يطالبه بالأقساط ، وكلما تأخر في
السداد ارتفع الربح ، وأمامه الآن أجار
سكن . ابتلعت الأسهم ، بفمها المفتوح على
مصراعيه ، كل ما أمامها .

قصّ عليّ ضابط في إحدى الجهات
العسكرية قصة فردٍّ ممن يعملون تحت
رئاسته ، أنه جاءه يوماً ، والأسهم في أوجها ،
وفي قمة شموخها ، يستأذنه في الخروج ،
ليذهب ليرهن بيته ، مقابل مبلغ سوف
يشترى به أسهماً . كان الضابط عاقلاً ،
بصيراً بأمور الحياة ، رد على الجندي بأن مد
إليه يده ، وقال له : أرني صك البيت ، فسلمه
إياه ، ففتح الضابط الخزانة التي بجانبه ،
ووضع فيها الصك وقفل عليه . وقال

للجندي : ارجع لعملك ، فلا خروج ولا
رهن ، ولا أسهماً . قالها بحزم وتصميم من
رئيس المرؤوس . فخرج الجندي ، وكأنه
مضروب على وجهه ، والله أعلم بما كان
يجول في صدره من دعاء على الضابط .

بعد أسبوعين أو ثلاثة ، بدأت الأسهم
تنحدر تباعاً ، وبسرعة فائقة في مرحلة من
المراحل ، واستمرت لا تلوي على شيء في
انحدارها ، كأنها دَلُوٌّ انقطع رشأؤه فهوى
إلى قاع البئر .

ابتهج الجندي لهذه الأخبار ، وحمد الله أنه
لم يدخل في فم التّنين مثلما دخل آخرون .
وعاد ليقبل رأس الضابط الذي تداركه
بلطف من الله ، وأنقذه مما كاد أن يهوي

فيه، في حفرة لا يرى قاعها، وفي غبة لا يرى قرارها، إنه وُلد من جديد، فتح الضابط باب الخزنة، وأخرج الصك، وأعطاه لصاحبه، فوضعه على صدره، وكأنه يخاف عليه أن يطير.

كم من الناس رهنوا بيوتهم، ولم يتداركهم لطف الله، وكم من الناس باع مجوهرات زوجه، وكم منهم استدان بأرباح خيالية، وكم من هؤلاء من لم يجد أحداً يأخذ على يده ويبصره. نسأل الله أن يلطف بعباده، وأن يحميهم من بعض مشاكل المجتمع الحديث، واقتصاده .

بين أمي وأخيها (١)

هذا موضوع ملأه المؤلف بالأفكار النيرة، عرضها عن طريق بوتقة ذهن والدته، حملها بكل ما يمكن أن تحمله من تحليل حياة المجتمع، جاء بصور لا يمكن أن يتم تصور المجتمع إلا بها، إنها من أسسه، وقد مرّ المؤلف بها واحدة واحدة .

بدأها المؤلف بصورة عن والدته وأخيها، وأظهرهما وهما يجتران بعض ذكريات الماضي، وصور من خلال حديثهما مقارنتهما الماضي بالحاضر، وقد أعطيا، بحق، كل زمان

(١) «عشت سعيداً» ص: (٢٦٠)

الصفة الصحيحة له ثم ثنى بنظرة الخال ،
ذات العدسة القديمة ، وهي نظرة لا تصلح
لهذا الزمان ، وأظهر ، لفخرنا ، صورة التفوق
لوالدته ، ونور فكرها ، ونبذها لوحي
العادات القديمة ، والتقاليد البالية ، وهي ما
يمجه العقل السليم . وأصرت على أن ما
تعمله هو الصحيح ، لأنه يأتي بمردود
تستطيع عن طريق توافره أن تسعد بيوتا هي
في أشد الحاجة إلى سد الرmq ، وهذا هو
الذي ارتكزت عليه في نقاشها ، فهو
حاديها ، وهو ما يشغل بالها . إنه النبل ،
والبحث عن رضى الله . لقد ذاقت عمليا ما
جعلها الله تتصور مدى الفرحة والسرور
من المتلقين ، الذين تحرص على مساعدتهم .

كانت - رحمها الله - خبيرة بالعوز والحاجة، وقهر الحال، والاضطرار إلى إرخاص الكرامة لا الدين، مقابل توفير ما يسد الرمق لأولادها ومن تعول. واليوم هي خبيرة بالجانب الآخر مساعدة المحتاج، وفك عسر المعتاز، وهي مصرة على ذلك ما ساعدتها امكانياتها. وما تفوقها على أخيها، في حججها معه، إلا توفيق من الله، لتبقى أداة ابتسام لمن عبس الوقت في وجهه .

في هذا الباب يأتي المؤلف بقصص حزينة عن أناس أمضهم الإهمال والظلم من أعز الناس عليهم، في حين أن المتوقع منهم العون والمساعدة لولا حب الذات على حساب الآخرين .

وجاء المؤلف بما يقنع أن بعض الناس لا يعرف الله ، وأن ما يظهره من الديانة لا يزيد عن المكث في المسجد ، وبمجرد خروجه يبادر إلى أذى الآخرين ، ولا يسلم بيته من أذاه ، فبوصوله إليه انقلب وحشاً ضارياً ، يكشر عن أنيابه ، وينسى أو يتناسى أن الدين المعاملة .

ويلمس المؤلف ، في هذا الباب ، بعض الجوانب المضيئة في بعض الأعمال الرسمية ، وتأخر المعاملات فيها ، ولكنه يعود فيعدل في قوله ، ويتلمس الأسباب وراء ذلك ، ويبين بعض الأعذار المقبولة في هذا الشأن . وهذه فضيلة في أخذ الحق وإعطائه ، تجعل القارئ يثق في عدم تحيز الكاتب ، وعدم سيطرة

ما قد يكون قد ترسب في ذهنه من أفكار
يتداولها العامة دون علم .

ونأتي على ما نحمده منه دائماً ، وهو
كذلك مما نتطلع إليه ، من مخزونه من
ثقافات الآخرين ، وينهي هذا الباب بالقول
المضيء ، الذي يؤكد ما شرحه . وهو قوله ،
مستشهداً بمثل صيني :

« خير للمرء أن يضيء شمعة بدلاً من أن
يلعن الظلام » (١)

(١) « عشت سعيداً » ص : (٢٦٥)

عودة إلى الشمال (١)

هذا العنوان قاصر عن أن يمثل الباب الذي تحته، ففي هذا الباب لمحة عن انتهاء الدورة، والعودة إلى شمال المملكة، أي العودة إلى تبوك. يتبع ذلك اكتشاف التغير الذي حدث في القاعدة هناك بعد غيابه عنها. وإهمال ما كان يهتم به متحمسا له ومتابعا، وستكون الصعوبة بالغة لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه في بعض النواحي، خاصة عشقه للرياضة ودورها .

يدخل المؤلف في حقائق أخرى، ومنها نقل

(١) «عشت سعيداً» ص: (٢٦٦)

صقرنا إلى الرياض من تبوك، ومن السماء
محلّقا إلى الأرض مستقراً على مكتب
ثابت، لا يفارقه إلا إلى لجنة، ثم من لجنة إلى
لجنة. بهذا سوف يفقد فروسية المقاتلات،
وسودع حقبة من عمره ألفها وألفته، ويلج
إلى حقبة هو الآن يتلمس طريقه بين دروبها،
يتجه الآن إلى إدارة الحرب الالكترونية، إنه
تحدّ جديد، يندرج تحته أمور حديثة، تستحق
أن يُصرف لها أدق قوى الانتباه واليقظة،
وما يتصل بها يتطور بسرعة هائلة، سوف
يلهث المرء ليسايرها في سيرها.

يتخلل هذا الباب حديث عن الإجازة، يبدأ
ذلك بالتخطيط لها، ثم تنفيذها حسب ما

خطط لها . وهذا أمر يشوقنا إلى ما سوف يدونه المؤلف عن السفر ، وما يقع فيه من صعوبات وطرائف ، ومن محاولة استغلال من أولئك الذين دأبوا على خداع السائحين في بلدان السياحة المطروقة . ولا ينسى الأمور الأسرية في الرحلة ، خاصة تلك التي فُرض فيها على الأسرة نقط سوداء لم تكن متوقعة ، ولكنها تدخل فيما سبق أن قلناه «السفر قطعة من جهنم» . وهذه النقط السوداء تأتي على عين السعادة التي تنعم بها الأسرة ، ولكنها تمر بسلام .

أهم ما في هذا الباب مظهر برّه بوالدته المتوقع ، ونجاحه في جلب الصحة لها عندما

عانت .

يكشف هذا الباب عما يحدثه وطء أقدام
الزمن من تغير في مظاهر الحياة عند من
تقدموا في السن من أفراد الأسرة، لقد هدّ
الزمن شيئاً من كياناتهم، فمرور الزمن
بأقدامه الثقيلة على أديم أجسامهم أنهكهم،
وقوانين الحياة تأتي كما تريد هي لا كما
يريد الناس .

أهم جانب في هذا الباب تقدّم والدته في
السن، وحاجتها إلى العناية الفائقة، ولم
يخفف من همه في هذا الجانب إلا أن سكنه
أصبح في الرياض، والرياض أقرب المناطق
إلى بلدتها، إنها إضاءة في دوّ لا تكاد ترى

نهایتہ، إنه يستطيع الآن في ظرف ساعتين
أن يكون عندها وقت الحاجة .

إن الكتاب مليء بالدروس المفيدة، وما
على القارئ إلا الأناة والتملي مما يقرأ،
واستيعاب ما يمر به . لقد ختم هذا الباب
بحادثة، حللها تحليلاً دقيقاً، فإن أردت أن
تزداد علماً، وتعتبر، فاقرأ ما كتب .

ضريبة الإهمال (١)

هذا باب يشد، لأن فيه وصف أدواء اجتماعية، ووصف علاجها، وهذه الأدوية الاجتماعية الخاطئة متوطنة، عروقتها متوغلة في التربة، تعيق السير إلى الأمام، وأحياناً تركس إلى الخلف. من أولها إهمال الالتفات إلى الصحة، والمبادرة عند الشكوى بطلب العلاج من جهة مؤهلة، قبل أن يستفحل الأمر، فيتمكن الداء، ويستحيل العلاج، أو يأتي معه عناء طويل. والمؤلف هنا يعطي مثلاً بوالدته، وجيل والدته، فقد أهملت

(١) «عشت سعيداً» ص: (٢٧٣)

صحتها، وصارت تخرج من مشكلة صحية إلى أخرى، حتى تصل إلى علة تسكت عليها فتعاني منها .

هذا والإهمال يجعل المريض يظن أن النقص جاء من الطب الحديث، ويلجؤون إلى وصفات، أو نصائح، توهم بالعلاج وهي في الحقيقة تضع خطبا جزلا على نار ملتهبة .

وتعرض المؤلف لبعض القارئین، وما يندس بينهم ممن لا يخاف الله، فيستغل ضعف هؤلاء المرضى، ويجني الأموال منهم، ويأكل مالا الحرام فيه مضاعف، ومرّ على هؤلاء القراء الذين قرؤا على والدته، وبين بالأمثلة حال كل واحد منهم، حسن النية المجتهد،

والمستغل . وهي وقفات من المؤلف مبررة ومثلة ، وفيها من الصور ما يظهر الحقيقة ، التي تعطي مدى معاناة المرضى في هذا الجانب .

جانب الخير في دم المؤلف جعله يبرز برّه بوالدته بالطريقة التي تزيد إعجابنا به ، وبما ضحى به من أجلها ، وما ضحى به ليس من السهل التضحية به ولم يغلب هذا الجانب الخير إلا لأن البر كان أقوى صوتا ، وأكبر وقعا من صوت المصلحة الشخصية ووقعها . والعنصر الزاكي يختار المرّ ليجد فيه الحلاوة المتناهية .

مأساة أمة (١)

هذا الباب مهم لأنه وقف وقفة متأنية عند غزو العراق للكويت . لقد أعطى المؤلف فيه آراء سياسية وعسكرية ، وفي العسكرية كشف عن أمور لا يستطيع غيره تبيانها ، ولا أحد غيره يتمكن من تحليلها . إن حرب الكويت كانت حرباً غاشمة ، لم يكن لها داع .

كشفت هذه الحرب عن أشياء كثيرة ، لم يكن بالإمكان كشفها ، كشفت عمن هو من رؤساء الدول العربية عميق العروبة والدين ،

(١) «عشت سعيداً» ص : (٢٨٣)

الساعي لمصلحتها، المضحى من أجلها،
وعمن هو عروبتة قشر، لا يزيد عن أن
يكون لمعة على السطح، دون جذور، ومن
هو غير النافع بل الضار! في مثل هذه
الشدائد لا ينفع إلا العقل، والسعي لمصالح
الأمة .

أيها القارئ أنت في أشد الحاجة إلى قراءة
هذا الباب، لترى ما رآه هذا الصقر بعينه مما
لم تره بعينك وقد تكون سمعت عنه .
سوف ترى كيف يصعب السهل، وكيف
يسهل الصعب، وكيف يصبح المستحيل
ممكناً . والممكن مستحيلاً .

محنة كبرى مرّت بالعرب، بينت الصادق

من الكاذب ، والمخلص من المزيف ، والنبية من الكد ، وكشفت سر بعض الأنظمة القائمة ، الصالح منها والطالح ، المفيد والضار . كانت حوادث لم يستفد منها أحد في المنطقة ، إلا من دافع عن نفسه الشر بكل سلاح ممكن ، ونجا من أن يقع في المصيدة .

في هذا الباب يبين المؤلف جانبا لا يعرفه إلا العسكريون ، الذين شاركوا في المعارك ، كانوا عيوناً يقظة ؛ تخطط وتنفذ ، كل أمر يتم بسرعة وجد ، لا نوم بل يقظة دائمة ، وكأن الأمر اختبار لما تعلّمه الطيارون ، تعلموا وتدريبوا . هذا هو اليوم الذي أعددت له .

في هذا الباب ، بعد أن تنفس الناس
الصعداء ، عاد الطيار إلى عشه ، وذهب إلى
عشقه المكين ، والدته ، لبحث عن كنه
مرضها ، وقد عرفه بعد لأي ، فإن كان ارتاح
من عناء البحث عن سر المرض ، فإنه لم
يرتح ، لأنه داء ليس له دواء يذكر ، إنه داء
«الهشهاش» ، «الرعاش» .

لماذا قبلت صغيرتي (١)

هذا الباب عجيب ، مضحك مبك . فيه
حادثة بنيت على سوء ظن ، أثرت نفسياً
على المؤلف ، لما فيها من ظلم وقسوة
وإصرار ، من شخص متسرع جاهل . اتهمته
امرأة بتهمة هو منها براء ، وقد أثبت براءته
من ذلك ، ولقد عانى منها ، وتركت عنده
عقدة نفسية أصبح معها لا يدخل
«السوبرماركت» في المملكة .

يا أبا نايف ، سلامتك ، أجر وطهور .
ذهب إلى المنطقة الشرقية للراحة ، وإدخال

(١) «عشت سعيداً» ص : (٢٩٥)

البهجة والسرور على أهله وأولاده، فتبين أنه مكتوب له في اللوح المحفوظ أن هذا الإناء الملىء باللبن السائب قدر الله له أن يُرمى فيه بحفنة تراب كدرته. كانت المنطقة الشرقية وتبوك أفضل مكانين في ذهن أم نايف، تفضلهما على المناطق الأخرى التي أقاموا فيها. الآن، لابد أنها أسقطت المنطقة الشرقية، ولم يبق في ذهنها مفضلاً إلا تبوك. أصبحت تبوك الوحيدة، ونحن مع حب الواحدة!

اقرأ القصة، ففيها المتناقضات المتعة والألم.

عودة إلى الطبيعة (١)

حب الطبيعة في دم أبي نايف ، يلحظ
جمال السماء ، وبهجة الصحراء ؛ لمعان
النجوم يشده ، وزهوة الأشجار تسره ،
ورائحة الزهور تطربه . إن لم تصادفه هذه في
طريقه يذهب إليها ، طائعاً مختاراً .

في هذا الباب يذهب إلى عمق الطبيعة ،
يتمتع بكل ما فيها من دقيق وجليل ، يرى
فيها ما قد لا يراه فيها غيره . وهو في هذه
الروح البهجة يأتي ببعض التصرفات
الحكيمة ، ورث هذا من والدته العظيمة ،

(١) «عشت سعيداً» ص : (٣٠٠)

المفكرة في كل خطوة تخطوها . ترجو من
الله الثواب . إن عنايتها تشمل الدواب .
وهناك أناس لا يعتنون بأنفسهم ، تعني
بهم ، وكأنها والدتهم الشفوق ، مثل
العمال ، فإنها لا تنسأهم ، سواء كانوا
مسلمين أو غير مسلمين ، إنها النفس
الراضية ، لا تتأخر عن أن تُرضي .

إن ذهنها ذهن مخطط ، ولهذا يجيء
عملها مرتباً . قسمت السنة أقساماً ، كل
قسم له حقه ، ومن أهم الأقسام القسم الذي
يوافق شهر رمضان ، تستقصي أحوال
الفقراء ، تمدهم بأقصى ما تستطيعه ، وهناك
قسم الشتاء ، وما فيه من حاجة الفقير إلى
الكساء والدثار ، فترفد هذا ، وتمد هذا ،

وتسعف هذا، والرضى عن نفسها و عما
تفعل يباريها، يمشي بجانبها. وهكذا، كم
من أساتذة الجامعات من يطبق أصول البحث
على أعماله، كما تفعل والدة عبدالله،
ولكنه رضى الله - سبحانه وتعالى - نور
لها طريقها، وأحسن عملها، وهداها إلى
التصرف السليم - رحمها الله رحمة
الأبرار.

مفارقات (١)

هذا باب ممتع، يجد فيه المؤلف ما يشبع قاعدة «تباها»، وسار عليها، ولم يتركها، وهي أخذ كل جميل نافع من الغرب، ولا يكفيه هذا، كعادته في حبه لنشر النفع، بل يشيعه، ليستفيد منه من يقرؤه .

إحدى المفارقات المضيئة، ذات الإشعاع الباهر، استقالة قائد القوات الجوية الأمريكية، الذي لم ير عدلا في حكم المحكمة العسكرية على قائد مجموعة حراسة أحد المواقع المعطبة، واعترض، ولم

(١) «عشت سعيداً» ص: (٣٠٦)

يقبل اعتراضه، ممن أصدروا الحكم، فاستقال
هذا القائد، وأرضى ضميره بعمل ما
يستطيع عمله، غير ملتفت للخدمة
وسنواتها، وما بناه فيها مما أوصله إلى ما
وصل إليه. إنه لم يندم، لأنه أرضى ضميره،
وهذا أمر لا يقدم عليه إلا الشجعان النبلاء
ذوو الدم الفاخر الزاكي .

يبرر مؤلفنا هذا الحدث، لأنه يرى فيه
إشعاعاً، يستحق أن يسطع في النفوس
المثلى .

ويعر المؤلف في مفارقة أخرى، ويبرزها لما
فيها من وجوه الاقتداء، وهي عن شباب
اختاروا أن يعملوا عملاً مجهداً، لا راحة
معه، وجأوا مستعدين للتعب والنصب،
وللموت كذلك، وصمموا على أن يؤدوا

واجبهم بكفاية وحماس ، ودللوا على أن عملهم متعة لهم . كشفوا هذا للصحفيين ، الذين جاؤا ليعرفوا أخبارهم ، وما يكمن خلفها ، فرجع الصحفيون لصحفهم بالإعجاب والإكبار . وأبانوا بمقدرة ما يكمن وراء نجاحهم من أسباب ؛ وأظهروا مدى حرصهم على نسيان أنفسهم بجانب نفع الصالح العام ، والإضافة إلى ما شيدته سابقون .

ويستمر المؤلف بذكر حوادث تُري عظمة نتائج العلم المتبصر ، المتغلغل في الأعماق ، ويقارنها بما يأتي به العلم الضحل ، الذي يحتاج إلى جهد ليقف صاحبه على قدميه ، حتى يستطيع أن يمر من بوابة حضارة خيرة .

القيادة مرة أخرى (١)

هذا الباب يَبْهَى موضوعه إذ اعتمد على العقل والتجربة، وقوة الملاحظة، والاستعداد الفطري، لأن القيادة عمل غير سهل، يحتاج إلى طبيعة مواتية، وموهبة مصقولة، وتنمية للكفاءة. هنا يلمس المؤلف جوانب مهمة، يأتي بها مقنعة، فما عليك إلا أن تقرأ وتتدبر .

من المبادئ التي امتدحها العلم، أن المرء قبل أن يقدم على عمل يجب أن يسبق هذا علم، ومن المضلة أن يبدأ المرء عملاً لم يسبقه علم وتفكير، والعلم كلما زاد

(١) «عشت سعيداً» ص: (٣١٢)

الخزون منه فهو منقذ بإذن الله في اللحظات
التي يحتاج إليه فيها . يأتي كأنه سمع صوت
إِسْتِغَاثَةٍ . أعطى المؤلف أمثلة في هذا الباب
للنجاح ، وألح إلى حالات إخفاق .

لا يبعد كثيراً عن أمر الصيانة ، فسرعان ما
يعود إليه ، وكأن فيه جاذبية مغناطيسية ،
ولكنه محق ، فهو صقر يرى بعينين حادتين
نافذتين . إنه مؤمن إيماناً عميقاً كاملاً بأن
حياة الفرد في الطيران والمحافظة على
المُتَلَك ، تعود ، بإذن الله ، إلى الصيانة ،
وليس بيده عصا سحرية ، ولكن في رأسه
مخ يفكر دائماً ، يراقب ويتحرى ،
ويتحسس ويتابع ، ويقترب من الأمور

بالتصاق ، فيأتي من ذلك العلمُ بمعرفة سبل
الخلل ، وتسربها أحيانا ، بنوع من الخل ، إلى
جهاز مهم .

يرسم المؤلف صوراً دقيقة لقائد السرب
الناجح ، والصفات التي يجب أن يكون
عليها ، نتيجة تجربة وعلم . وهو كفيء أن
يقف إماما في هذا ، نتيجة التجارب التي مرَّ
بها ، وكان ناجحا فيها ، باهراً في الاستفادة
منها ، فهو بهذا خير من ينصح ، والعلم
والتجربة في صدر النبيل ليستا ملكه ،
ولكنهما ملك من يطلبهما ، أو يتطلع
إليهما ، ولهذا أحب في كتابه هذا أن ينشر
ما يعلم ، ويشيعه مفصلاً ، لعل نابها

يلتقطه ، فيزيد فوق طبقاته طبقات أخرى ،
فيشمخ البناء ، ويسمق الصرح . وهذا هو ما
أوصل الأمم المتمدنة إلى ما وصلت إليه ،
سواء كانت شرقية أو غربية . العلم
والطموح ليسا ملكا لبلد بعينه .

جاء المؤلف في هذا الباب بملاحظة مهمة ،
وقد جاء بها عابرة ، وإن كانت قدمه لم
تطعه ، فوقف حائراً عندها ، وهو قائد ،
وعينه لا تغمض على القذى ، لأن الخطأ في
داخل المجموعة ، إذا أهمل ، صار مثل السوس
ينخر في الظلام ، حتى يصير هو السلطان
المسيطر . فعلى القائد أن يبادر باستئصال ما
أطل برأسه منه .

شهر رمضان ، شهر الصيام ، فيه الجوع
والعطش ، وفي هذا صحة للأجسام ، وصفاء
للأرواح ، فإذا لم يراع ما يجب فيه ضاع
الهدف ، وتاه الصائم ، واختفت المنفعة ،
والمنفعة عادة لا يجوز أن تختفي من أمر هي
عماده ، فإذا حدث هذا لسبب من الأسباب ،
حل محلها مضرة ، وهذه قاعدة ثابتة . لقد
رسم صورة مخيفة للإسراف في الأكل في
رمضان ، وفي إهدار النعم ، ويميل المؤلف على
عضد «محمد أسد» كي يسنده فيما رآه ^(١) .
أنا هنا أعطي فهرساً لكتاب «عشت
سعيداً» ، وعلى القارئ أن ينطلق منه إلى ما

(١) «عشت سعيداً» ص: (٣١٧)

يختاره ، مما لا أشك أنه سوف يفيدہ .
إِعجابي بهذه الدرر التي سطرها المؤلف في
المواقف ، التي مرّت بنا ، هي التي أمشي
بقنديل منها أمامي ، لأري القارئ معيناً من
الفكر والتجربة ، وما طرحه الذهن الواعي ،
وما غاص إليه في عمقه ، وفي عمق الإنسان ،
وعمق محيطه .

كلاهما تحبو^(١)

هذا باب أخضعه المؤلف للتأمل ، ومتابعة سير الحياة من الصغر إلى المشيب ، العربية التي ركبها المؤلف ، ليأخذنا معه فيها ، إلى الهدف الذي أراده ، هي إجراء مقارنة أقامها بين منظر والدته وابنته ، الأولى تحبو لأن الحياة أجهدتها ، فلم تعد تستطيع الوقوف ، وهي تحبو تاركة الحياة خلفها ، والثانية ابنته الصغيرة ، والحياة أمامها ، وهي تستعد أن تبدأها بالحبو ، قبل الوقوف ثم الخطو ثم السير .

(١) «عشت سعيداً» ص : (٣١٨)

لقد اختار مادة ثرة للمقارنة ، ومدخلا
مناسباً للتأمل ، والسباحة في الخيال ، يطير
في أجوائه كما يشاء ، وهو الطيار الماهر ،
العارف بالأجواء العليا . يمر المؤلف في تأمله
بمخزن الذكريات ، حيث إن أوفى صنوف
الثقافة ، التي اكتسبها عبر السنين ، منور في
أحد أركان هذا المخزن الدافئ وما عليه إلا أن
يطرق الباب ، فينفتح على مصراعيه ،
فيتناول من أحد رفوفه ملفاً من الملفات
المناسبة للأمر الذي احتاج أن يقف عنده ،
فيفتحه ، ويجد في انتظاره ما يؤكد له صحة
ما توصل إليه من قبل . ثم يعرضه أمامنا
قائلاً اسمعوا ما قال الكاتب « كوفي » في

كتابه «العادات السبع» (١) :

« نحن الذين نصنع السعادة ، الصحة
والمرض ، النجاح والفشل ، الفقر والغنى »
ومن هذا الباب المليء بالأفكار العميقة إلى
باب فيه مثل هذه الجاذبية .

(١) «عشت سعيداً» ص : (٣٢٠)

من يعلمهم السلوك الحضاري (١)

هاجس المؤلف مثل هاجس كل متعلم
متعمق في علمه، متشبع به، يضع أمام عينه
مقاييس الحضارة، والأدوات الصالحة
لاكتسابها، والاستفادة من الذين عثروا
عليها قبلنا، فتبنوها، وأكرموها، ونمّوها،
وطوروها، والحكمة ضالة المؤمن أين وجدها
التقطها .

يلمس المؤلف عندنا هنا عرقاً حساساً،
ويمشي معنا، أو نمشي معه، لنصل معاً
إلى النتائج السليمة. يتحدث المؤلف عن

(١) «عشت سعيداً» ص: (٢٣٨)

الشباب ، وعن لوم الناس لهم إذا ما أخطوا ،
وينسى الكبار أنهم وراء خطأ الصغار .
وليشرح المؤلف الأمر يأتي بالأخطاء التي
ترتكب عن طريق السيارة ، وهذا خير مثل
يؤتى به . ثم يأخذ المؤلف في الشرح ، وقد
مرّ في تعليقي على أحد الأبواب بعض الآراء
التي لعلها تتطابق مع آرائه هنا .

إن كل من وقف ، وتأمل ، يصل إلى النهاية
الواضحة الجلية ، التي وصل إليها المؤلف .
إن أبناءنا أمانة في أعناقنا ، علينا أن
نعلمهم ، وأن لا نترك الأمر لغيرنا ، علينا أن
نبدأ بتعليمهم ما ينفعهم ، في وقت هذه
الحضارة الطاغية ، المنصبة علينا بسرعة
مذهلة ، وبصفة ساحقة يجب أن نواكبها

بسرعة مماثلة، وأن نسعى إلى تعديل المعوج فيها .

إن كثيراً من أخطاء قيادة السيارة، آت من أن الشخص كبيراً أو صغيراً، تعلم قيادة السيارة من أناس لم يتعلموا ما تعلموا عن طريق مدرسة قيادة معترف بها، ومرخص لها. أغلب الناس أخذها من سائق مجتهد، رضع كل الأخطاء، ممن علمه، وكأن الأمر لا يعدو أن يكون: حرك السيارة وسر .

إن لقيادة السيارة حضارة خاصة بها. إن للسيارة حقوقاً يجب أن تُراعى لنفعها، ونفع الآخرين وإن عليها حقوقاً يجب أن تُراعى فيها سلامة الركاب والمارة. ومن أكبر

الأخطاء عندنا أن السائق، وهو على شارع طويل، ويعرف مقدماً أنه سوف يتركه عند نهايته إلى دخول شارع على اليمين، ومع هذا فهو طوال الوقت قد اتخذ يسار الشارع مساراً له، وعند نهاية الشارع يبدأ يجاهد في الدخول إلى اليمين، قاطعاً الطريق على هذا، مؤخراً هذا، مُلجئاً هذا إلى جهة ليست الجهة التي يقصدها. وخلاف ذلك عندما يسير في خط في نهايته سوف يضطر أن يغير خط سيره .

عندما يلتقي شارعان متوازيان ليتحدا معاً في نهاية الأمر وضع المرور إشارات على الأرض متدرجة، المفروض أن يسايرها هذا

من يمينه وهذا من يساره، للأسف أن السائقين لا يراعون هذا، إنهم يسرون فوقها، متجاهلين أو جاهلين دورها .

يسير المرء في شارع فرع، لا يسع إلا سيارتين، إحداهما ذاهبة والأخرى آية، فتجد السائق ملتزماً الخط الأيمن، وعند اقترابه من شارع يعترض، فالمفروض أن يبقى على اليمين حتى يتوسط هذا الشارع العرضي (حرف تي)، وبدلاً من ذلك يدخل على يسار الشارع الذي هو فيه، ومدخله هذا خلاف النظام، لأنه طريق الآتي، وقد رأيت أكثر من حادث تصادم حدث بسبب هذا، آخرها حادث قريب من شارع العروبة

في الرياض ، رأيت سيارة شحن داخلية من شارع فرعي إلى شارع رئيس ، ورأيت سيارة صغيرة متجهة من الشارع الرئيس إلى الشارع الفرعي بسرعة ، آخذة يسار المدخل ، فجاءت الصدمة قوية ، أعدمّت السيارة الصغيرة ، وتأثر من بداخلها .

تحدثت مع صديق ، ركبت معه ، عن هذا الخطأ ، وقد ارتكبه وأنا معه ، وهو من الذين لا يقرون بالخطأ ، ولو كان أوضح من عين الشمس ، فقال لي :

إنني أرى أول الشارع ، فلو رأيت سيارة قادمة ابتعدت عنها . وأخذت أجادله ، ولم أطلع بنتيجة ، وقد كرر الحادثة مرة أخرى .

« كم تعلم في المتبلم يصبح ناسي » !!
لاحظت أن سائقي ، الذي تعلم القيادة عن
طريق آخر مجتهد ، يرتكب أخطاءً ، منذ
ثلاثين عاما ، فأخذت أرشده إلى القيادة
الصحيحة كلما ارتكب خطأ . فامتثل الأمر ،
ولكني لاحظت أنه يطبق النظام عندما أكون
معه ، ولكنه يخالفه عندما يكون وحده ، أو
مع غيري !!

هناك أمور واضحة ، ومع هذا فهي لا تحظى
بالعناية اللازمة مع أغلب السائقين . لنأخذ
مثلا إشارات المرور إن بينها خطين متوازيين
لمرور المشاة ، ومع هذا يقف عليها السائقون ،
فيحرمونهم من المرور عليها ، ولا يرون

إشارة المرور عندما تضيء خضراء، ولا بد من
تنبيههم من قبل من خلفهم .
في الميادين، المعروف في كل العالم، أن من
دخل الميدان هو أحق بالسير ممن لم يدخله،
ومع هذا وأنت في الميدان يأتي سائق من
خارج الميدان وكأنه طائرة نفاثة، أو صاروخ
منطلق، وما عليك إلا أن تهدئ، وأحياناً
تقف، لأن وراءه سرب من السائقين المخالفين.

وقفز الطائر من عشه (١)

هذا باب حقه أن يُكتب بماء الذهب ، وأن
توشى جوانب أسطره بالجواهر ، وأن تلمع
بين ورقاته اللآلئ . إنه عصارة تجربة عمر ، إنه
نتيجة نظرات ثاقبة في هذه الحياة ، يلقيها
الكاتب ، وهو يمر بذاكرته على ماضيه ،
فيقتنص ما كان نافعا ، والآن وقد حمد ما
فعل جاء ، وهو الخير ، يُهدينا نتيجة تجارب
تعب عليها ، مروراً بها ، أو مراقبة لمن مرّوا
بها ، أو قرأها واقتنع بها ، والمؤلف سوسة
كتب كما رأينا .

(١) «عشت سعيداً» ص : (٣٢٥)

إن هذه الأقوال الصائبة أمانة في يد كل أب عليه أن يهديها لابنه، وحبذا لو حفظها له غيباً، كل يوم جملة، إنها مركبة موصلة، ووسيلة، بإذن الله، منجية، وأداة نفع وشفع، إنها مصدر حث على الخير، ووجاء عن الشر، إنها جامعة مانعة، حاولت أن أجد أنه ترك شيئاً، لم يتنبه له، فلم أجد. إن أقواله محيطة شاملة، مضيئة مبهجة مفرحة، عندما يفكر المرء بمراميها .

إن الكاتب وصل في عمره إلى سن النضج، فيحق له أن يعطي النصائح التي لو حجبها فقد يآثم، وعليه منا العتب، لأنه قادر على العطاء ولم يعطه، إن الوقت يمر، ووالدته تكبر، وهذا حكم الله في البشر؛

وهو نفسه يتقدم في السن ، وهذا يجعله يرى ابنه يدخل أفق الرجولة ، إنه يرى في ابنه نفسه ، التي يريد أن يغرسها فيه ، محاولا هديه إلى طرق النفع ، وإبعاده عن مزالق الزلل في زمنه ، وهو زمن اختلف عن زمن والده ، مؤملا أن تكون التربية الحسنة تصلح لكل زمان ومكان ، فمصدر الخير فيها معين لا ينضب ، وهو سلسبيل متى عرفنا كيف نوفره ، ثم نحافظ عليه .

دعونا نمر مر الكرام على ما سطر الكاتب ، أما أنت أيها القارئ الكريم وابنك فمروا عليها مرور المتأني المتأمل ، ولا شفاعاة لكما عندنا إن لم تفعلوا . إن لم تفعل فقارن بين تراخيك في واجبك وعمل المؤلف الذي

فكّر وقدر، وسبك، وتعب وجهه وجاهد،
ليعطيك، أنت وابنك، هذه الزبرجدة
الشمينة .

أخبرنا المؤلف بما دعاه إلى كتابة هذا
الباب، إن الذي دعاه إلى كتابته هو رؤية
ابنه، وقد نبت ريشه، وشفق بجناحيه بعد
أن اشتدت عضلات جناحيه، رآه يدير ظهره
لعشه، ويستعد لدخول معترك الحياة، كما
دخله والده من قبله، وكما دخله من حوله،
ومن سبقه، ومن سوف يلحقه .

وقف الأب ينظر إلى ابنه وهو يغادر، كل
ما في البيت، مما كان يخص الابن، سوف
يكون في عمق جنان الأم والأب . وسيبقى
العش في انتظار عودة الطائر، الذي راح الآن

يسبح في فضاء الله الواسع ، عند عودته
فالحا غانما ، معه أوعية السعادة والهناء
سوف يكون يوم عيد لهما . لقد زوده والده
اليوم بما يعتقد أنه إذا راعاه فسوف - بإذن
الله - يصل إلى مبتغاه .

ماذا في الزوادة ؟

فيها الدر والجوهر واللؤلؤ ، وكل ما جادت
به الأرض من ذخائر ، تبلورت مع مرور
الزمن .

أول جوهرة أهداها لابنه مراعاة فترة حياته
التي يعيشها الآن ، وهي على الأرض محدودة
بأقل السنين المعتادة لحياة البشر ، أو
متوسطها ، أو أعلى ما وصل إليه من عمر .
إذاً الهدف الصائب هو أن يعطي نفسه حقها

من فترة العمر هذه ؛ عليه أن يرعى حياته ،
وهي أمانة في يده ، فلا يضيعها بل ينفقها
فيما ينفع . وهذا من مبادئه الثابتة ، ولهذا
كان يدعو في كل قول قاله إلى القراءة ، وإلى
التعود عليها ، وإلى رشف ما في الكتب من
رحيق : علم وفن ، وعصارة ثمار . إن المرء
بالقراءة يستعير عقول الكاتبين النيرين ،
يأخذ ثمرة جهد سنين بلحظات قليلة .

الجوهرة الثانية : حثه على المحافظة على
الدين ، ففيه الوقاية من الزلل ، إذا وفق الله ،
فهو قانوننا الثابت المنظم المجرب الموصول
الحامي ، يضعنا في المكان الأوفق ، في أي
مجتمع نكون فيه ، وفي هذه النصيحة يكمن
كل ما في الدنيا من خير .

الجوهرة الثالثة : حذره من داء عضال
منتعش في المجتمعات الحديثة ، هو المغالاة إلى
أقصى اليمين أو إلى أقصى الشمال ، وفي هذا
إهمال للوسط ، لأنه بخيره لا يخدم أصحاب
الفتن ، والنوايا السيئة ، والأهداف المدمرة .
وما دامت رذيلة التطرف تسري في
المجتمعات سريان النار في الهشيم ، فلا بد أن
يفرد لها قول خاص بها ، ينبه إلى ما فيها من
جوانب مظلمة ، لا يدري المتطرف أنها
ستسلمه في النهاية إلى طريق مسدود .
فيجد أنه لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ،
والتطرف ، تسيره العاطفة ، فهو يعمي
ويُصم ، وإلا فالدين الإسلامي ، قرآناً أو
حديثاً ، يحث على الاعتدال ، وخير الأمور

الوسط .

الجوهرة الرابعة : ألمح إليها إلماحاً ، تؤكد أنه
تعود أن يتطرق إليها ، ويؤكددها في كل
مناسبة مرت في أبواب الكتاب الذي بين
أيدينا ، وهي القراءة ، الباب السحري ، الذي
يفتح على ردهات من النور والثقافة ،
وتوسيع المدارك ، ويعطي عصارات من الحكم
والتجارب ، كل هذا يهدي إليك وأنت قاعد
على كرسيك ، أو مضطجع على مقعد وثير .
أو سرير مريح ، ما خاب من قرأ ، ولا أفلح
من صد عن القراءة وهجرها . إن الكتاب
وهو على رف من رفوف المكتبة ، إشعاع يبقى
مضيئاً ، يحميك من ظلمة الجهل الدائم أو
المؤقت .

الجوهرة الخامسة : يعرض فيها على ابنه أنه
عنده تاريخ طويل لأناس سافروا إلى الخارج
لغرض نبيل ، فعادوا وهم يحملون في
جعبتهم النور والسرور ، وهذا خلاف ما عاد
به آخرون من خيبة ، ونقص حال ، عادوا وفي
جعبتهم عقارب وثعابين ، فلا هم أفلحوا ولا
هم عادوا كما ذهبوا .

إن المؤلف يريد أن يكون ابنه من القسم
الأول ، لينفع نفسه ، ويشرفَّ وطنه ، ويقوم
بخدمته على الوجه الأكمل ، وليرفع رأس
أبيه عالياً ويسعده ، لأنه بهذا يتأكد أن
تربيته لم تضع هباءاً ، وهو شعور لا يعدله
شعور ، وكل أب يبرز في حياته يسعده أن
يغلبه ابنه في التبريز .

قال رجل لابنه : ماذا تريد أن تكون عندما تكبر ؟ .

قال الابن : مثلك ، يا أبي .

قال الأب : لقد تمنيت في صغري أنني إذا كبرت أكون مثل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وها أنت تراني ، وفرق بيني وبين علي ، فرق بين الثرى والثرىا . يا بني حاول أن تكون خيراً مني أضعاف الأضعاف .

الجوهرة السادسة : لقد حث المؤلف ابنه ألا يوغل في أمر لم يعرف مدى عمقه ، ولا كنهه ، فالسباحة قرب الشاطئ أضمن للسلامة من أخطار البحر ، مثل أسماك القرش ، أو التيارات الجارفة ، إلا إذا اطمأن أنه لا شيء من ذلك حوله . قدر لرجلك قبل

الوطء موقعها .

الجوهرة السابعة : حث المؤلف أن ينتفع
ابنه بكل نافع ، وأن يتبع مساقط الكلاء ،
ومنابت العشب ، وكأنني به يحثه على
استغلال إجازات الصيف وغيرها ، ليتزود
من العلوم الجانبية النافعة ، فكل طالب
جربها حمد ما فعل .

الجوهرة الثامنة : إن عين الطيار عين صقر ،
ألم يشارك بالأمس الصقور في فضاء الله
الذي وهبه إياها ، لها ولكل طموح له أجنحة
طبعية أو صناعية ، إن الفضاء له يسبح فيه
ويمرح كيف يشاء .

هذه النظرة ، وما تعود عليه منها ، جعلته
ينطلق منها ، ليحث ابنه على فتح عينيه ،

والتمييز بين الأمور، فيأخذ النافع، ويبعد
عن الضار، يأخذ من الغرب ما نفعهم في
تقدمهم الحضاري، وما سوف ينفعنا إذا
استحسننا استعماله، ويبعد عن خضراء
الدمن ذات البريق الذي ليس تحته إلا الخواء.
الجوهرة التاسعة: الحياة ليست نمطاً واحداً
منتظماً، أو قاعدة ثابتة، فقد تقتضيه طبيعة
بعض الأمور الخروج عن القاعدة المعتادة، إلى
طريق يختاره، مما يوصله إلى هدفه بطريق
أسرع، وجهد أقل .

الجوهرة العاشرة: التاريخ يصنعه العباقرة
بأفعالهم البارزة النافعة، فليصنع قسطه من
التاريخ، وهذا لا يأتي إلا بالبروز في الميدان،
ومن المؤكد أنه لا يأتي بالكسل والتراخي .

عليه ألا يجنح إلى منحدرات الأرض،
ومطامنها، عليه أن يخالف نظام الأنابيب
المستطرفة، وهذا سهل إذا كان الدفع قويا،
يسنده عزم وتصميم. على ابنه أن يركب
الصعب مادام هناك كسب نبيل، وأن يجعل
له أفعالا متميزة، ذات مردود وطني نبيل .
ويفرحني، إذ يتحفنا بإحدى الدرر،
المتربصة في إحدى زوايا ذهنه، فيستشهد
بها على ما يقول . يأتي بقول كاتب مرموق،
هو المؤرخ البريطاني «توينبي»^(١)
« إن الحضارة هي عملية إبداع الأقلية،
وتنهار حينما يفقد الناس قدرتهم على
الإبتكار ».

(١) «عشت سعيداً» ص: (٣٢٧)

الجوهرة الحادية عشرة : الوطن يعطي أبناءه
بسخاء ، فأعد ، يا بني ، لوطنك ما أنفق
عليك ، ووف حقه ، وزد عليه ، وابذل الجهد
المتناهي فيما يوكل إليك ، وأحسن ما تُختار
له . وأعمل عقلك بكل طاقاته .

الجوهرة الثانية عشرة : حث المؤلف ابنه
على تقوى الله ، وهي رأس مال المسلم الحق ،
متى استثمر ذلك فإنه لا يخسر بحال من
الأحوال ، وما دامت هذه تجارة مضمونة
الربح فعض عليها بالنواجذ .

لقد أدى المؤلف واجبه تجاه ابنه ، وأبناء
غيره ، والعبرة بتقدير المتلقي لها ، وسيكون
اتباعها حمداً لله وشكراً على توفيقه في أن
جعل الآباء يرون فيها الرشد الذي سعدوا

باتباعه . أما من قصر بـاعه عن ذلك ، فسوف
يدرك ، بعد فوات الأوان أنه فرط في حق
الله ، وحق الوطن وحق نفسه وأسرته .
وسأترك هذا الباب إلى الباب الذي يليه ،
وقد حمله المؤلف من الجواهر ما جعله تحفة
بارقة .

المريخ والزهرة (١)

لن أكتب عما جاء تحت هذا الباب ، ولكني سأحدث لكم عن جانب من إعجابي به . لقد طبعت منه عدداً من النسخ ، وأرسلت لكل صديق عزيز عليّ نسخة منه ، أملاً في أن يجد كل منهم ما وجدته أنا فيه ، فإن كان سعيداً فسوف يزيده هذا سعادة ، وإن كان يعاني من اضطراب عائلي ، فهذه كبسولة سحرية ، تزيل الاضطراب .

امتلاً هذا الباب بالنصائح الصادقة ، وبجانب ما ترمي إليه فهي تُري مدى عمق

(١) «عشت سعيداً» ص : (٣٣٠)

التجربة، وعمق الإنسانية التي حدث
بالكاتب أن يشارك القراء في سعادة هو
فيها، وإذا عرف المرء السعادة الزوجية فإنه
- بلا شك - يتألم عندما يرى بعض من
يعرفهم، ولهم في نفسه مودة، واقعين تحت
وطأة شقاء، وهو مثل طبيب إنساني عنده
ضمير حي، وعنده إحساس خير لمجتمعهم، لا
يسعه إلا أن يجتهد في أن يعيد السعادة
لעش تعرض لعاصفة، والعواصف لا تقف
عند الزوج وزوجه، ولكنها تتعدى إلى
الأطفال، الذين سوف يشقون، وسوف
يصبغ هذا حياتهم المقبلة، والشقاء سوف
يتسلل إلى أبنائهم وأحفادهم، إن لم

يتداركهم الله بلطفه .

انتهى دوري، أيها القارئ العزيز، وجاء
دورك لترجع إلى هذا الباب، وهو يبدأ في
صفحة (٣٣٢) من كتاب : «عشت
سعيداً» .

شهادة قائد (١)

هذا باب جيد بكل ما تعني كلمة جيد ،
باب يعطي درساً لكثير من الناس الذين لهم
حظ من الأناة ، والتفكير السليم . هذه
عصارة روح امتلأت بحب الخير ، تبحث
عنه ، وتجد أن الناس أخرج ما يكونون إليه ،
وأحياناً بين طيات الشر . يأتي المؤلف بمثل
معبر ، فيُري كيف احترقت الروح الخيرة
جدر السفه والتعجل ، وعدم التفكير
العميق ، وأهل العجلة والسفه هم الذين
يسارعون إلى أول الحلول ، وإلى أقربها ،

(١) «عشت سعيداً» ص : (٣٣٢)

لأنها تريحهم من البحث والتفكير ، وهي
أحيانا تُطرب داخلهم عوامل عدم حب
الخير . إني طالما ضربتُ مثلاً بما جُبِلَ الناس
عليه ، إذا لم يهذبهم الدين ، والتربية
الحسنة ، إنهم عندما يرون مظهر شر
يسارعون إلى التحلق حوله حلقات
وحلقات ، أما إذا رأوا مظهر خير ، فإنهم لا
يلقون له بالاً ، وأحيانا يصدون عنه صدوداً .
مناظر مثل هذه نراها كل يوم ، ولا نوليها
شيئاً من الالتفات ، تصدم سيارة أخرى ،
فتقف أرتال من السيارات لترى سبب هذا
الحادث ، وليسألوا عنه ، يملؤون نفوسهم من
مناظر آلام الضيق والشدة ، ومثل هذا إذا رأوا

شخصين يتعاركان ، حينئذ تبدأ نواة التجمع
صغيرة ثم تكبر ثم تنداح ، وقد يسد
الجمهور الشارع . أما إذا رأوا رجلا يسلم على
آخر ويحييه فإنهم لا يلتفتون إليه !!

جاء المؤلف بصور رائعة لقوة عوامل الخير
عند بعض الناس ، وإعمالهم فكرهم لما يفيد
المجتمع ، وجاء بصور خلاف ذلك ، فيها نقص
مروءة ، ومثل هؤلاء يتشفون بمصائب
الناس . في القصة المعبرة ، التي جاء بها
المؤلف ما يمثل ذلك ، ولا شك أنها سوف
تشدكم كما شدتني ، ولقد رأيت في حياتي
أناساً مروا بالتجربة نفسها ، ووقف الفريقان
الموقف نفسه ، أحدهما في موكب منير

مشع ، والآخر في موكب مظلم مد لهم .

إهد نفسك قراءة القصة .

ولا تنس أن تقف وقفة تأمل في الحديث

بين الشمس والمريخ ، ولا تنس كذلك ما

سبق أن قلته عن مخزون المؤلف من الثقافة ،

لأنه هنا يؤكد ما قلته .

سَرِّفوق اليابان (١)

في ذهن المؤلف ، دائما ، تأخر الشرق الأوسط ، وهو هاجس يتابعه أينما التفت ، ولهذا لا غرو أن يروح بشيء منه هنا . اليابان لم يكن ، في يوم من الأيام ، متفوقا بالقدر الذي هو عليه الآن ، وإن كان عنده من القوة قبل الحرب العالمية الثانية ما جعله يقف ندأً للولايات المتحدة الأمريكية ، إلا إنه حُطم في نهاية الحرب ، تحطيماً ظُن أنه لن ينهض منه .

يبحث المؤلف عن سر نهضة اليابان من

(١) «عشت سعيداً» ص: (٣٣٥)

كبوته ، فيجد أنها الجودة الشاملة ، فما هي
الجودة الشاملة ؟ هي ، كما ذكرها المؤلف :
« خلو المنتج من الأخطاء ، ورضى العميل
والتطوير المستمر » .

أصرت اليابان أن تكون تحت حكم الجودة
الشاملة ، فنجحت ، ولم تنجح الولايات
المتحدة الأمريكية ، لأنها لم تصر ، ولم تدرك
مدى تأثير خطتها عليها إلا بعد وقت
متأخر .

الجودة الشاملة لا تقف عند حد إتقان
البضائع ، وتصنيعها ، وإنما تتعدها إلى كل
ما يلمس الحياة . هذا جعل المؤلف لطموحه ،
أن يجربها في حدود سلطته ، ففتح باباً رؤي

خلفه من الإثارة ما يُبهر العقول ، على الأقل
هو بهذا رمى في البركة حجراً حرك
ساكنها . ونحن نقدر له هذا العمل ،
ونشكره على ما وضع أمامنا في هذه
المذكرات . إنها تجربة يجب ألا تهمل ، أو
تنسى ، ومن أسعفه حظه فطبقها في بيته ،
فهو رابح .

دروس من الميدان (١)

في هذا الباب يأتي المؤلف بدروس عن الإدارة، ولا يقول إنها في الإدارة، وتعالج خلافاً إدارياً متفشياً، عريق الجذور. لا، إنه يدخل إلى الموضوع عن طريق جميل ممدد، إنه يدخل إلى الأمر عن طريق قصة جذابة، ينتقل فيها من مرحلة إلى مرحلة، وهو يكشف عن الطرق التي جاء منها الخلل، دون أن يشعر بذلك الناس، ويُري كيف أن أحد الناس، رغم الهزات الإدارية التي مرت به، يعيد ما سبق أن وقع فيه من خطأ.

(١) «عشت سعيداً» ص: (٣٣٧)

إقرأ القصة، وانظر كيف شرح كلمة «سبات»، لقد أحسن وأجاد، ووضع أصبعه على الأخطاء، واقترح الحلول، إنه رجل إيجابى، إذا هدم ما يجب أن يهدم، أقام مكانه ما يجب أن يحل محله .

ينتقل المؤلف من قصة إلى قصة، وكل قصة تحمل في ثناياها مظاهر خلل، ومظاهر تُري كيف يُفادى الخلل .

إن هذه الطريقة هي الطريقة السليمة لحل المشاكل، وضمان قبول الناس لما يدعو إليه، لا شيء يقنع مثل المثل الحي، وهو ما تكاد تلمسه بيدك، لأن مؤلفنا لا تنقصه الفصاحة، ولا حسن التصوير، ولا وضوح العرض، فثقافته بجانبه لا تخذه أبداً .

لقد أرانا في قصة من قصصه ، كيف تقضي
«البروقراطية» على العمل ، وتبعد الساعي
المجتهد عن الهدف ، وبلوغ الغاية ، نتيجة
التواكل والتواني ، والاعتماد على الآخرين ،
والفرحة بالأعذار التي تريحه ، ويتبين من
ذلك أنه عين الخطأ ، وأنه يساعده في هذا
التراخي ، وعدم المتابعة .

وفي قصة أخرى يُري المؤلف الفرق بين
المدير الذي يكتفي بتنفيذ ما وكل إليه ، ولا
يلتفت إلى ما قد يكون مفيداً مما حوله ، مما
يعود بالخير للآخرين . لا يلتفت إلى مواطن
الإبداع ، والتوفير والتنمية . هناك من يُوفر
وقتا يخرج فيه عن خط العمل المرسوم إلى
خط القيادة ، فيأتي حينئذ بأكثر مما يتطلبه

العمل الرسمي . و«الحر يقوقي بالبيضة» . إن هذا الأمر ليس غريباً عليه ، لقد بدأ بشيء من هذا في صفه ، عندما كان يدرس الدروس المقررة عليه ، ثم يستمع لحيز الثقافة في داخله يناديه ، ويطلب المزيد ، فيقرأ كتباً خارج المنهج ، أكثر مما في المنهج ، جاءته فيما بعد بنفع عظيم . هو الآن يفعل هذا ؛ يكمل احتياجات المدارس والمرافق الأخرى ، التي لم تقم بها جهاتها . إنه يعذر لنفسه في القيام بهذا العمل بأن هذه المدارس والمرافق داخل أرض القاعدة . فالقاعدة لها حق الشفعة ، فلم يأتيه من ذلك إلا المدح والثناء . النية الحسنة هي التي تكمن وراء هذا النجاح ، لأنها استدعت وسائل النجاح الأخرى ، وهي

الجهـد والمتابعة والسهر والتعب .
النية الصالحة متى وضعت في أرض خصبة
لا بد أن ترفس وجه الأرض ، وتخرج إلى
الوجود ، رافعة رأسها ، مستنشقة هواء ربها ،
مستدفئة بشمسه . حق لها حينئذ أن تسمق
وتعلو ، وتثمر وتطيب .

كنا في السنة الثالثة التحضيرية حسب
نظام التعليم تلك الأيام ، وهي ما يساوي
الثالثة الابتدائية اليوم ، وكان المقرر علينا في
التاريخ سيرة النبي - عليه الصلاة والسلام .
وهي لا تزيد عن ثمان صفحات ، وكان الذي
يدرسنا إياها الأستاذ أحمد حدّاوي ، أستاذ
فاضل ، فكان بعد إعطائنا الدرس الرسمي
المقرر يقرأ علينا من تاريخ الطبري عن سيرة

النبي - صلى الله عليه وسلم - ويقرأ علينا ما فيه من تفاصيل ، ولا أبالغ إذا قلت إن ما أعرفه من تفاصيل عنه - صلى الله عليه وسلم - وعن صحابته - رضوان الله عليهم - وعن وقائعه هو من تلك القراءات ، التي علقت المعلومات عنها في ذهني من تلك الأيام .

إن الأستاذ أحمد حداوي بعمله هذا لم يعطنا فقط معلومات مفيدة ثرة ، وإنما زرع فينا ملكة القراءة ، وحسن الاستماع . ولو بقي اعتمادنا على المنهج في هذا العام ، والسنوات الدراسية اللاحقة ، لما كان بقي في ذهننا إلا القليل .

القصة الثالثة تُري كيف ، بالتصرف

الحكيم، يُحوّل ما يخيف أو يخرج، منهاجا
مطمئنا مفيدا، بحسن التخطيط وجمال
العرض .

القصة الأخيرة تُري كيف يستطيع الخبير
النير المخلص أن يكشف الدرر المغمورة تحت
التراب بنفخة واحدة، من روح يقظة،
ونظرة صائبة، تخرجها من مكنها لامعة
صافية. ومثل هذا يحتاج إلى ذكاء اللواء
عبدالله وفطنته وتجربته والاستفادة منها .

إجازة مدفوعة الثمن (١)

لا ، ليست إجازة بالمعنى المتعارف عليه ، وهو ما توحي به كلمات العنوان ، إنها رحلة عمل ، إنها دورة نفع وفوائد ، إنها مناسبة للدراسة والتأمل ؛ هنا دروس عمل ، ودروس حياة . وبطلنا ، منذ أن وصل إلى مقر الدورة ، وهو فاتح عينيه ، مُسَخَّر فكره ، لجمع فضائل ومنافع .

يرسم لنا المؤلف في هذا الباب صوراً ، تجبره أحياناً أن يقارن بعض ما يراه منها بما عندنا ، ويظهر الفرق بين التقدم وبين

(١) «عشت سعيداً» ص : (٣٤٣)

القصور عنه، ويتحسر، ونتحسر معه،
ويأتي بأمور مدهشة عن مظاهر تؤكد أن
التقدم الحضاري لا يأتي بسهولة. مدينة
واحدة فيها أكثر من ثمانين جامعة ومعهد،
كلها تطرح أشجارها للبحوث، وهي فواكه
يانعة. يوحى الوصف الذي يأتي به، أن
البحوث تمشي مع الناس في الأسواق .
يكشف المؤلف عن الإبداع في سلوك
الطرق الموصلة إلى الانتاج في الدورات،
ويأتي في هذا، أحيانا، بما يدهش، حتى ممن
اعتيد منهم الإبداع، وإعمال الفكر،
واستغلال الوقت، وعدم الوقوف، ما هناك
إلا سير يتبعه سير، وهكذا حركة دائبة،
وكل أمر تراه غير اعتيادي، ويتعدى التصور

يُريك المؤلف أن قائد الدورة يُختار من بين الطلاب الوافدين إلى الدورة للتعلم، ويريك طريقة اختياره المتقنة مما يضمن نجاح الاختيار. وإذا كان كاتبنا محققاً في الاندهاش، فنحن معه، وإذا كان يهوى المقارنة، بين ما عندهم وما عندنا، فنحن معه نقوم بهذا معه بطوعنا واختيارنا، ونحاول معه أن نعرف الطريق الذي أوصلهم إلى ما وصلوا إليه .

إن الأمر ليس أمر دورة، تُلقى فيها معلومات نظرية وعملية، وليس أمر تنظيمها تنظيمًا جيدًا لتؤتي أكلها كاملاً، غير منقوص، وإنما هناك أمور اجتماعية، تصاحب الدورة، لابد أن تمشي جنباً إلى

جنب مع برنامج الدورة الرسمي . وهذا هو ما يكمل تهيئة الجو المناسب لنجاح الدورة ، وليتم به التحصيل ، وقد يكسب من هذا الجانب الخارجي ، الذي يأتي على الهامش ، من الفوائد أكثر مما يأتي من الداخل ، لهذا نظمت برامج اجتماعية . وقد مرّ الكاتب ببعضها .

عندما انتهى الكاتب من هذا الباب تمّنت أنه لم ينته . إنّ القصص من أبرز مثبتات المعلومات والصور في الذهن ، إنها لا تثبت المعلومات العامة ، والأسس والمبادئ ، التي تأتي إطاراً للفكرة ، وإنما تثبت كذلك التفاصيل الصغيرة الدقيقة ، وأحياناً تطفئ هذه على مظاهر أساس الفكرة .

إن الإحساس الرهيف لدى المؤلف يجعله يهتم بأمر المرأة عندنا وعندهم ، ولهذا نجده ينهض من مضجعه ، أو يستقيم في قعدته ، عندما تلوح مقارنة بين معاملتنا للزوج خاصة عندما يتقدم بها السن ، ومعاملتهم لها عندهم . يجد عند المقارنة ما يأتي من بعض الأزواج عندنا من طلاق أم الأولاد ، بلا سبب موجب ، ويرمي بها وأولادها خارج البيت ، ليتزوج أخرى صغيرة ، غالباً تمر بما مرت به الأولى ، يقارن هذا بمناظر مختلفة كل الاختلاف عن هذه الصورة . يرى رجلاً كبير السن ، وزوجه مثله ، وقد تدهورت صحتها مع السن ، فأصبحت مقعدة ، فتجد في الكرسي ما يساعدها على التنقل ،

للنزهة أو لقضاء حوائج البيت ، ويرى
زوجها الكهل ، ووجهه يطفح بالبشر ، يدفع
الكرسي المسافات الطويلة ببهجة وسرور
ظاهرين . يسره أن يفعل ذلك حتى لا تفقد
زوجه اليوم ما كانت تقوم به بالأمس ، عندما
كانت تسير على قدميها ، لتخدمه وتريحه ،
إنه يدفع الكرسي المتحرك ، يصعد به بعض
الدرج وينزله من بعضها ، وعلى وجهه
مسحة الرضى والارتياح والاعتراف التام
بفضلها عليه عندما كانت بصحتها ،
وخدمتها له ، ولأولاده ، إنه يرضى نفسه برد
الجميل ، المتوغل في روحه ، وإنه ليضطرب ،
ويقوم به على أنه مصدر فخر له وسعادة .
والعمل الطيب ، والروح الإنسانية التي

تدفع الإنسان الحضاري إلى مديده
للمحتاج، يساعده، ويحمل عنه بعض ما لم
يطقه. إن هناك أناساً دأبهم أن يلتفتوا
حولهم، ليسارعوا في مديد العون لمن هو
في حاجة إلى العون، أيا كان. كان المؤلف
يحمل حقيبتين، ولا بد له من ركوب حافلة،
وكان الزحام عليها شديداً، كل يريد أن لا
يسبقه غيره، ولو كان ما معه حقيبة واحدة
لهان الأمر، ولكن كان ما معه حقيبتين.
لاحظه أحد من جاء ليركب الحافلة، ورأى
استحالة ركوبه الحافلة مع هذا الحمل،
فعرض عليه أن يحمل عنه واحدة، وكأنه
إنقاذ من السماء فركب الاثنان بسهولة

ويسر ، ولم يكتف هذا النبيل بأن أوصله إلى
موقف الحافلة ، بل بقي حاملا الحقيبة حتى
أوصله إلى مبتغاه ، إلى محطة القطار .
إن هذا الرجل لا بد أنه متعود أن يقوم بهذا
العمل الإنساني النبيل ، وأنه لطيب محتده
يجد فيه لذة ، وإن مثل هذا العمل يحفر في
النفس أخاديد نبل حضاري ، تزيد في عمقها
مع مرور الأيام .

محطة جديدة (١)

ينجح المسؤول، المهيأ، في أي مكان يوضع فيه، لأن أصول النجاح مكنونة داخل نفسه، وهذا هو الحال مع اللواء عبدالله، نقل من الميدان، وهو عمل لا ينبغي عنه بدلا، إلى حقل جديد، لم يكن من اختياره، ولكن ما دام قدره أنزله إلى هذا الميدان فعليه أن يجاهد .

الإنسان المعتاد لا يتوقع منه أن يعرف عن عمل الاستخبارات العسكرية، وبعضنا لا يعرف عنها إلا القليل، قياساً على أي

(١) «عشت سعيداً» ص: (٣٥٠)

استخبارات ، وستبين أهميتها بعد الشرح في هذا الباب . المهم أن أبا نايف انتقل من حقل إلى حقل ، ونقل معه وسائل نجاحه في الميادين السابقة ، وأغلب أصول النجاح واحدة ومتماثلة ، وما على المسؤول الذي يتولى أمرها إلا أن يضيف ما يحتاج إلى إضافته ، ويبني فوق البناء القائم .

إن الذين اختاروه لهذا المنصب يعرفون عنه أكثر مما يعرف عن نفسه ، لأنهم يقفون على قمة جبل المسؤولية ، فيرون في السهل تحتهم ما لا يراه من في السهل ، ولهذا ، وهم النابهون ، يختارون عندما يختارون بثقة تامة ، وقد كان اختيارهم للواء عبدالله في محله .

لقد سار اللواء عبدالله في هذا العمل
السير الذي نتوقعه منه . لقد فتح لنا نوافذ ،
لنرى من خلالها العمل المجيد الذي يمكن أن
تقوم به الاستخبارات العسكرية ، ومن
أهمها جمع المعلومات ، وإيصالها كاملة
واضحة وبسرعة . مثل هذا يساعد على نجاح
العمل العسكري الذي تخدمه .

والاستخبارات العسكرية عين ساهرة يقظة
تحرص على دقة المعلومات ، لتطلق الأجهزة
العسكرية المختلفة إلى البناء ، والتصدي لما
قد يأتي من خلل . عين هذا الجهاز دائما على
الداء العضال : « المخدرات » رأس كل بلاء ،
وأساس كل شر ، ومنبع أذى ، حاضنة إجرام ،

واهتمام اللواء عبدالله ، ومن معه ، يدل على وعي .

والمخدرات داء حديث ، دخل المجتمعات الحديثة ، وأخذ ، كالسوس ، ينخر فيها . ومما يسعى اللواء عبدالله إلى محاربته ، التدخين ، لأنه مطية مهياة لركوب الشباب إلى حفرة المخدرات القاتلة .

في أحضان الطبيعة (١)

إن بين المؤلف والطبيعة معاهدة موثقة، ذات بنود آسرة، لا يكاد أبو نايف يذهل عن الطبيعة، مهما كانت مشاغله، وارتباطاته، لا يجذبه فقط ما فيها من جمال وجاذبية، ولكن رؤية ما فيها من تفاصيل تملؤه نشاطا، وتزيل عنه أي عناء وتعب .

إنه لا يقترب من منفسح حقل الطبيعة حتى ينحرف بزاوية حادة ليرضي نفسه وميله، وليستجيب لنداء الطبيعة الذي لا يسمعه إلا هو، ولا يفهمه إلا هو، واليوم

(١) «عشت سعيداً» ص: (٣٥٣)

عنوان هذا الباب جاء صريحاً في احتواء هذه
الكلمة عليه . هذا لأجل أن تعرف الطبيعة
نفسها ، بادئ ذي بدء ، أنه لم يخنها
بالغيب .

لنرى ما سوف يقوله عنها ، أو بها ، أو لها ،
أو عليها :

لقد خلق المؤلف بنا في هذا الباب ، لقد
صب فيه فلسفات عميقة منيرة ، وجاء
بأفكار منتقاة ، منطلقة من جذور قد ضربت
في أعماق التربة . لقد أبدع المؤلف في
التأمل ، وهو جو هيأته الخلوة في أجواء
طبيعة وجدت من يقدرها ، ويعرف قيمتها ،
ويستغلها خير استغلال .

الطبيعة عشقه الذي لا يضعف ، وهو

الذي لا يزاحم ، إنه عشق يزيد مع الأيام ،
ومع المواقع . إن له جاذبية لا يخبو أوارها ، أو
ينطفئ نورها ، إنه يندفع الآن ليتمتع بمظاهر
تلك المباهج من جمال الطبيعة ، إنه يبادر
ويندفع .

من المظاهر المتكاملة الصعود إلى أعلى
الجبال ، هناك يستطيع أن يكتشف ما لم
يكتشفه وهو على الأرض . صعوده اليوم
يختلف عن المرات السابقة ، صعوده اليوم
يشبه جلسة أمام الطبيب ، لقد كشف له هذا
الصعود أن قلبه كان مهملا ، وعليه أن يعود
للعناية به ، فهو يحتاج إلى تقوية ، وعليه أن
يؤمنها له . القلب هو الغدة الكبرى ، التي إن
توقفت نقلت صاحبها من عز الدنيا وفرحها

ومرحها ، إلى حفرة في الأرض ، يهال عليها
التراب ، فتترك الحزن خلفها .

الطبيعة علمته أنها لا تكذب ، وعليه أن
ينظر إليها بتمعن واستشفاف ، ونظرته إلى
الطبيعة ، وإلى بعض جوانبها ، يجب أن
تختلف عن نظراته السابقة . إنه اليوم قد
جرب الحياة ، فيجب أن تكون نظرته نظرة
تختلف عن نظرة من هم في سدرة عن
جوانب الطبيعة الجميلة .

الطيور التي خلقها الله لتكمل جمال
ملكوته ، أدرك الآن أن المحافظة عليها أجمل
من قتلها . الأشجار أمانة من الطبيعة عند
الإنسان ، إن لم يحافظ عليها ، فعلى الأقل

يعفيها من أذاه، يتركها «في حال سبيلها»،
فأله خير كفيل بها. إن الشجر إذا اكتثَّ
والتفَّ، فيأذن الله، يجلب المطر، فإذا زاد
المطر كثر الشجر، والتف. حياة دائرة إلى
الأبد، كل نوع يعطي الآخر الحياة بإذن الله.
لا بد أن المؤلف اليوم يتذكر، كيف، عندما
كان صغيراً، يذهب لأحضان الطبيعة،
ويفجعها فيمن كانت تحتضن من صفار
الطير، التي إذا شواها لم يستطعم منها إلا
طعم الشواء، إذ لا لحم ولا عظم .
أنا أتذكر عندما كنا أطفالاً صفاراً،
كيف كنت أساعد القصَّاب، يوم عيد
النحر، إذا جاء يذبح الضحايا لأهلي،

وبعضها وصايا قد تصل إلى خمسة عشرة
أضحية، أذكر أنا كنا نسقيها ماءً في الحوش
المجاور، قبل أن ننقلها إلى حوش الذبح، ثم
يأتي جدي أو عمي، ويسميها، ثم يقبلها
القصاب نحو القبلة، ويسمي، ويذبحها،
ونسارع بأمر منه لنطأ على أقدامها حتى لا
ترفس .

عندما يطرحون الضحية على الأرض تظن
هي أن هذه هي آخر المعاناة، لأنها لم تر
السكين من قبل . إنني لا أزال أذكر عينيها،
وقد برزتا، بعد الذبح، ولسانها قد اندلع،
وجهادها تحت أقدامنا حتى لا تنهض .
إنني اليوم لا أستطيع رؤية ذبح الخراف،

ولعل اللواء عبدالله الآن ينظر إلى صيد
الحجل والعصافير مثل نظرتي إلى الأضاحي .
إن النضج يعطي الطبيعة حقها ، ولا يتوقع
مثل هذا ممن لم ينضج بعد ، لعله في سن
معينة يتمتع برؤية الألم .

سألت مرة أحد الكبار : لماذا تحرصون على
عرض الماء على الخروف قبل ذبحه ؟ قال :
لأنه قد يكون عطشاناً فيلحقنا إثم على
ذبحنا إياه على عطش ، وسألت الجزار ؟
فقال : إن الماء قبل الذبح يساعد على فصل
الجلد عن اللحم عند السلخ ، ولا أدري أيهما
الأصح ، أو أيهما الأهم .

ينتهز المؤلف الفرصة عندما يجدها ،

فيدخل موضوعا في موضوع آخر ، ليقارن
وليصل إلى صورة تجعله ، هو والقارئ ،
يشاركان في الرأي والنتيجة ، فمثلا يربط
بين إهمال الرياضة ، وكسل العقل بالركون
إلى الراحة .

إن هذا الباب عصارة فكر ، مليء بالأنوار ،
مضيء بالأشعة الصافية . يدعو إلى التعمق ،
ويعطي الدليل على فائدة ما يدعو إليه .

عبادات (١)

المواضيع التي لا ينشغل فيها المؤلف عن الحديث عن عمله، يأتي منها إشعاع اجتماعي باهر، يجد فيها المؤلف بحبوحة يملؤها بالأفكار الشخصية الثمينة، وهذه عادة ترمي إلى إصلاح في جانب من جوانب المجتمع، والمجتمع أحياناً يأتي فيه أمور تقلقه، منها الجهل والنقص والاعوجاج، والمؤلف له نفس حرة، وروح إنسانية، ووطنية فائقة، تجعله يفكر في غيره ولغيره، كما يفكر لنفسه تماماً، ويحمل بعض الهموم التي

(١) «عشت سعيداً» ص: (٣٥٩)

يحملها مواطنوه، فإذا لم يستطع حملها معهم، جعل سعيه لأجل رضى الله، ووكّل إليه - سبحانه - الأمر .

يرفع المؤلف عمل الحسنّى إلى درجة العبادة، أليس العمل الخالص لوجه الله طاعة لله، وأليست طاعة الله من العبادة؟

ينفر المؤلف، مثل كل المستقيمين، عندما يرى التبذير، ويقتصر في قبول الدعوات على ما هو مجد، تلك التي يعود منها باسماء، لأنها هي كلها بحذافيرها باسماء، يقف عند الابتساماء، ويشيد بها، ومن أداها، ومن بثها. وهذا يدل على النفس الصافية، التي يحتضنها في تلافيف روحه. وهذا أمر يغبط عليه، ويهنأ، وهذا طبع لم

يأتيه من بعيد ، فقد نشأ عظمه ، واشتد
عضده ، وشبَّ لحمه ، على نماذج نادرة من
الحب والحنان ، والابتسامات واسعة المساحة ،
وهو ما زرعت فيه والدته وعمته سارة -
عليهما رحمة الله ورضوانه . علينا أن
نذكرهما ، فرحين ، كلما رأينا شيئاً من أفعاله
الحسنة ، وما أكثرها - والحمد لله - إن من
نعم الله على المرء أنه إذا رأى في نفسه اتجاهها
للخير غذاه وثماره وحماه ، وأن يقفل عليه في
سويداء قلبه ، ليكون دائماً منطلقاً للعمل
المضيء ، والدافع إلى التزود من الخير بالعمل
الطيب ، والقصد السليم .

إن مؤلفنا يلمح الخير بمجرد أن تبدو
بواده لدى غيره ، فتأخذه نشوة لا يحتجزها

له وحده، ولكنه يهديها لقرائه، لتنتشر،
لأنها تستحق أن تنتشر، ويكون عمل من
جاد بها قدوة يحتذى، فإن تم هذا ابتسم
مجتمع بكامله .

الأناة والصبر والتبصر والتدبر، والأمل،
وحب الخير ابتسامات مشعة، ومثلها حسن
الظن، والسعي لإفادة الناس بالنافع؛ وهذه
أمر حُفرت بعمق في ثنايا روحه، وإنه ليُهنا
عليها. ومن أحب عباد الله الطيبين أحبه
الله، وهو أكرم الأكرمين، وبيده ملكوت
السموات والأرض، والقادر على كل شيء .

إنه يعطي كل قصة يأتي بها حقها من
الدراسة، في كل جانب من جوانبها، مما
يشعرك بأنه لم يبق قول لقائل، بعد تحليله

لها، وبسطه لها؛ وهذا يدل على حرصه
لنفع الناس بما قدر أن فيه نفعاً .

جاء في هذا الباب بما هو منير، ليمتدحه،
وجاء بما قد لا يكون مضيئاً فحذر منه، وبين
الطرق التي تسلسل منها إلى المجتمع،
وأسابب ذلك، ومآتيه، ونتائجه .

بهذا العمل يؤكد أن على عقلاء المجتمع أن
يكونوا يقظين، متنبهين، غير متراخين في
حميتهم ووطنيتهم .

ولم يترك هذا الباب دون أن يختمه بقصة
رجل فقير طالما ساعده لركة حاله، وحاجته
هو وأهله وأولاده للإعانة، ولكن الجهل آفة .
لقد جاء يوماً، بعد سنوات مع أهله، وأولاده
المتعددين، يطلب مساعدة على أجار قصر

الأفراح ، لأنه نوى أن يتزوج . لنا أن نتصور
شعور اللواء عبد الله تجاه هذا الجاهل الذي
خاض في بطن مبادئ الإنسانية دون رحمة أو
حياء ، إن هذا منتهى الصفاقة واللؤم ، وسوء
الأخلاق . لم يفكر هذا الأحمق بأم أولاده
الأربعة ، وصبرها على فقره ، وكان نكران
الجميل أسرع إلى صرع روحه وشنقها . لم
يجد اللواء إلا أن يعامله بأقل عقاب ، وهو
طرده من أمامه . وقطع أي مساعدة كان
يعطيه إياها كلما استفزع به .

نعم أيها القارئ الكريم ، أنا متأكد أنك
مثلي تقول : حقا إن اللواء قادر على ضبط
أعصابه .

والاقتباس الذي يأتي به بين آن وآخر ،

أقدره وأتشوق إليه ، وقد سعدت أن وجدت
منه شيئاً في ثنايا هذا الباب ، وهو ما يدل
على سعة ثقافة ، وانتقاء لما هو صالح ومفيد .
يقول اللواء عبدالله تعليقا على إحدى
القصص الباسمة :

« تذكرت ... كلمات رائعة لكاتب
إنجليزي ^(١) : الثورة الحقيقية هي ثورة
المتفائل الذي يحيا ويموت ضمن محاولته
اليأس والانتحارية لإقناع الآخرين
بطيبتهم » .

(١) « عشت سعيداً » ص : (٣٦٠)

محاضرة عن الإرهاب (١)

إن المخدرات والإرهاب هما هاجس المؤلف ،
لأنه يرى ما يفعّلان بالمجتمعات من أذى ،
وهو رجل جُبِلَ على عدم الارتياح من الخطأ ،
ولا يستريح إلا إذا قضى عليه ونجح في
إصلاحه . يؤلمه أن يرى بؤادر هذين الشرين
يغزوان مجتمعه ، ويشعر أنه هو وأمثاله ممن
هم في موقع مسؤولية ، عليهم بذل جهدهم
في المساهمة في محاربة هذين البلاءين ، كل
بما يستطيعه في حقل تخصصه ، والحرص
على المبادرة في أول ظهور علامات هذين

(١) «عشت سعيداً» ص : (٣٦٧)

العدوين ، وعلى كل قادر على عمل ما أن لا
يهمل ، لأن الغفلة تجعل الأدوات الاجتماعية
تستشري ، فإذا استشرت صعب قطع
دابرها ، فهي مثل داء السرطان ، إذا حل
بالجسم ، فإنه سرعان ما ينتشر ويجري في
الجسم سريان الدم في مجاريه .

لقد طُلب من أبي نايف إلقاء محاضرة
عن الإرهاب ، فاستجاب ، وأخذ يعد العدة
للمحاضرة ، ويجمع المصادر ، ويراجعها ،
ويتدبر الأمر من جميع جوانبه حتى وصل
إلى ما أرضاه ، مما سوف يواجه به جمهور
المحاضرة . وما قاله لا يمكن التعليق عليه .
لأبد من قراءته في مكانه لأهميته ، ولأهمية
ما توصل إليه .

عودة للبداية (١)

طوح العمل بصاحبنا في أماكن متعددة،
ودار به على مناطق مختلفة، وكانت رحلة
طويلة عاد بعدها إلى المكان المفضل لديه،
كلية الملك فيصل الجوية، وهي النور الذي
شع أول إشعاعه على روحه. هنا الطلبة
والمدرسون والمدرّبون. هنا الفرصة للبناء،
وعرض الأفكار النافعة، التي ترمي إلى
التطور والتنمية. هنا مقر طرح ثمرة
التجارب .

كان موزعاً بين واجب العمل وواجب البرّ

(١) «عشت سعيداً» ص: (٣٧١)

بوالدته ، وقد استطاع بنيتها الطيبة أن يوفق
بين الراجبين . لقد نجح في كل منهما ، لأن في
كليهما رضى الله - سبحانه - ، ومن أَرْضَى
الله فلا يخاف دركا ولا يخشى ظلما ولا
هضما . ونام مطمئن البال ، وضمن النجاح
بإذن الله .

يفتح المؤلف لنا نافذة نرى من خلالها
والدته العظيمة ، مربية الرجال ، الصابرة ،
المكافحة ، التي لم تُلَقْ أداة الكد والكدح
حتى ناء كلكلها بالحمل الثقيل ، وأصبحت
الأمراض خدينة لها ، وأنهكتها بأهوالها ،
لقد سر أن أصبح مقره الرياض ، لتكون عينه
البارة قريبة منها ، اعترافاً بفضلها ، وتقديراً
لجهدا . هذه الأم التي تستحق أن يوقف

المرء جهده كله، ووقته، من أجل خدمتها
وراحتها. هذه الأم التي كانت تخدم القريب
والبعيد، بجزالة ورضى ومتعة. إن الوالدين
ليس لهما جزاء إلا الجنة، من رب كريم، لأن
من يعطي ليس مثل من يرد الجميل، إن من
يعطي مبتدئ، والثاني لاحق، وليس اللاحق
مثل السابق. إن إعطاء الجميل بدء التفاتة
ورده تقدير لهذه الالتفاتة، واعتراف بفضل
معطيها .

يكشف المؤلف عن سير الفكر عند جيل
والدته، وتفسيرهم لما يصيبهم في هذه
الحياة من أتعاب، وهي صورة عامة لتفكير
ذلك الجيل. إنهم يعزّون ما لا يعرفون سببه
إلى الجن والشياطين. إن مشاجب الشياطين

والجن والعين جاهزة لأن يعلق عليها ما يستعصي عليهم حله ، مسكينة هذه المشاجب الوهمية ، وما تُحْمَل من أحمال ، ومساكين هؤلاء المعلقين ، الذين يجدون راحة نفسية تفيدهم أحياناً في جانب ، ولمدة قصيرة في الغالب ، وقد تأتي لهم بما هو أشد من المرض الذي جاؤا يشكون منه .

علينا أن نتابع المؤلف وهو يتكلم عن رفض والدته لخدمة ، إنسياقاً وراء ما تعودت عليه ، ولكنها اضطرت للموافقة بعد أن حدثها الحاجة ، ومع هذا فبقي في نفسها من الأمر شيء ، ولهذا هي تريح الخادمة ملتزمة أقل الأسباب . إننا نتذكر أمثلة كثيرة تجعلنا نقول إنها ظاهرة ذلك الجيل .

بعد أن تحدث المؤلف عن والدته الكريمة ،
وهي من أولى التفاتاته ، ثَنَّى بالحديث عن
العمل ، وأخبرنا عنه ، وعما أدخله فيه ،
وعما تابعه ، وعما جنى منه . إنه لا يدعي ،
إنه يعطينا التجارب في صرة كاملة . إنه
يجعلنا نعيش معه في تجاربه ، ونحن نعرف ،
قبل أن يقول ، مدى حرصه في جعل من
يعمل معهم ولهم في غاية الصحة ، وعماده
دعوة الإقبال على الرياضة ، وهي مفتاح
خير ، لا أحد يذمها ، بل يمدحها كل من وفقه
الله للمداومة عليها ، وعدم السماح للملل
أن يتسرب إليه .

فرضت على نفسي المشي يومياً على الأقل
نصف ساعة ، ساعدني على هذا عملية

الركبتين اللتين أجريتها لهما ، وجعلت
الرياضة فرضاً مثل فرض ذهابي إلى العمل ،
وحتى أضمن عدم ختل الملل لي ، لجأت إلى
التحصن منه بطرق متعددة ، من ذلك الحرص
على أن أجد رفيقا متحمسا مثلي ، وقد لقيت
من بين زملائي الوزراء ، ولم ننه الوقت في
يوم من الأيام دون أن نزيد بحجة أو أخرى ،
ومع رفيقي الحبيب جوال عن طريقه يأتي
بالمعلومات التي نحتاجها مما جر الحديث
إليه ، ولا يعسر عليه شيء من المعلومات
التي نطلبها ، فسرعان ما تأتي عن طريق
«القولقة» ، طائعة مختارة وافية كافية .

ولكن هذا الزميل ليس دائما متواجداً ،
فأستعيز عنه بالسماع للقرآن الكريم ،

قراءة الشيخ الحذيفي ، والجوال بهذا يؤكد ما أقوله دائما عنه ، إنه نعمة جلّلى أنعم الله بها علينا . أتعجب كيف كنا نعيش بدونه قبل أن يدخل حياتنا ، ويحتل منها كل فساح ، برضى منا ، وترحيب .

إن الوقت بهذه الطريقة يمر دون أن أنظر إلى الساعة ، لأنني سعيد في هذه اللحظات ، وصدق المثل العامي الذي يقول :

« المشتهي يقطع المستوي »

وليعلم القارئ إن لم يكن يعلم ، أن المستوي هو دوّ شاسع ، في صحراء في نجد ممتدة ، قطعها قد يكون فيه الهلاك في الزمن القديم .

لقد أطلت في الحديث عن هذا الباب ، وما تركت منه أكثر مما أتيت به . والموضوع في

الصميم للخطة التي اتبعها المؤلف في عمله
في الكلية، فلا يشفي الغليل إلا العودة إلى
ما هناك من مبادئ هي مصدر من مصادر
الاقتداء والنجاح .

الجميل في الأمر أنك تجد إتقاناً في بعض
المواقف غير المعتادة التي يقابلها، فيجد لها
الحل، بل إن منها أحياناً ما يوحى بعقريّة،
لأن أمور الحياة ليست كلها تأتي في قالب
يطبق على الناس جميعهم، إن التنشئة
والتربية والعادات والتقاليد في المجتمع،
وحالات الأسر، تستوجب أن يكون هناك
حالات يخرج المسؤول فيها عن الحالات
المعهودة، إلى خط يبتكره، لتلبسه هذه
القضية المنفردة .

الزيارة الأولى (١)

هذه زيارة قصيرة لواحدة من أرقى الكليات الجوية في العالم ، مقرها في « كرونول » في بريطانيا . جاء لزيارتها اللواء عبدالله مع عدد من منسوبي الكلية الجوية في الرياض ، واطلعوا على إنجاز باهر تتبعوا خلال هذه الزيارة خطوات إتقان في العمل في هذا الجانب المهم من حياة الطيار المؤمل في إتقانه للعمل ، وهي تهيء لعمل قيادي في المستقبل .

في هذه الرحلة تتبعوا بانتباه تام الخطوات

(١) «عشت سعيداً» ص : (٣٧٩)

التي تبدأ بدخول الطالب ، وتمر على ما يمر
عليه بعد ذلك ، من تمارين مدروسة بإتقان ،
تتبع المؤلف البرنامج يوما بعد يوم ، وقارن ،
ووفى الموضوع حقه .
وما عاد إلا بعد أن كسب لطلاب كليته
قبولا في هذه الكلية .

التغيير والتطوير (١)

هذا الموضوع ليس سهلاً ، ولا بد أن يبدأ به تدريجاً ، وقد بدأ هذا التطور والتغيير في الكلية ، وأهم خطوة تختار للبدء هي النظرة في المناهج ، ويتلو ذلك الإتيان بمحاضرين ، والتعاقد مع جهات علمية ، تساهم فيما الكلية مقدمة عليه من المشاريع . وتنتقل الكلية من أمر لتلج في أمر آخر .

وقد يفاجأ القارئ باهتمام اللواء عبدالله ، في خضم عمله ، في أمر التدخين ، واللواء ينظر إليه على أنه آفة من الآفات التي

(١) «عشت سعيداً» ص : (٣٨٥)

يرفضها العقل ، وينبذها المنطق ، ومع هذا
يقدم على هذه العادة مغمض العينين ، رغم
علمه بمساوئها ، وأهمها إضرارها بالصحة .
وهي من جانب نفسي تهز الثقة بالمدخن ،
الذي يعرف الضرر جيداً ، ويقدم عليه .

ثقافة الوحدة (١)

هذا الباب مكمل للباب الذي قبله ، متميز
بكثرة الأمثلة ، التي جاءت بصيغة قصص ،
مما يجعل الفكرة ترسخ في الذهن .
إن المؤلف ، الآن ، دخل في مرحلة تختلف
عن المراحل السابقة ، وما أدخله فيها إلا
تقدمه في السن والعمل ، واختلاف العمل .
يحلل المؤلف ما واجهه في مجتمع الكلية
من استقامة واعوجاج ، وما أقدم عليه من
أعمال نجح في أن يوصلها إلى الهدف الذي
يريده ، والغاية التي كان يقصدها ، بعد أن

(١) «عشت سعيداً» ص : (٣٨٨)

خطط لذلك .

يتكلم المؤلف عن الظواهر ، وما يحتاج منها إلى تغيير ، وعن الوسائل التي التمسها لمساعدته في هذا المجال . ومدى نجاحه فيما عمله . ويستغرب من بعض الجمود والمقاومة التي تعرض لها ، وعدم الحماس عند بعض الناس لما كان يعرضه . ولو أنه في مؤسسة يحكمها نظام دقيق حازم وحاسم ، لفشل في إصلاح من أريد إصلاحه ، وأفسد غيره .

يتكلم المؤلف عن فكره ، وما يرمى إليه ، ويكتب عنه ، وغايته أن يثبت ما في ذهنه من أفكار نيرة ، عليها تصل إلى منتهاها ، فتُنجح وتُنجح .

الأهداف وأهميتها (١)

مهنته طياراً علمته أن يضع هدفه الذي يقصده قبل أن يبدأ الرحلة، ويلتفت بعناية إلى دقيقتها وجليها، وما منها يحتاج إلى عناية أكثر، وما هو أولى بالاهتمام. هناك الهدف، والوصول إليه بالسرعة المطلوبة، ولكن كل خطوة لابد أن تسبقها السلامة، وتحكمها في الذهاب والعودة .

هنا يعطينا المؤلف القواعد لتلك النواحي التي يجب أن تحكم السير إلى الهدف، سواء كان ذلك في العمل، أو في الحياة عموماً.

(١) «عشت سعيداً» ص: (٣٩٤)

ويؤكد المؤلف أن من أول شروط السير في
الأمر أن يكون الهدف معقولا ، وقابلا
للتطبيق ، وأن الطريق إليه موصل .

الذكاء العاطفي (١)

في هذا الباب شرح المؤلف ما يقصده من كلمة الذكاء العاطفي بقوله (٢) :

« الذكاء العاطفي مجموعة العواطف والأحاسيس، والحدس، والشعور لدى الإنسان تجاه نفسه، وتجاه الآخرين، وتأثيرها عليه وعلى من يعمل معه، وتوظيفها بالقدر المناسب » .

من هذه القاعدة أعطانا فكرة عما دعا إليه، ورغب أن يكون لصوته صدى. إنه الآن

(١) «عشت سعيداً» ص: (٣٩٥)

(٢) «عشت سعيداً» ص: (٣٩٦)

مهتم أكثر بما يوحى به العقل والقلب ،
وجعل هذا وسيلة التحليق في الأجواء
العليا ، وبدون أحدهما يصير الطير مهيض
الجناح .

هذا من الأبواب التي يجب أن تُقرأ .

التفكير المرن وأهمية الحوار^(١)

هذا عنوان يدل على ما يجمل عن الحوار، الذي هو مقياس حضارة الأمم، ومدى عمق هذه الحضارة التي يدل عليها إتقان الحوار، والمحافظة على أصوله، لأنه عراك أفكار، واحتكاك الأفكار يقده زبد الصدق والقول الصائب .

والحوار اليوم مُسلم بفائدته، وعليه الدعوة الحديثة الآن. يأتي المؤلف فيه بالحجج القوية، والشرح الوافي. وسوف أقفز إلى أسلوب أحمد عليه، وهو الاستعانة بأقوال

(١) «عشت سعيداً» ص: (٤٠٠)

آخرين من أصحاب العقول النيرة، في
عصور قديمة. هؤلاء المفكرين قالوا أقوالاً
هي إشعاع من نور، وكأن المؤلف يدري أنني
أتطلع إلى اقتباساته المثرية، «فجبر خاطري»
بأن استشهد بعدد منها، وهو ما يؤكد سعة
علمه، وتشعب ثقافته .

يقول عن الحوار، إن الإمام الشافعي - رضي
الله عنه - يقول :

« رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيي غيري
خطأ يحتمل الصواب .

وهذا باب يُفتح على مصراعيه للحوار .
ويأتي بقول حكيم آخر، هو ابن تيمية -
رحمه الله :

«العلماء يخطئ بعضهم بعضاً، والمبتدعة

يُكفر بعضهم بعضاً» .

العلم المتكامل لا يأتي إلا بقدح زناد
الفكر، يبدو فيه ما عند المرء وما عند غيره،
تصادم الأفكار يولد الشرارة التي لا بد منها
للإضاءة، مما يجعل الفكرة تبقى حية .

كل كلمة تقال فيها فائدة للمستمع،
مهما كانت، حتى لو كانت نابية ومموجة،
فإنها على الأقل تعطي السامع فكرة عن
مسارب ذهن المتكلم، وكيف وصل إلى
حفرة البذاءة، ويعرف أسوار الحذر مما وقع
ضحية له. والحذر من أقواله، والصبر عليها
وعليه، وأخذه بالحسنى كما أمر الله -
سبحانه وتعالى: «وجادلهم بالتتي هي

أحسن» ، إن اللين ، والتفكير المرن ، كما
يقول العنوان يفتح الأبواب الموصدة ،
والصبر ظل يحمي صاحبه من وهج الأقوال
النايبة ، والتصرفات السيئة .

إن بعض الأفكار التي نسمعها من غيرنا
في الجدل ، قد لا تعجبنا ، وقد نتضايق منها
غاية الضيق ، ويدفعنا عدم اتفاقنا مع مبدئها
إلى الغضب والتصرف الأحمق ، مما نندم عليه
لاحقاً ، ولو سلكنا طريق حسن الاستماع ،
وأصول الحوار ، والتروي في استيعاب ما
يقال ، بنية الاستفادة والإصلاح ، لضماننا
الفائدة ، وإن جاءت صغيرة ، والفائدة مهما
صغرت فبركتها لا حدود لها ، إنها على

الأقل سجلت أننا كسبنا الجدل .

الإنسان مهما وصل إليه من العلم فهو لا يزال بحاجة إلى العلم ، لأن العلم بحر لا ساحل له ، وعلى الإنسان أن يقر أنه لا يزال بحاجة إلى الاستزادة من العلم ، ومن هذا التواضع يأتي الخير العميم ، وخلاف ذلك التعالي الأجوف على الآخرين . ولقد مرّ بي في حياتي ما يؤكد أن بعض الحلول للمشاكل جاء حلها من أبعد الناس عن الحل ، لتواضع حقهم من العلم ، ولكن الله يؤتي الحكمة من يشاء . ولا أذكر أنني تحدثت مع أحد ، ووجدت أنني أضعت وقتاً لم أستفد منه . الفائدة قد تكبر وقد تصغر ، ومهما

صغرت الفائدة فهي مكسب كما قلت .
إذا بلغ سمعي قول بين اثنين ، لم يكن
موجهاً لي ، وفيه نعمة أو غيبة ، إني سوف
أستفيد من سماعي لهذا الحديث بأن عرفت
نفسية المتحادثين ، وكيف جاءت إليهم
مسارب النعمة القبيحة .

كل من تكلم مبتدئاً يظن أن الحق معه ، أو
على الأقل شيء منه ، ولا يتبين مدى صحة ما
قال أو عدمه إلا بعد النقاش ، وتقلب الأمور
على وجهها بلا تحيز ، وقد تصل إلى الحقيقة
وحدك ، ولكن ثقة فيما توصلت إليه
وحدك ، ليست مثل ثقتك في آرائك بعد
نقاش مع آخرين ، وهذه فائدة الشورى .

وأهم شروط الحوار أن يُحسن المرء
الاستماع، وأن يتمعن فيما قيل، وأن يكون
هدفه الوصول إلى الحقيقة والتبصر فيما
قيل، وتقييمه، وتقليبه على أوجهه، ثم
يأتي بعد ذلك حسن سبك الفكرة .
إن الأمور في الحوار لها أصول وقواعد،
يعرفها العاقل المجرب . وقد أحسن الكاتب
في لمس جوانب الموضوع .

الثروة المهمة (١)

هذا باب قيّم مفيد فيما خصص له . خطه المؤلف بعد دراسة عميقة ، وإطلاع واسع على جوانبه في الكتب العالمية ، ومزج ما وجد ، بما توصل إليه عقلاً وتجربة ، فجاء بديعاً في طرحه ، يستحق أن يُقرأ بكامله بتمعن .

لقد وشّاه المؤلف بأفكار بعض المفكرين العالميين في عالم ناجح ، فجاء يحمل قوته في ثنايا عطفه ، لا يترك مثلاً ، يمكن أن يساعده على رسم الصورة ، التي يريد لها أن

(١) «عشت سعيداً» ص : (٤١١)

تقبل ، إلا ذكره ، وعندما يبدأ القارئ قراءة
هذا الباب تشده الأشكال التي خطها
بجدارة ، وجاء بها في أماكنها المناسبة .

يقدر المؤلف ، بلا شك ، العلم حق قدره ،
ويدرك مدى فائدته للمتعلم ، ويعيد كثيراً
من الأمور الناجحة في الأعمال إلى حسن
تخطيط التعليم ، وتنفيذ برامج بوعى ،
وحسن اختيار من يقوم به ممن هم أهل لتربية
الأجيال . يؤكد المؤلف بالمثل والأدلة أن
كثيراً من الطاقات مهمة ومجهولة ، وأن
هذا الهدر في الاستفادة من الكفاية البشرية
من شأنه أن يؤخر المجتمع . لقد تنبه غيرنا
لهذا ، وأخذ بالجانب المضيء ، فاستفاد من
الطاقات الكامنة ، فعادت للمجتمع بخير

عميم، ودفعته إلى الأمام، وهو دفع مستمر، يرتفع من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ الصاعد قمة الهدف في التطوير والنمو والتغيير، وطعم الإبداع لذيد، من ذاقه لم يقف دون أن يلتهم كل ما في الإناء .

يستشهد في إحدى المرات بقول مضيء للرئيس الأمريكي (ابراهيم لنكولن)^(١)، يدور حول ضفدع وقع في مأزق، ولم ينقذه إلا اكتشافه لقدرة كانت كامنة داخله دون أن يدري .

ويستمر في عرض تجربة الغربيين الموصلة إلى النجاح، وينتقل من صورة إلى صورة،

(١) «عشت سعيداً» ص: (٤٠٤)

وكأنه يقول لنا : « أنا لست دعيًّا ، هذا
برهاني أمامكم ، وليس الخبر كالعيان » .
بعد أن عرف ما عرف في المرحلة التي هو
فيها ، عاد بذاكرته إلى ما كانت عليه الأمور
عندما كان طالبا يمر بمراحل لم تكتمل فيها
عوامل التقدم . وهو الآن يحاول أن لا يعاني
ابن اليوم ما عاناه ابن الأمس ، إذ لا عذر
لطالب اليوم ، ولا عذر لمدرسه ، فنور العلم
وفلسفاته أصبحت معروفة ، والإمكانات
متوافرة .

البيئة (١)

عشق المؤلف لجمال الطبيعة أوصله إلى
حماية البيئة بأكملها، رأى فيها مظهراً لم
يره غيره، وإن كانوا رأوه فإنهم لم يهتموا
بأمره، أما هو فقد رأى من تحليقه في سمائه
التلوث الذي تحته يغطي الرياض، العاصمة
المحبوبة، فسارع يخبر أهل الأرض عما رآه من
السماء، وهناك من هو خير من يكتب له عن
هذا، ويستعان به، سمو الأمير سلمان بن
عبد العزيز، أمير منطقة الرياض، هو خير
من تقدم له نتيجة تفكير أدت إليه غير

(١) «عشت سعيداً» ص: (٤١١)

وَحَمِيَّة، هُوَ خَيْرٌ مِنْ يَوْضَعِ الْأَمْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ،
وَهُوَ الَّذِي يَشْرَفُ عَلَى تَخْطِيطِ الرِّيَاضِ،
وَإِبْرَازِهَا بِالْمَظْهَرِ الَّذِي يَلِيقُ بِعَاصِمَةِ الْمَمْلَكَةِ
العَرَبِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ .

صَاحِبُ السُّمُو الْمَلَكِي الْأَمِيرُ سَلْمَانُ عُرْفُ
أَنَّهُ يَقْظُ لِكُلِّ إِصْلَاحٍ، وَاعٍ لِعَمَلِهِ، مُحِيطٌ بِمَا
حَوْلَهُ، لَوْ دُعِيَ أُعْطِيَ عَمَلُهُ الْجُهْدَ وَالتَّوْجِيهَ
وَالْمَتَابَعَةَ، فَأَصْبَحَ مَا يَقُومُ بِهِ قَدْوَةً لغيرِهِ، إِنَّهُ
يَقْبَلُ الْفَائِدَةَ، وَيَبْتَكِرُ الْفَائِدَةَ، يَشْجَعُ مَنْ
يَتَقَدَّمُ بِفِكْرَةٍ مَنِيرَةٍ، وَاقْتِرَاحٍ مُفِيدٍ .

لَقَدْ أَوْصَلَ سَمُوهُ الرِّيَاضَ إِلَى مَا لَمْ
يَكُنْ بِالْحَسَنَانِ، مِنَ التَّخْطِيطِ وَالتَّوْسِعِ،
وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْ صَوَابِ الْآخَرِينَ . مُحِبُّ النَّاسِ
لِسَمُوهِ، وَهَيِّبْتُهُمْ، وَحَزَمَهُ جَعَلَتْ الْأُمُورَ

تسير باعتدال في أي اتجاه تسير فيه نحو هدف سام، وقصد نبيل .

لم يكتف المؤلف بلفت النظر إلى ما رآه من الفضاء، وهو ما قد لا يراه من على الأرض، بل ساهم باقتراح الحل، وعدد الخطوات التي رآها، ورأى أنها توصل إلى المساهمة في تنقية أجواء الرياض من التلوث، وحمايتها منه بعد ذلك. ولقد لقي رأيه قبولا .

زيارة ثانية إلى بريطانيا (١)

هذا باب مليء بالفوائد ، يصف رحلة ثانية
للمؤلف إلى بريطانيا ، ليلتحق بمركز
عسكري مرموق ، فيه نفع كبير للملتحق
به ، فوائده لا تكاد تحصى .

ياخذنا اللواء عبدالله ، ليرينا كيف تجنى
الفوائد ، لقد نفع المؤلف حبه للحركة
والنشاط ، وأعطى قوتهما داخله حقهما من
الانطلاق ، فمنذ وصوله بدأ يشبع هوايته في
تسلق الجبال ، والتمتع بالطبيعة .
رغم أن المشاركة في بعض التمارين خطيرة ،

(١) «عشت سعيداً» ص : (٤١٥)

إلا أنه أصر أن يشارك فيها هو وزملاؤه، لما فيها من فائدة لأجسامهم ومهنتهم، وفي الوقت نفسه رفع لسمعة الوطن. وبلاشك سوف يأتي من الأجانب المشاركين في هذه التمارين إعجاب، ولكنه إعجاب مؤقت، ويبقى إعجابهم بالوطن الذي أوصل هؤلاء إلى ما وصلوا إليه. إن الحديث سوف يتركز على الفريق وجنسيته لا على الأفراد.

إن الدورة عن «المغامرة»، وهذا يجعل ارتكاب الخطر متوقع، وأمرًا مسلم به؛ ولكن الأمور منظمة من أناس يفكرون في كل خطوة، ومن أهم ما يفكرون فيه السلامة، التي يجب أن تكون أكبر من حجم المخاطرة، والدروس التي سوف يخرج بها

المشارك لا تكاد تعرف حدود فائدتها .
سر النجاح في مجال مثل هذا النشاط هو
عدم التكاسل أو الخلود إلى الراحة، فرغم
سن اللواء إلا إنه كان دائما في مقدمة
المشاركين الشباب، ولو لم يفعل لضعفت
القدوة التي تدفع فريقه للأمام .
يستفيد من يشارك في مثل هذه الدورة،
ليس فقط من تنفيذ المنهج الموضوع، والخطوة
المرسومة، وإنما هناك أحاديث جانبية تأتي
منها فوائد لم تخطر على البال .
إن الفوائد تثري، والحديث يجرب بعضه إلى
بعض، فيأتي عرضا ما لم يكن بالحسبان،
ولم يخطط له، ويأتي بفائدة لا تقدر بثمن
أحيانا .

يتحدث ضابط إنجليزي عن كيف يقضون
الإجازات ، فتجد أنهم يقضونها وكأنها جزء
من النشاط المقرر للدراسة ، فيسرح اللواء
عبدالله بفكره ، فيقارن ما يفعلونه بما نفعله
نحن في إجازاتنا ، وكيف يقضي شبابنا
إجازته ، يقضيها في ردهات الفنادق ،
وجواله على أذنه طوال الوقت .

ويتألم اللواء عبدالله ، ويزيد ألمه كلما
استعاد صور الخواء ، الذي يعيش فيه شبابنا ،
ويبحث عن السبب وراء ذلك فلا يجد إلا
سوء التربية ، وضحالة التعليم .

إحدى الفكر قاداته إلى الحديث عن
التوكل ، فجاء بقصص رمزية مذهلة ، تقنع
أبلد الأذهان بأن «إعقلها واتكل» أصح من

«اتكل» وحدها، ويأتي بما لا يشك أحد أنه الصحيح، ولكن من تمكّن منه عيب، وسيطر عليه خطأ، اجتهد في أن يفسر النصوص لصالح ذلك العيب، وذلك الخطأ، ويجعل ذلك الرأي مكان القدمين، والقدمين مكان الرأس. إن الحق واضح لمن أرادَه، وسعى إليه، ولم يرد غيره. وهذا لا يأتي إلا من صاحب البصيرة النيرة، والفكر الصافي، والتربية السليمة .

هذا الباب مليء بما يؤكد سعة ثقافة اللواء، واستفادته استفادة تامة مما يقرأ. أخذه طلب الثقافة إلى دول العالم، يبحث عن الحكمة فيها. لعل هذا الباب لم يفتح نافذة واحدة فقط على ثقافة الغرب، وما

فيها من درر، وإنما فتح نوافذ. إقرأ قصة
الراهب المتكل. ان اقتباسها في هذا المكان
جاء ضربة معلم. استمع إليه وهو يتحدث
عن ثقافة الشعوب بجدارة واقتدار، وما
اقتبسه جاء في محله، ووفق فيه كل توفيق .
انتقل المؤلف بعد ذلك إلى اقتباس حكمة
سورها قلم جبران خليل جبران، في إحدى
مخاطباته، ثم استمع لأبيات أبي القاسم
الشابي، وكأن هذه الأبيات قيلت لهذا
الباب بالذات .

لا يفتأ المؤلف يقارن كلما وجد إلى ذلك
سبيلا، ومع المقارنة يأتي الألم، ومع هذا لا
ينقطع الأمل، والأمل في أن نعرف الطريق
الذي جعلنا أحسن مما نحن عليه، وقد

وصلنا إلى شيء كثير في مدة قصيرة، ولكننا لا نكتفي بما وصلنا إليه، بل إن طموحنا بعيد، والطموح إن لم ينفع لا يضر .

يفصل المؤلف في أمور التعليم والصحة، وهو محق في هذا كل الحق، ويبسط مدى أهميتهما في الغرب، وشمال الغرب، ويعطي مثلاً عابراً للعناية بالصحة، في الغرب، وكيف أن المرأة منذ أن ينشأ حملها إلى أن تلد، وبعد أن تلد، وهي محل رعاية لصيقة، لا تغفل عنها السلطات الصحية .

إن فلسفتهم منطلقة من مبدأ إنساني أولاً، ومبدأ عقلي ثانياً . إن الشخص الصحيح لا يضر أحداً، ولكن المريض، إذا لم يبادر بعلاجه، ويعتنى به، أضر بمن حوله، وكبرت الرقعة الضارة .

في إنجلترا أبواب المستشفيات مفتوحة لنا ،
ونحن طلاب . ونُقدِّم أحيانا على غيرنا إذا
كانت الحالة المرضية لا تحمل التأخير ، وفي
كل حي مستشفى يخدم أهل الحي ، ولا نقص
ولا تراحم .

عاد المؤلف من هذه الرحلة وفي جعبته
سهام خير سوف يطلقها ، وأول الخير قطرة
ثم ينهمر . لقد بادر بإنشاء ناد للغوص ،
وآخر لأصدقاء البيئة ، ويمكن أن نتصور ما
سيأتي منهما ، خاصة نادي أصدقاء البيئة .

تذكره ان كنت قرأت الكتاب ، أنه مر بنا
مثلٌ منير للحضارة ، إنه مثل مدهش حقا ،
في بلد لا تستغرب منه يقظة الضمير :
سلطنة عمان التي يتوقع منها كل خير ،
للميزات التي يتمتع بها أبنائها ، هدوء وأناة

وسير لا يقف ، بؤرة تَسَانِدٍ وتكاتف . تذكر
قصة الراعي ، حامي البيئة الهاوي لها المتبرع
برعايتها ، ذو الوطنية الحقة ، وملخص قصته
إن كنت نسيته :

افترشت أسرة سعودية على الأرض ، في
الصحراء سفرة الأكل وأخذت تتناول
غداءها ، ونهضت وتركت بقايا الأكل ،
وكان حولها راعي غنم ، لاحظ أنها لم تعط
القمامة حقها الذي يفرضه الحفاظ على نقاء
البيئة ، فنبههم إلى تقصيرهم ، ولما رأى أنهم
لم يهتموا هددهم أنه ، بجواله ، سوف يخبر
أول نقطة تفتيش يمرون بها . إنها نقطة
الضمير .

قبل المغيب (١)

نأتي الآن الخطوة التي لا بد لكل عامل في جهاز الدولة من أن يصل إليها. لقد ترجل الفارس، وألقى سلاحاً رسمياً ليمسك بسلاح آخر مختلف. ومع علم فارسنا أنه مقبل على التقاعد بعد خمسة شهور إلا أن طبيعته لم تفارقه، فاستفاد من إجازته برحلة شائقة، إلى بلد لم يكن يفكر في الذهاب إليه «كازاخستان».

استقبلته كازاخستان بترحاب شديد، وأيد مفتوحة، وصدور منشرة. وجد فيها كل

(١) «عشت سعيداً» ص: (٤٢٣)

بغيته، طبيعة جميلة، وشعب كريم، ومجال للنشاط واسع، وجد فيها الطبيعة التي يعشقها: جبال وخضرة وثلوج، ونشاط متنوع. ومرت الأيام كأنها يوم واحد .

وعاد إلى الرياض «لينفض ما بقي في الخرج»، من مشاريع، أو متابعة مشاريع، وليودع ثلاثين سنة قضاها في هذه المؤسسة المهمة، وليقارن ما كانت عليه عندما دخلها أول مرة، وما وصلت إليه الآن، وليحدد مجهوده فيما أُنجز، والمرء لا يوثق فيه أن يقيم نفسه، ولكن التقييم يأتي من حوله، ممن عمل لهم، أو معهم. وقد جاءت العواطف تترى، وطفح كيل التأثير ممن زاملهم، أو ترأسهم، أو عمل من أجلهم.

وهذه هي الشهادة الحق ، مصدر كل من عمل
بنية حسنة ، وجهد متواصل متناه ، ورغبة في
الصالح والإصلاح . الخاتمة هي التي تبقى
بعد الجهد والعطاء ، وبذل أقصى ما يتوافر
منه ، جاء التكريم من فئات متعددة ، كلها
لمست منه حناناً ، وعطفاً وفائدة .

أينما ذهب أبو نايف وجد حبيته الطبيعة
أمامه فاتحة ذراعيها ترحب به ، هذه المرة
معه إطار أسري يجملها ، ويزيد من متعتها ،
إجازة شهر ، أخذته إلى جنوب إنجلترا حيث
يدرس ابنه لدرجة الدكتوراه ، وسيقضي
هناك إجازة مثالية ، ليعود منها بنشاط يملأ
جوانحه . ولم يبق إلا يومان في العمل
الرسمي ، قضاهما في مقابلة الطلاب . أعطى

الطلاب في هذا اللقاء عصارة ما كان
يعطيهم إياه من إرشاد وتوجيه ، وتشويق
وتحذير ، كانت النصائح المخلصة تترى من
رجل محب ناضج مجرب للحياة ؛ رجل
بصيرته حادة ، بصيرة صقر ، كان يرى من
موقعه العالي ما قد لا يراه غيره ، لأن مكانه
كان هو الفضاء ، وقنن الجبال ، مع شعور
بالوطنية ، وعمق الولاء ، لا يحدهما حد ، إنه
لا يفكر في العسكري فقط ، إنه يفكر فيه
وفي أسرته وفي مجتمعه وفي محيطه ، كأنه
موكل بنفع عباد الله ، وكأنه اختير لذلك ،
وما اختير ، وإنما اختار هو هذه الفضيلة
بتوفيق الله ، لأن فيها إضافة أجر ، ممن يملك
خير الأجر ، من رب العالمين .

إِنَّ مَا قُوبِلَ بِهِ مِنْ أَحْبَائِهِ، وَمَا وُودِعَ بِهِ،
يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَمَامَ نَازِلٍ كُلِّ مَسْئُولٍ،
فَالْعَمَلُ الطَّيِّبُ لَا يُنْسَى، وَالْخَيْرُ مَشْهُودٌ بِهِ
وَلَهُ .

إِنَّ فِي هَذِهِ الْحَصِيلَةِ الَّتِي يُعْطِينَا إِيَّاهَا هَذَا
الْبَابُ قِيَمَةً، لَا تَقْدَرُ بِثَمَنِ . إِنَّ كُلَّ جُمْلَةٍ
تَعْنِي مَا وَرَاءَهَا، وَهُوَ كَثِيرٌ .

تكریم خاص (١)

هذا باب يأتي قبل آخر باب ، وفيه ما يجعله ختاماً مسكاً . في هذا الباب يذكر المؤلف تكريم مدينته «الغاط» له ، جاء هذا التكريم بلفتة مقدرة من أميرها الشيخ سعد الناصر السديري ، رجل قريب من كل خير ، رجل تقلب في مناصب مهمة ، عرفته بطبائع الناس ، وطرق معاملتهم المعاملة المنتجة . إنه محمود في عمله ، في كل منصب شرف به من قبل رؤسائه ، وهم خير من يعرف الرجال ، ويقدرهم .

(١) «عشت سعيداً» ص : (٤٣٥)

بهذه الروح ، ومن هذا المنطلق يأتي تكريم
أحد أبناء الغاط الفالحين الناجحين ، من
أميرها ومواطنيها ، ويكون تكريمه أبرز مادة
في الحفل السنوي ، الذي اعتاد هذا الأمير
المحسوب أن يقيمه لأبنائه المواطنين ، ليريهم
حصيلة ما أنجزته الدولة في تلك السنة
المنصرمة ، وما هو في الطريق إلى الإنجاز .

الغات مدينته التي شهدت مولده ، ومعاناته
وهو صغير ، ومعاناة أسرته ، تراه اليوم عائداً
إليها وقوس النصر على رأسه . وهذا التكريم
هو تكريم لمن كرم مواطنيه بأن كان عمله
يرفع الرأس . إن هذا المواطن لم يقطع في يوم
من الأيام صلته بمسقط رأسه ، واليوم هو جزء
من أيام الصلة ، وعدم الانقطاع .

جاء بطلنا اليوم منتعلاً ليحرم قدميه من
تقبيل أرض الغاط، كما كان يفعل عندما
كان صغيراً صباحاً ومساءً، إن التراب قد
اختفى، وحل محله طرق ممهدة ومسفلتة. لم
يعد هناك ذاك التراب «زبّادي الرائحة»
مسكي النكهة، ذاك التراب الذي طالما شقق
حصاه قدميه، وعمل فيهما أخايد تدمي .
صاحب السمو الملكي الأمير سلمان،
الرجل النابه، المقدر للرجال، لم يترك الأمر
يمر دون التفاتة منه حانية، يقدرها اللواء
عبدالله حق قدرها، لقد تشرف اللواء بمقابلة
سموه، وأسمعه سموه ما سرّه. والوقت
الطويل الذي قضاه مع سموه يدل على أن
بين الاثنين ما ينفع، خاصة عندما نعرف

قيمة الوقت عند سموه، فهو مع الناس منذ الصباح الباكر، ولا يخرج قبل أن ينجز كل ما أمامه. يعرف سموه - حفظه الله - كيف يقسم وقته، ويعرف كيف يحافظ عليه. يستغرب الناس كيف يستطيع سموه القيام بكل الأعمال التي يقوم بها، بدون تباطؤ أو تأخير. السرف في هذا تقديره للوقت، وحسن استغلاله. عرف سموه قيمته، فسمح للوقت أن يساعده على إنجاز خطته، ولم يترك الوقت يفلت منه .
أدام الله عليه توفيقه .

يوم مختلف (١)

هذا مسك الختام في أبواب الكتاب . لقد بدأ أبو نايف يشعر بالحرية ، ويتصرف في وقته كيف يشاء ، ويدير حياته الوجهة التي يرضاها . لقد أصبح اليوم سيد نفسه ، سيد وقته ، سيد تحركه وسكونه .

بدأ أبو نايف يتعرف على محيطه الجديد ، بعين جديدة ، فقد بعض الأمور ، ولكنها ليست ذات بال عندما كسبه الآن ، جلبت هذا كله حرية التقاعد . بدأ يرتب أموره الخاصة من جديد ، بدأ يقوم بما يقوم به

(١) «عشت سعيداً» ص : (٤٣٧)

آخرون له، بدأ يجد المتعة في عمل جديد،
ونشاط جديد.

بدأ يلتفت إلى بعض الأمور التي لم يكن
يلتفت إليها؛ إما لأن غيره كان يكفيه
مؤونتها، أو أنه كان يعدها في درجة ثانية لا
وقت عنده لها. بدأ يرى أشياء لم يكن يراها
من قبل، ويتعرف على أشياء لم يكن يعرفها
من قبل.

لقد وجد في حفيدته مثلاً، وهي لم تتجاوز
سن الثالثة، كنزاً من السعادة، ووجدت هي
فيه مثل ذلك. ملأ حياتها وملأت حياته.

بدأ بعالم الحاسب المحمول، الساحر،
الطاغية، ملتهم الوقت، عازل الأفراد عن
محيطهم. أخذ هذا الجهاز، واندمج معه،

ولم ينبهه إلى أنغماسه فيه إلا ناقوس خطر
صحي ؛ دق وبصوت عالي .

في هذا الباب الختامي أعطانا لمحة عما دعاه
إلى كتابة هذا الكتاب ؛ كان يحس أن عليه
ديناً لوطنه الذي أوصله إلى ما وصل إليه ،
وأن أقل رد لهذا الجميل هو كتابة تاريخ
حياته ، وهو في الحقيقة تاريخ الوطن في هذه
الحقبة .

وأثناء حديثه عن هذا تأبى معلوماته
المخزونة ، إلا ، كما عودتنا ، أن تطرق الباب ،
وتطل برأسها ، لتؤكد حقيقة تصلح أن يؤتى
بها في هذا المجال ؛ فيستقي من مذكرات
السيدة « هيلاري كلينتون » ، في ذكرياتها في
كتابها : « تاريخ عشته » ، فيروي قصتها مع

ابنتها ووالدها، والتناقض في حياة جيلين
مختلفين .

ثم يفتح بابا على مصراعيه ، ويعطينا دفعة
واحدة، ما كان يعطينا إياه جرعات ، منجما
حسب الوقائع والتواريخ ، وهو حبه للقراءة ،
والحث عليها ، وكيف أنها الوسيلة لمعرفة
مختلف الأفكار والآراء . ثم يدخل من هذا
الباب إلى عيوب هذا القرن ، ويتحدث عن
الصراعات وأسبابها ، والإرهاب ، وما هو ،
وما وراءه . ويتحدث عن الاقتصاد ، وأثره
على البلدان والشعوب ، ولعل هذا الباب
كان مقالا ، كان ينوي نشره ، أو محاضرة
كان ينوي أن يلقيها ؛ فأثر مع نشره أن
يحتويه كتابه هذا .

ثم مرّ مرّ الكرام على جزء من برنامجهم
اليومي، ومما يجذبه من مظاهر الطبيعة
وجمالها .

يركز على التعليم، وهو موضوع لا يكاد
يتركه حتى يعود إليه، وكأن فيه قوة
مغناطيسية تشده، أقوى من أي مغناطيسية
موضوع آخر. ولا يلام على ذلك، بل
يُشكر، فالتعليم هو الأداة التي تدور على
الناس تسرج قناديل الضياء لديهم .

الحدث الذي كنا نتوقع أن يأتي قد أتى،
وهو الحدث الحق، الذي إليه مصير كل حي،
لقد انتقلت أم عبدالله إلى رحمة الله، بعد
شهرين من تقاعده. ماتت بعد أن رأت ثمرة
جهدها في أعلى المنازل .

ماتت امرأة لو كان هناك لوحة شرف
للنساء المبرزات لاستحقت أن يضيء اسمها
فيها - رحمها الله رحمة الأبرار .
وهنيئاً لك ، يا أبا نايف ، ما فعلت معها ،
فقد قمت بواجبك على الوجه الأكمل ، ولن
يضيع عملك ، ولقد أشعرتنا وأنت تتكلم
عنها أنها ليست أمك وحدك ، وإنما أم كل
من قرأ كتابك ، والفخر لها لا لنا .

خاتمة

انتهت المذكرات ، وبقيت متعتها في الروح ، أبرز ما فيها النقاط التالية :

(١) قصة الحياة هذه صريحة ، سُردت بطريقة طبيعية لا تكلف فيها ، وقد جاءت سلسة ، سهلة القراءة ، وهذه من الأسباب الرئيسة لنجاح السير الذاتية .

(٢) الطريقة التي اتبعها المؤلف في السرد هي الطريقة المثلى ، التي تجعل القارئ إذا بدأ قراءتها لا يتركها حتى ينهيها ، ومجيؤها حسب التواريخ ، ومسير العمر ، تجعلها تبقى صورة راسخة في الذهن .

(٣) إنها لا تمثل حياة صاحبها وحده ، وإنما

مثل كل السير الذاتية تمثل حياة جيل
بأكمله، وبسرعة تغير المجتمعات في هذا
القرن فإن ما كتب سوف يكون مدهشا لجيل
الشباب اليوم، الذي فتح اليوم عينيه على
هجمة وسائل الحضارة الحديثة، والإمكانات
المالية المساعدة على توفير وسائل الراحة،
وأبرزها الماء والكهرباء والتليفون .

(٤) ما خرج عن السيرة الذاتية، المسرودة،
من استطراد، هو محبب ومطلوب، يعطي
تحليلا لبعض مجرى الأمور، وما يكمن
وراءها، وما ينتج عنها، هو أساس انطلقت
منه، وهي أيضا إجهاض، ينقل من حال إلى
حال. وأنا مغرمٌ بالاستطراد، وأحبذه،
وأعطيه حقه عندما أجده، وقليل من الناس

يفكر في فائدته ، ويتلمس لذته الكاملة .
٥ (ثقافة اللواء عبدالله الواسعة ، كما سبق أن ذكرت ، واضحة جلية ، تدل عليها اقتباساته العربية والعالمية ، ويدل عليها أسلوبه السلس الرصين ، وأكبر دليل على هذه الثقافة وعمقها أنه أقدم على كتابة مذكراته ، وكم من أمثاله من مهنته أقدم على هذا . إن مهنته طيار حربي مصدر شجاعة في جانب منه ، وكتابة المذكرات شجاعة أدبية في جانب آخر .

٦ (حب المؤلف للطبيعة واضح ، وهوايته نقية ، تدل على ذوق ووعي ، فلا أجمل من الطبيعة ، صنع الله الذي أتقن كل شيء ، وحرص المؤلف على بقائها نقية ، وكما

خلقها الله ، دليل على شعور عميق تجاه الطبيعة ، ولعل لقربه منها في الريف أثر على سجيته وفطرته .

ونحن نشاركه كل ما قاله عن هذا المجال . ولو كان أمامي وأنا أقرأ ما كتبه عن الشجر ، التي في شوارع المدن ، أمام البيوت ، والحرص على زرعها ، ثم الإساءة البالغة بقصها بطرق زخرفية ، مما يخرجها عن الهدف الأساس ، الذي حدده الله لها ، لرفعت يدي تحية له ، تحية حارة من القلب ، لأنه عبّر عن ألم أشعر به كل يوم عندما أرى هذه المناظر المؤلمة . إن أدواء المجتمع التي تطرق لها ، وعبّر عن رأيه فيها ، لا يتردد ذو الذوق السليم ، والإحساس الوطني أن يشاركه فيها .

كثيراً ما عاتبت أصدقائي الذين يقصون
الشجر السامق، ودوره أن يزيد الخضرة،
ويصد الرياح، ويعطي الظل . سياراتي داخل
بיתי، وأطير فرحاً عندما أرى سيارات الذين
جاءوا لصلاة الجمعة، ويضعون سياراتهم في
ظل شجر بيتي، ويمشون إلى المسجد، وهو
قريب بعيد .

ليس أدل على الحضارة المتقدمة في خطوها
من أن يوضع الشيء في مكانه، كما حدد
الله له في طبيعته . ليتنا نفكر قبل أن نتخذ
بعض الخطوات المعجلة، التي نقلد فيها دون
أن ندري عن نتائج ما نفعل .

٧) يحث المؤلف في كتابه على القراءة،
وهذا أمر لازم، لا يكاد يتركه حتى يعود

إليه ، وهي وجبة استطعمها فحمدها ،
وكالمعتاد منه ، يريد للآخرين ما أراد لنفسه .
وهي دعوة حميدة ، ألم يبدأ القرآن الكريم
«بإقرأ» .

(٨) هنا أمر يقطر نبلا ، ويهناً عليه ، وهو
وحي ثقافة عميقة ، مع توفيق الله ، وهو
معاملته لمنسوبيه معاملة تختلف عن المعتاد ،
يعاملهم بالحسنى بدلا من الشتائم والعنف ،
ونحن نهنؤه مرتين : الأولى أنه أخرج نفسه ،
ومن يقتدون به ، من أخذود كان في العمل
العسكري محفورا بعمق ، ولم يكن عندنا
فقط ، بل يكاد يوجد في معظم دول العالم ،
إلى أن بدأ الوعي السليم يغيره . أنه فكر
فيه ، ولإيمانه العميق به فرضه ، وأصر على

نفاذه، وتابعه، وناجح عنه، حتى رآه يُقْبَل،
ونحن سعداء أن صدى هذا ظهر في حفلات
تكريمه. عنصر زاكي تلاقى مع عنصر آخر
زاكي .

٩) يحث المؤلف على الأناة والتروي في
معالجة المشاكل، وعلى عدم التسرع، مما
يدعو إلى الندم فيما بعد عندما تهدأ سورة
الغضب، أو مفاجأة الأمر؛ ويترك كذلك
ندوبا لا تنسى، تحمل الحقد والبغضاء .

١٠) التفت إلى أدواء العصر القاتلة ومنها
«المخدرات» المدمرة المخربة، هادمة المجتمعات،
ناكبة الأسر، القاضية على الشباب، وهم
ثروة الوطن. وكان من حرصه على حماية
المجتمع، يبدأ بأول أسبابها، وأحدها

التدخين . وقد صدق .

(١١) الرياضة : لعله لم يشغل ذهنه ، لبناء
الأجسام والعقول ، بشيء مثل الرياضة . إنه
مؤمن بها إيمانا عميقا ، ينشئ مرافقها في أي
مكان ينتقل إليه . ويقوم بالدعاية لها ،
وعندما يكون بمقدوره أن يفرضها فإنه لا
يتأخر عن ذلك .

يعصر إمكانات عمله لينشئ للرياضة
المرافق ، ويؤمن لها الوسائل ، ويهيئ
الأوقات ، ويُزيل عن طريقها العقبات ، ولا
يقبل الأعذار ، يراها أس كل نجاح ، ووراء كل
فلاح ، وقد صدق ، فالعقل السليم في الجسم
السليم .

سوف أقف عند هذا الحد ، وأرجو أن يجد

القارئ فيما كتبت الفائدة التي أملت أن
يجدها . ولعله يشني بالفائدة الكبرى وهي
قراءة كتاب المؤلف ، فليس الفرع مثل
الأصل ، فما كتابي هذا إلا هوامش مختصرة ،
ونظرات عابرة ، أحببت أن تدل على بعض
ما في كتاب « عشت سعيداً » من جواهر
ودرر ، جعلتني أقرؤه ثلاث مرات في أول
الأمر . فلعلك ، عزيزي القارئ ، تقرأه ولو
مرة واحدة .

والله المستعان ، وهو خير معين .

الفهارس

الفهرس الأول : الموضوعات
الفهرس الثاني : الأماكن
الفهرس الثالث : الأسماء

الفهرس الأول : الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	بين يدي الكتاب
١٦	الإهداء
٢١	عن الكتاب
٢٥	مقدمة المؤلف
٤٣	صراع من أجل البقاء
٥٨	سارة
٨٠	لا يأس مع الحياة
٩٨	مجتمع القرية
١٣٣	أهداف وإنجازات
١٤١	المعركة
١٤٣	دروس
١٥٨	في ربوع المدرسة
١٧١	خطوات
١٩٥	يارب أعطني دراجة

٢٠٠	في مدرسة الحياة
٢٠٦	بداية التغيير
٢١٣	عودة إلى القرية
٢٣٤	في ربوع اليمامة الثانوية
٢٤٢	محاولات لم يكتب لها النجاح
٢٤٦	على مفترق الطرق
٢٥٣	من الدراجة إلى الطائرة
٢٧٢	في الولايات المتحدة
٢٨٦	العودة إلى المملكة
٢٩٩	أخطاء بين الأرض والسماء
٣٠٣	أهم خطوة في الحياة
٣٠٦	في ربوع الولايات المتحدة
٣١٧	عودة إلى الأهل
٣٢١	من يستثمر القروض
٣٢٣	نداء في الظلام
٣٢٥	لابد من صنعاء
٣٢٩	الموجة الأولى

٣٣١	الاستثمار في العقول
٣٣٧	القيادة
٣٦١	هل تظن بيتنا فندقا
٣٧٢	ليسوا ملائكة
٣٧٤	طلائع الصحوة
٣٧٥	الاتجاه شمالا
٣٨٦	عودة إلى مقاعد الدراسة
٤٠٧	بين أُمي وأخيها
٤١٢	عودة إلى الشمال
٤١٧	ضريبة الإهمال
٤٢٠	مأساة أمة
٤٢٤	لماذا قبلت ابنتي
٤٢٦	عودة إلى الطبيعة
٤٢٩	مفارقات
٤٣٢	القيادة مرة أخرى
٤٣٨	كلتاهما تحبو
٤٤١	من يعلمهم السلوك الحضاري

٤٤٩	وقفز الطائر من عشه
٤٦٤	المريخ والزهرة
٤٦٧	شهامة قائد
٤٧١	سر تفوق اليابان
٤٧٤	دروس من الميدان
٤٨١	إجازة مدفوعة الثمن
٤٨٩	محطة جديدة
٤٩٣	في أحضان الطبيعة
٥٠١	عبادات
٥٠٨	محاضرة عن الإرهاب
٥١٠	عودة للبداية
٥١٨	الزيارة الأولى
٥٢٠	التغيير والتطوير
٥٢٢	ثقافة الوحدة
٥٢٤	الأهداف وأهميتها
٥٢٦	الذكاء العاطفي
٥٢٨	التفكير المرن وأهمية الحوار

٥٣٥	الثروة المهمة
٥٣٩	البيئة
٥٤٢	زيارة ثانية إلى بريطانيا
٥٥١	قبل المغيب
٥٥٦	تكريم خاص
٥٦٠	يوم مختلف

الفهرس الثاني : الأماكن

(أ)

أبها : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٠

الأردن : ٣٣٠

أمريكا الجنوبية : ٣١٢

إنجلترا : ٣٤٨ ، ٥٤٩

أوروبا : ٣٣٢

(ب)

البحر الأحمر : ٣٨٣

بريطانيا : ٥١٨ ، ٥٤٢

بلدان الشرق : ٣٦٥ ، ٣٦٧

البلاد العربية : ٢١٧

بيت المقدس : ١١٧

(ت)

تبوك : ٣٧٦ ، ٤١٢ ، ٤٢٥

(ج)

جدة : ٢٥٠ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨

الجرين : ١٨٤

جنيف : ٢٢١

(ح)

الحذيفي : ٥١٦

(خ)

خريص : ٦٦

(د)

دار التوحيد : ١٧٧

الدول العربية : ٤٢٠

(ر)

الرياض : ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٧ ،

٢٣١ ، ١٣٦ ، ٢٤٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٣٦٤ ، ٤١٣ ، ٤٤٦ ،

٥٥٣ ، ٥٥٢

(س)

سلطنة عمان : ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٥٤٩

السيل الكبير : ٣٩٨

سوريا : ٣١٧

سوق السبت : ٢٣١

(ش)

شارع العروبة : ٤٤٥

الشام : ١١٧ ، ١٠٩

الشانزليزية : ٢٢١

الشرق الأوسط : ٤٧١

ساحل الشعبية : ٣٧٢

(ص)

صنعاء : ٣٢٧ ، ٣٢٥

(ط)

الطائف : ١٧٧ ، ٣٣٧ ، ٣٦٤ ، ٣٧٢ ، ٣٧٦ ، ٣٩٨

(ظ)

الظهران : ٦٦

(ع)

العراق : ١٠٩ ، ٤٢٠

عنيزة : ٥٢ ، ١٤٤

(غ)

الفاط : ٤٨ ، ٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٦٥ ، ٢٨٧ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧

(ف)

فيتنام : ٢٨٥

(ك)

كازاخستان : ٥٥١

كرونول : ٥١٨

كلية الطيران : ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٥٢٢

الكويت : ١١٤ ، ٣٣١ ، ٤٢٠

(ل)

لندن : ٢٧٢ ، ٣٠٤ ، ٤١٣

(م)

ماليزيا : ٣٦٣ ، ٣٦٨

المستوي : ٥١٦

المسجد الحرام : ٣٢٩

مصر : ٢٨٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٨

المغرب : ٣٣١

مكة المكرمة : ٢٥٠ ، ٣٧٢

المملكة العربية السعودية : ٧٢ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٣٧ ، ٢٣٤ ،

٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٢٨ ، ٣٨٣

المنطقة الجنوبية : ٣٢٤

المنطقة الشرقية : ٢٨٩ ، ٣٧٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥

(ن)

نجد : ١٧٧

(هـ)

الهند : ١٠٨

(و)

الولايات المتحدة الأمريكية : ٢٧٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٣١

(ي)

اليابان : ٤٧١

الفهرس الثالث : الأسماء

(أ)

إبراهيم الحسون : ٣٠

إبراهيم (الراوية) : ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤

أحمد حداوي : ٤٧٨ ، ٤٧٩

أحمد المبارك : ٣٠

أساتذة الجامعة : ٣٤٥ ، ٤٢٨

الآسيوية (الأسبانية) : ٤٤

أم عبدالله : ١٦ ، ٤٠ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،

١٣٦ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ،

١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢١٦ ، ٢٩٠ ، ٣٥٩ ، ٤٠٧ ،

٤٠٨ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٤٣٨ ، ٥١١

أم نايف : ١٧ ، ٤٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ ، ٤٢٥ ، ٣٣٥ ، ٣٥٤

أم سالم (الطير) : ٥٦

الأمريكان : ٣٠٧

(ب)

بسمارك : ٣٨

بهجة البيطار : ١٧٧

(ت)

تاريخ الطبري : ٤٧٨

تركي بن عبدالعزيز (الأول) : ٤٤

توينبي : ٤٦١

ابن تيمية : ٥٢٩

(ح)

حاتم طي : ٣٦٩

حصّة (أختي) : ٦٤

حصّة : ١١٢، ١١١

حمريّة (العنز) : ٦١

(خ)

خال أخي محمد : ٦٧

خال المؤلف : ٤٠٧، ١٨٢

الملك خالد : ٤٤

الشيخ الخليلي : ١٢٢

(د)

دانة : ٤٣٨ ، ٣٥٦

(ر)

الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ٤٠ ، ٨٤ ، ٢٦٤ ،

٤٧٩ ، ٤٧٨

(س)

سارة : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٨ ،

٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ،

٩٦ ، ٩٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٢٠٢ ،

٢٨٧ ، ٢٦٥

سعد الناصر السديري : ٥٥٦

سفير الصين : ٣٦٩

الأمير سلمان بن عبدالعزيز : ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٥٨

سنجر (مكنة الخياطة) : ١٢٠

سنة الصخرة : ٤٤

سنة الهزار : ١١٣

(ش)

الإمام الشافعي : ٥٢٩

شعيل : ١٢٩

(ع)

عبدالرحمن بن عبدالعزيز المانع : ١١٣

الملك عبدالعزيز : ١١٦، ٧٢

اللواء عبدالله السعدون : ٥، ٨، ٢٦، ٣١، ٤٦، ٥٨،

٧٠، ٧٣، ٧٨، ٨٠، ٩١، ٩٢، ٩٨، ١١٥، ١١٨، ١٢٦،

١٣٨، ١٤٥، ١٥١، ١٥٢، ١٦٢، ١٧٦، ١٧٩، ١٩٠،

٢١٤، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٨٣، ٣١٦، ٣٢٦، ٣٢٨،

٣٣٧، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٦،

٤٢٤، ٤٢٦، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٩، ٥٠٧، ٥٠٩،

٥٢٠، ٥٤٢، ٥٤٥، ٥٦٠، ٥٦٥

(ق)

القوات الجوية الأمريكية : ٤٢٩

(ك)

كوفي الكاتب : ٤٣٩

كلية الملك فيصل الجوية : ٥١٠

(ع)

الملك عبدالله بن عبدالعزيز : ١٨٠

عبدالله بن عباس : ٢٥٧

عبدالله الغام : ٢٤٩

عبدالله القرعاوي : ٣٠

عبدالله العلي النعيم : ٢٣٨

(م)

مارتن لوثر كنج : ٩٢

محمد احمد الشبيلي : ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠

المدرسون الإنجليز : ٢٤٩

مقتطفات من القصص : ١١٣

(ن)

ناظم الغزالي : ٢٩٦

نايف بن عبدالله : ٣١٦ ، ٣٥٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٧٠ ،

٥٥٣

النساء رياحين : ١٨٢

الرئيس نيكسون : ٢٨٥

(هـ)

هراقليص : ٣٦

هيلاري كلينتن : ٥٦٢

(و)

والدة الملك خالد : ٤٥

والد اللواء عبدالله : ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ،

١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٣٠ ، ٢١٧ ،

٣٥٩

وسم على أديم الزمن : ٦٤

ووترقيت : ٢٨٥

ويلسون مانديلا : ٩٥

نبذة عن المؤلف

- * ولد عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م) في مدينة عنيزة بالقصيم بالمملكة العربية السعودية .
- * جزء من دراسته الابتدائية بعنيزة وجزء منها والثانوية في مكة المكرمة .
- * حاصل على الليسانس من دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٣٧١هـ .
- * حصل على الدكتوراة في التاريخ من جامعة لندن عام ١٣٨٠هـ .
- * عين في العام نفسه أميناً عاماً لجامعة الملك سعود ثم وكيلاً لها .
- * درّس تاريخ المملكة العربية السعودية لطلاب كلية الآداب .

* انتقل من الجامعة رئيساً لديوان المراقبة مدة
عامين تقريباً. ثم وزيراً للصحة مدة عامين
تقريباً. ثم وزيراً للمعارف (التربية والتعليم)
مدة واحد وعشرين عاماً .

* عيّن في ١٤١٦هـ وزير دولة وعضواً في مجلس
الوزراء

كتب صدرت للمؤلف

* نشر عام ١٣٩٠هـ كتاب : «الشيخ أحمد المنقور في التاريخ» .

* ألف عام ١٣٩٠هـ كتاب : «عثمان بن بشر» .

* ألف عام ١٣٩٥هـ كتيب : «في طرق البحث» .

* طبع في عام ١٣٩٦هـ كتابه عن الملك «الظاهر بيبرس» باللغتين العربية والإنجليزية .

* حقق عام ١٣٩٦هـ كتاب : «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر» ونشره .

* حقق كتاب : «حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية» لشافع بن علي، ونشره عام ١٣٩٦هـ .

* ألف « من حطب الليل » : الطبعة الثانية عام

١٣٩٨هـ، والثالثة ، عام ١٤٢٥هـ .

* أَلْف عام ١٤١٢هـ / ١٩٩١م كتاب: «قراءة في

ديوان محمد بن عبد الله بن عثيمين» .

* أَلْف بين عامي ١٤٠٩هـ و ١٤١٤هـ كتاب:

«أي بُني» في خمسة أجزاء .

* أَلْف منذ عام ١٤١٤هـ كتاب: «إطلالة على

التراث» سبعة عشر جزءاً .

* أَلْف عام ١٤١٨هـ كتاب: «يوم وملك» .

* أَلْف منذ عام ١٤١٩هـ وحتى ١٤٢٧هـ ثلاثة

أجزاء من كتاب: «ملء السلة من ثمر المجلة» .

* أَلْف عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠١م حديث الركبتين .

* أَلْف عام ١٤٢٤هـ كتاب لمحة من تاريخ التعليم

في المملكة العربية السعودية .

* أَلْف عام ١٤٢٥هـ كتاب: «دمعة حرى» ،

والطبعة الثانية مزادة عام: ١٤٢٨ هـ .

* ألف منذ عام ١٤٢٦ هـ / ١٤٣١ هـ عشرين
جزءاً من كتاب: «وسم على أديم الزمن -
لمحات من الذكريات».

* ألف عام : ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م كتاب: «رصد
لسياحة الفكر». أربعة أجزاء .

* ألف عام : ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م كتاب « بعد
القول قول» .

* ألف عام : ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م كتاب : «السلام
عليكم» .

* ألف عام : ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م كتاب : «نزّ
اليراع» .

* ألف عام : ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م كتاب : « النساء
رياحين» .

هذا الكتاب

هذا هو فرع للكتاب الأصل ، والكتاب الأصل هو كتاب (عشت سعيداً من الدراجة إلى الطائرة) للواء طيار المتقاعد عبد الله السعدون .

جاء هذا الفرع بعد قراءة متأنية لكتاب الأصل ؛ لهذا لا تتم فائدة قراءة هذا الفرع إلا بقراءة الأصل .

إني ما كتبت الفرع إلا بعد أن قرأت الأصل ثلاث مرات . وما شدني منه ما أوجب كتابة الفرع .

إن هذا الفرع ما هو إلا غصن من دوحة وارفة يحرص المثقف أن يستظل بظلها ، ويتمتع بجودة طلعتها .

المؤلف

